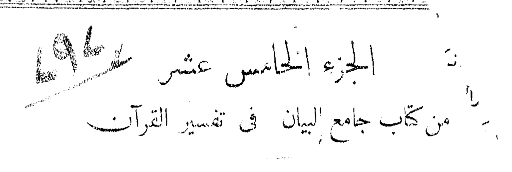
UNIVERSAL
LIBRARY



الجزء الخامس عشر
من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه في التفسير
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الأولى)
بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٢٨ هجريه

رب يسر ولا تعسر

﴿ تفسير سورة بني اسرائيل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾ «قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري» يعني تعالى ذكره بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا وأن له صاحبة وولدا وعلوا له وتعظيما عما أضافوه اليه ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم وقد بينت فيما مضى قبل أن قوله سبحان اسم وضع موضع المصدر فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد كان بعضهم يقول نصب لانه غير موصوف وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها فمنها الصلاة كان كثير من أهل التأويل يتأولون قول الله فلولا أنه كان من المسبحين فلولا أنه كان من المصلين ومنها الاستثناء كان بعضهم يتأول قول الله تعالى ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تستثنون وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون قال قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون فذكرهم تركهم الاستثناء ومنها النور وكان بعضهم يتأول في الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ذلك لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شئ أنه عني بقوله سبحات وجهه نور وجهه وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله سبحان الذي أسرى بعبده قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه

وسلم

سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله وقل جاء الحق حروفها ٦٤٦٠ كلمها ١٥٦٣ آياتها (١١١) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا وكل

وسلم أنه سئل عن التسبيح أن يقول الانسان سبحان الله قال انزاه الله عن السوء حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنا عبدة بن سليمن عن الحسن بن صالح عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
قوله سبحان الله قال انكاف لله وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من
كتابنا هذا قبل والاسراء والسرى سير الليل فمن قال أسرى قال يسري اسراء ومن قال سرى
قال يسري سرى كما قال الشاعر

وليلة ذات دجى سريت * ولم يلتني عن سراها ليت

ويروى ذات ندى سريت ويعني بقوله ليلا من الليل وكذلك كان حذيفة بن اليمان يقرؤها
حدثنا أبو كريب قال سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدث عنده بحديث حين أسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم فقال له لا تجئ بمثل عاصم ولا زر قال قرأ حذيفة سبحان الذي أسرى بعبده من
الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكذا قرأ عبد الله وأما قوله من المسجد الحرام فانه
اختلف فيه وفي معناه فقال بعضهم يعني من الحرم وقال الحرم كله مسجد وقد بينا ذلك في غير
موضع من كتابنا هذا وقال قد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ليلة أسري به الى المسجد
الأقصى كان نائما في بيت أم هانئ ابنة أبي طالب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن السائب عن أبي صالح بن باذام عن
أم هانئ بنت أبي طالب في مسرى النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول ما أسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان
قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد
صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت
صلاة الغداة معكم الآن كما ترين * وقال آخرون بل أسري به من المسجد وفيه كان حين أسري
به ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر بن عدي عن سعيد بن
أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وهو رجل من قومه قال قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة فأتيت
بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري الى كذا وكذا قال قتادة قلت ما يعني به قال
الى أسفل بطنه قال فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة ثم
أتيت بدابة أبيض وفي رواية أخرى بدابة بيضاء يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه
منتهى طرفه فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا الى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين اماما
ثم عرج بي الى السماء الدنيا فذكر الحديث حدثنا ابن المثنى قال ثنا خالد بن الحرث قال
ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك يعني ابن صعصعة رجل من قومه عن النبي صلى الله
عليه وسلم نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن
مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثني عمرو بن عبد الرحمن عن
الحسن بن أبي الحسن قال قال رسول الله بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني برجله
فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعي
فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي فقمت معه فخرج بي الى باب المسجد فاذا
دابة بيضاء بين الحمار والبغل له في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده في منتهى طرفه

الانسان ألزمناه طائره في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه
منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من
القرون من بعد نوح وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها
مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا
نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك
وما كان عطاء ربك محظورا أنظر
كيف فضلنا بعضهم على بعض
وللآخرة أكبر درجات وأكبر
تفضيلا ۞ القراآت يتخذوا بياء
الغيبة أبو عمرو وعباس مخيرا
الباقون بتاء الخطاب أساتم بالمد
أبو عمرو ويزيد والاصبهاني عن
ورش والاعشى وحمزة في الوقف
ليسوء بياء الغيبة على التوحيد
ابن عامر وحمزة وأبو بكر وحماد
ولنسوء بالنون علي الباقون ليسوؤا
على الجمع ويبشر مخففا حمزة وعلي
ويخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج
لازما يعقوب الآخرون بالنون
متعديا تلقاه مشددا ابن عامر ويزيد
وروى النقاش عن ابن ذكوان
بالامالة الباقون مخففة وقرأ حمزة
وعلي وخلف بالامالة اقرأ كتابك
بغير همز الاعشى وأوقية [illegible]
في الوقف آمرنا من باب المفاعلة
يعقوب ۞ الوقوف آياتنا ط
البصير ه وكيلا ه ط لمن قرأ

تتخذوا بتاء الخطاب لامكان أن يجعل ذرية منادى نوح ط شكورا ○ كبيرا ○ الديار ط مفعولا ○ نفيرا ○ فلها ط لان
ما بعد عائد الى قوله فاذا جاء وعد أولاهما (ج) مع اعتراض العوارض تتبيرا ○ يرحمكم ○ للابتداء بالشرط مع العطف عدنا ○

○ حذرا من توهم العطف حصيرا ○
كبيرا ○ لا للعطف أليما ○
بالخير ط عجولا ○ والحساب
ط تفصيلا ○ عنقه ط منشورا ○
كتابك ط حسيبا ○ ط للابتداء
بعد بالشرط لنفسه ج للشرط
مع العطف عليها ط أخرى ط
رسولا ○ تدميرا ○ نوح ط
بصيرا ○ جهنم ج لاحتمال
ما بعده الحال والاستئناف مدحورا
○ مشكورا ○ عطاء ربك ط
محظورا ○ بعض ط تفضيلا
○ التفسير لما عزم على نبيه
في خواتيم الفصل جوامع مكارم
الاخلاق حكى طرفا مما خصه به
من المعجزات فقال (سبحان الذي)
وهو اسم علم للتسبيح وقد مر
اعرابه في قوله سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل
ما لا يليق بجلاله و(أسرى) وسرى
لغتان روى أنه لما وصل النبي صلى
الله عليه وسلم الى المراتب العلية في
معراجه أوحى الله اليه يا محمد بم
أشرفك فقال يا رب تنسبني الى
نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان
الذي أسرى بعبده وقوله (ليلا)
نصب على الظرف وفيه تأكيد
الاسراء وفي تنكيره تقليل مدة
الاسراء لان التنكير فيه معنى
البعضية أخبر أنه أسرى به في بعض
الليل (من المسجد الحرام) عن النبي
صلى الله عليه وسلم بينا أنا في المسجد
الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ أتاني جبريل بالبراق
... المراد بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن
ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب لدى
... قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس بالاتفاق سمي بالاقصى لبعد المسافة

...لين قال أخبرنا ابن وهب
عن ليلة المسرى برسول
الله وهو نائم في المسجد
... نبرهم فكانت تلك فلم
... ينام قلبه وكذلك
فتولاه منهم
... من ماء زمزم

حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته حدثنا الربيع بن
عن سليمن بن بلال عن شريك بن أبي نمر قال سمعت أنسا يحدثنا
الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى
الحرام فقال أولهم أيهم هو قال أوسطهم هو خيرهم فقال أحدهم خذوا خيرهم
يرهم حتى جاؤا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا
الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم
جبرئيل عليه السلام فشق ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء
حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور محشوا ايمانا وحكمة فحشا به جوفه وصدره
ولغاديده ثم أطبقه ثم ركب البراق فسار حتى أتى به الى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين
اماما ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا قال هذا
جبرئيل قيل من معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال نعم قال فرحبا به وأهلا يستبشر به أهل
السماء لا تعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال
له جبرئيل هذا أبوك فسلم عليه فرد عليه فقال مرحبا بك وأهلا يا بني فنعم الابن أنت ثم مضى
به الى السماء الثانية فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها فقيل من هذا فقال جبرئيل قيل ومن معك
قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قد أرسل اليه فقيل مرحبا به وأهلا ففتح لهما فلما صعد فيها
فاذا هو بنهرين يجريان فقال ما هذان النهران يا جبرئيل قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم
عرج به الى السماء الثالثة فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن
معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه قيل مرحبا به وأهلا ففتح له فاذا هو بنهر
عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزبرجد وياقوت وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله فذهب يشم ترابه فاذا هو
مسك أذفر فقال يا جبرئيل ما هذا النهر قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك في الآخرة ثم عرج به
الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السابعة فقالوا له مثل ذلك وكل سماء فيها أنبياء قد سماهم أنس
فوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم
في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله فقال موسى لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين
أو أدنى فأوحى الى عبده ما شاء وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة ثم هبط حتى
بلغ موسى فاحتبسه فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة على أمتي كل يوم
وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك وعنهم فالتفت الى جبرئيل كأنه
يستشيره في ذلك فأشار اليه أن نعم فعاد به جبرئيل حتى أتى الجبار عز وجل وهو مكانه فقال رب
خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى عليه السلام
فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه عند الخمس فقال يا محمد
قد والله راودت بني اسرائيل على أدنى من هذا الخمس فضعفوا وتركوه فأمتك أضعف أجسادا
وقلوبا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت الى جبرئيل ليشير عليه
ولا يكره ذلك جبرئيل فرفعه عند الخمس فقال يا رب ان أمتي ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم
وأبصارهم فخفف عنا قال الجبار جل جلاله يا محمد قال لبيك وسعديك فقال انى لا يبدل القول

بينه وبين المسجد الحرام وم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله أسرى (٥) مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات (لنريه من آياتنا) بيان لحكمة الاسراء * سؤال أرى ابراهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض وأرى محمدا صلى الله عليه وسلم بعض آياته فيلزم أن يكون معراج ابراهيم أفضل الجواب لعل بعض الآيات المضافة الى الله تعالى أشرف وأجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا ختم الآية بقوله (انه هو السميع) لأقوال محمد (البصير) بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم أن الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأقلون على أنه ما أسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال كان ذلك رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها أن الحركة الجسمانية البالغة فى السرعة الى هذا الحد غير معقولة ومنها أن صعوده الى السموات يوجب انخراق الفلك ومنها أنه لو صح ذلك لكان من أعظم معجزاته فوجب أن يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه وما الفائدة فى اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها أن الانسان عبارة عن الروح وحده لانه باق من أول عمره الى آخره والاجزاء البدنية فى التغير والانتقال والباقى مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا عن جميع جوارحه واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس وما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة للناس لان كثيرا ممن آمن به حين سمعها ارتد وكفر به ومنها أن حديث المعراج بالجسم الذى اشتمل على أشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره بماء زمزم وركوب

لدى كما كتبت عليك فى أم الكتاب ولك بكل حسنة عشر أمثالها وهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنى أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها فقال قد والله راودت بنى اسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضا قال ياموسى قد والله استحييت من ربى مما أختلف اليه قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله عز وجل أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام والمسجد الحرام هو الذى يتعارفه الناس بينهم اذا ذكروه وقوله الى المسجد الاقصى يعنى مسجد بيت المقدس وقيل له الأقصى لانه أبعد المساجد التى تزار ويبتغى فى زيارته الفضل بعد المسجد الحرام فتأويل الكلام تنزيها لله وتبرئة له مما نحله المشركون من الاشراك والانداد والصاحبة وما يجل عنه جل جلاله الذى سار بعبده ليلا من بيته الحرام الى بيته الاقصى ثم اختلف أهل العلم فى صفة اسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فقال بعضهم أسرى الله بجسده فسار به ليلا على البراق من بيته الحرام الى بيته الاقصى حتى أتاه فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سلطانه فجمعت له به الانبياء فصلى بهم هنالك وعرج به الى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع وأوحى اليه هنالك ما شاء أن يوحى ثم رجع الى المسجد الحرام من ليلته فصلى به صلاة الصبح ذكر من قال ذلك وذكر بعض الروايات التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيحه حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى ابن المسيب وأبو سلمة ابن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به على البراق وهى دابة ابراهيم التى كان يزور عليها البيت الحرام يقع حافرها موضع طرفها قال فمرت بعير من عيرات قريش بواد من تلك الأودية فنفرت العير وفيها بعير عليه غرارتان سوداء وزرقاء حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايلياء فأتى بقدحين قدح خمر وقدح لبن فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن فقال له جبرئيل هديت الى الفطرة لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك قال ابن شهاب فأخبرنى ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى هنالك ابراهيم وموسى وعيسى فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فأما موسى فضرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى فرجل أحمر كأنما خرج من ديماس فأشبه من رأيت به عروة بن مسعود الثقفى وأما ابراهيم فأنا أشبه ولده به فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث قريشا أنه أسرى به قال عبد الله فارتد ناس كثير بعد ما أسلموا قال أبو سلمة فأتى أبو بكر الصديق فقيل له هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به الى بيت المقدس ثم رجع فى ليلة واحدة قال أبو بكر أو قال ذلك قالوا نعم قال فأشهد ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أفتشهد أنه جاء الشام فى ليلة واحدة قال انى أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتنى قريش قمت فمثل الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن أنس بن مالك قال لما جاء جبرئيل عليه السلام بالبراق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنها ضربت بذنبها فقال لها جبرئيل مه يا براق فوالله ان ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز ناء عن الطريق أى على جنب الطريق « قال أبو جعفر

ينبغى أن يقال نائية ولكن أسقط منها التأنيث » فقال ماهذه ياجبرئيل قال سر يامحمد فسار ماشاء الله أن يسير فاذا شئ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يامحمد قال جبرئيل سر يامحمد فسار ماشاء الله أن يسير قال ثم لقيه خلق من الخلائق فقال أحدهم السلام عليك ياأول والسلام عليك ياآخر والسلام عليك ياحاشر فقال له جبرئيل اردد السلام يامحمد قال فرد السلام ثم لقيه الثانى فقال له مثل مقالة (١) الاولين حتى انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الماء واللبن والخمر فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبرئيل أصبت يامحمد الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبرئيل أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا بقدر مابقى من عمر تلك العجوز وأما الذى أراد أن تميل اليه فذاك عدو الله ابليس أراد أن تميل اليه وأما الذين سلموا عليك فذاك ابراهيم وموسى وعيسى حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أوغيره «شك أبو جعفر» فى قول الله عز وجل سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال جاء جبرئيل الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل فقال جبرئيل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح له صدره قال فشق عن بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم فشرح صدره ونزع ما كان فيه من غل وملأه حلما وعلما وايمانا ويقينا واسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره قال فسار وسار معه جبرئيل عليه السلام فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصد واعاد كما كان فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبرئيل ماهذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال ماهؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال ماهؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيأ وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور ولحم آخر نيء قذر خبيث فجعلوا يأكلون من النيء ويدعون النضيج الطيب فقال ماهؤلاء ياجبرئيل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شئ الا خرقته قال ماهذا ياجبرئيل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم قرأ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون الآية ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ماهذا ياجبرئيل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها ويريد أن يحملها فلا يستطيع ذلك ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شئ قال ماهؤلاء ياجبرئيل فقال هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون مالا يفعلون ثم

(١) لعل فيه سقطا أو اختصارا راجع الدر وتأمل كتبه مصححه

البراق وايجاب خمسين صلاة فان ذلك يقتضى نسخ الحكم قبل حضور وقته وأنه يوجب البداء أجاب الاكثرون عن الاول بأن حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف قطر الفلك ونسبة نصف القطر الى نصف الدور نسبة الواحد الى ثلاثة أمثال وسبع هى نصف حركة الفلك فى يوم بليلته واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان أولى ولو كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول جبريل من العرش الى مكة فى لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة أيضا أجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول فى حركات الجن والشياطين وقد سخر الله تعالى لسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وكان عرش بلقيس فى أقصى اليمن وسليمن فى الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع فانما ينتقل شعاع العين من البصر الى الكواكب الثابتة فى آن واحد فثبت أن المعراج أمر ممكن فى نفسه أقصى مافى الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا بهذه الصورة وانما ذلك أمر حاصل فى جميع المعجزات وعن الثانى أن انخراق الافلاك عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث أن فائدة الاسراء قد عادت اليه حيث شاهد العالم العلوى والعرش والكرسى ومافيها وعليها فحصل فى قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها انقطعت تعلقاته عن الكونين ولم يبق مشغول القلب بشئ من أمور الدنيا والآخرة وعن الرابع أن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس أن تلك الرؤيا هى غير حكاية المعراج كما سيجئ فى تفسيره ولو سلم أنها هى المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس أنه لا اعتراض على الله تعالى فى شئ من أفعاله وأنه على كل شئ قدير واعلم أنه ليس فى الآية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات والى مافوق العرش الا أنه ورد

أتى

الحديث ومنهم من استدل على ذلك بأول سورة النجم أو بقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعه يروى أنه كان صلى الله عليه وسلم نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص

القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون وصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء وأنه أسري به من مكة الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء ورأى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد فجلي له صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام محمد صلى الله عليه وسلم ذكر شيأ من اكرام موسى فقال (وآتينا موسى الكتاب) أي التوراة (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) أخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين (ألا تتخذوا) من قرأ على الغيبة فأن ناصبة ولام العاقبة محذوفة أي لئلا يتخذوا ومن قرأ على الخطاب فأن مفسرة معناها أي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن

أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وفيه ريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبرئيل ما هذه الريح الطيبة الباردة وهذه الرائحة التي كريح المسك وما هذا الصوت قال هذا صوت الجنة تقول يا رب آتني ما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وفواكهي ونخلي ورماني ولبني وخمري فآتني ما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني أندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته اني أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت قد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذه الريح يا جبرئيل وما هذا الصوت قال هذا صوت جهنم تقول يا رب آتني ما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وعقابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني ما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبرئيل من هذا معك قال محمد فقالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال ثم لقي أرواح الانبياء فأثنوا على ربهم فقال ابراهيم الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا لله يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمن أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شئ فضلا وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس علي فيه حساب ثم ان عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني أبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربي فقال الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما قال ابراهيم بهذا فضلكم محمد قال أبو جعفر وهو الرازي خاتم النبوة وفاتح بالشفاعة يوم القيامة ثم أتي اليه بآنية

افعلي كذا أو زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا (من دوني وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم يا (ذرية من حملنا مع نوح) قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لانه كان معه في السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافث والناس كلهم من ذريته وحينئذ فقوله يا ذرية قائم مقام قوله يا أيها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين احتمل أن ينتصب على أنه مفعول آخر لتتخذوا أي لا تجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهي عن الاشراك بقوله (انه كان عبدا شكورا) أي أنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاص بني اسرائيل والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فلهذا استأهلوا الاختصاص وجوز في الكشاف أن يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد يروى من شكره أنه كان اذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وكان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به ثم ذكر أن كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التوراة فقال (وقضينا الى بني اسرائيل) أوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التوراة وقوله (لتفسدن) جواب قسم محذوف أو أجرى القضاء المبتوت مجرى القسم كأنه قيل وأقسمنا لتفسدن ثم (في الارض) أرض مصر (مرتين ولتعلن) لتعظمن وتستولن على الناس (علوا كبيرا) تسلطا عظيما وبغيا شديدا (فاذا جاء وعد) عقاب

ثلاثة مغطاة أفواهها فأتى باناء منها فيه ماء فقيل اشرب فشرب منه يسيرا ثم دفع اليه اناء آخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روي ثم دفع اليه اناء آخر فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا أريده قد رويت فقال له جبرئيل صلى الله عليه وسلم أما انها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك الا القليل ثم عرج به الى سماء الدنيا فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك فقال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر الى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر الى الباب الذي عن شماله بكى وحزن فقلت يا جبرئيل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان قال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا نظر الى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر الى من يدخله من ذريته بكى وحزن ثم صعد به جبرئيل صلى الله عليه وسلم الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد رسول الله فقالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فاذا هو بشابين فقال يا جبرئيل من هذان الشابان قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة قال فصعد به الى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قد فضل على الناس كلهم في الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبرئيل الذي فضل على الناس في الحسن قال هذا أخوك يوسف ثم صعد به الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قال من هذا يا جبرئيل قال هذا ادريس رفعه الله مكانا عليا ثم صعد به الى السماء الخامسة فاستفتح جبرئيل فقالوا من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ثم دخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبرئيل ومن هؤلاء الذين حوله قال هذا هارون المحبب في قومه وهؤلاء بنو اسرائيل ثم صعد به الى السماء السادسة فاستفتح جبرئيل فقيل له من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فاذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل فقال يا جبرئيل من هذا قال موسى قال فما باله يبكي قال تزعم بنو اسرائيل أني أكرم بني آدم على الله وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته ثم صعد به الى السماء السابعة فاستفتح جبرئيل فقيل من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء

(أولاهما) أولى المرتين (بعثنا) أرسلنا وسلطنا (عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) أصحاب نجدة وشدة قتال (فجاسوا) ترددوا للغارة (خلال الديار) أوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس (وكان) وعد العقاب (وعدا مفعولا) لابد من وقوعه (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو (وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء والقدر وأن الفساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله وأجابت المعتزلة بأن المراد أنه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس واحراق التوراة وقتل حفاظها وضعف بأن تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على أن الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء الكل اليه ولما حكى عنهم أنهم حين عصوا سلط عليهم أعداءهم مهد قاعدة كلية في الاحسان والاساءة قائلا (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) لم يقل فعليها أو فاليها للتقابل مع أن حروف الاضافة بعضها يقوم مقام البعض قال أهل الاشارة انه أعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الامرة ففيه دليل على أن جانب الرحمة أغلب (فاذا جاء وعد) عقاب المرة (الآخرة) بعثناهم حذف جواب اذا لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى (ليسوؤا وجوهكم) (٣) ليجعلها الله أو الوعد أو البعث أو ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها لان آثار الأعراض النفسانية الحاصلة في القلب انما تظهر على الوجه (وليتبروا ما علوا) ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه ويجوز أن يكون ما بمعنى المدة أي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله (تتبيرا) ذكر المصدر ازالة

ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ فصارت مثل ألوان أصحابهم فجاؤا فجلسوا الى أصحابهم فقال يا جبرئيل من هذا الأشمط ثم من هؤلاء البيض وجوههم ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شئ وما هذه الانهار التي دخلوا فجاؤا وقد صفت ألوانهم قال هذا أبوك ابراهيم أول من شمط على الارض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شئ فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم وأما الأنهار فأولها رحمة الله وثانيها نعمة الله والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا قال ثم انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهي اليها كل أحد خلا من أمتك على سبيلك فاذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها مغطية للامة كلها قال فغشيها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة قال فكلمه عند ذلك فقال له سل فقال اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمن ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والأبرص ويحيي الموتى باذن الله وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا وخليلا وهو مكتوب في التوراة حبيب الله وأرسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا ذكرت معي وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الاولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم من يقضى له وأعطيتك سبعا من المثاني لم يعطها نبي قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة والصلاة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما فقال النبي صلى الله عليه وسلم فضلني ربي بست أعطاني فواتح الكلم وخواتيمه وجوامع الحديث وأرسلني الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وقذف في قلوب عدوي الرعب من مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الارض كلها طهورا ومسجدا قال وفرض علي خمسين صلاة فلما رجع الى موسى قال بم أمرت يا محمد قال بخمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم فقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا ثم رجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بأربعين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بثلاثين فقال له موسى ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بعشرين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بعشر قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل

الله عليهم بختنصر أو سنحاريب وجنوده أو جالوت عن ابن عباس قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وسبوا منهم سبعين ألفا وبقوا في الذل الى أن
قيض الله ملكا آخر من أهل بابل وتزوج بامرأة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك أن يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس

ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم أقدموا على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وقصدوا قتل عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا ثاني الافسادين فانتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس أرمياء والآخرة قتل يحيى ابن زكريا وقصد قتل عيسى واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة أعيان هؤلاء الأقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القرآن هو أنهم كلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم أعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة أوامر الله ونواهيه ثم قال (عسى ربكم) يابني اسرائيل (أن يرحمكم) بعد انتقامه منكم في المرة الثانية (وان عدتم) للثالثة (عدنا) لها قال أهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد وكتمان ما ورد من نعته في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا حشمة لهم ولا عزة فيهم الى يوم القيامة وأما بعد ذلك فهو قوله (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي محبسا حاصرا أو محصورا لا يتخلصون منه أبدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد صلى الله عليه وسلم
وموسى عليه السلام وفي حق عبيده العاصين كأكثر بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على أن طاعة الله توجب
كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة عظم شأن القرآن المبين للاحكام الهادي للانام فقال (ان هذا القرآن يهدي للتي) أي

ألم

شدة قال فرجع على حياء الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بخمس قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال قد رجعت الى ربي حتى استحييت فما أنا راجع اليه فقيل له أما انك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فانهن يجزين عنك خمسين صلاة فان كل حسنة بعشر أمثالها قال فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا قال فكان موسى أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع اليه حدثني محمد بن عبيد الله قال أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره «شك أبو جعفر» عن أبي هريرة في قوله سبحان الذي أسرى بعبده الى قوله انه هو السميع البصير قال جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث علي بن سهل عن حجاج الا أنه قال جاء جبرئيل ومعه ميكائيل وقال فيه واذا بقوم يسرحون كما تسرح الانعام يأكلون الضريع والزقوم وقال في كل موضع قال على ما هؤلاء من هؤلاء يا جبرئيل وقال في موضع تقرض ألسنتهم تقص ألسنتهم وقال أيضا في موضع قال على فيه ونعم الخليفة (١) قال في ذكر الخمر فقال لا أريده قد رويت قال جبرئيل قد أصبت الفطرة يا محمد انها ستحرم على أمتك وقال في سدرة المنتهى أيضا هذه السدرة المنتهى اليها ينتهي كل أحد خلا على سبيلك من أمتك وقال أيضا في الورقة منها تظل الخلق كلهم تغشاها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة من حب الله عز وجل وسائر الحديث مثل حديث علي حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري وحدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا معمر قال أخبرنا أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري واللفظ لحديث الحسن بن يحيى في قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به فقال نبي الله أتيت بدابة هي أشبه الدواب بالبغل له أذنان مضطربتان وهو البراق وهو الذي كان تركبه الانبياء قبلي فركبته فانطلق بي يضع يده عند منتهى بصره فسمعت نداء عن يميني يا محمد على رسلك أسألك فمضيت ولم أعرج عليه ثم سمعت نداء عن شمالي يا محمد على رسلك أسألك فمضيت ولم أعرج عليه ثم استقبلت امرأة في الطريق فرأيت عليها من كل زينة من زينة الدنيا رافعة يدها تقول يا محمد على رسلك أسألك فمضيت ولم أعرج عليها ثم أتيت بيت المقدس أو قال المسجد الاقصى فنزلت عن الدابة فأوثقتها بالحلقة التي كانت الانبياء توثق بها ثم دخلت المسجد فصليت فيه فقال لي جبرئيل ماذا رأيت في وجهك فقلت سمعت نداء عن يميني أن يا محمد على رسلك أسألك فمضيت ولم أعرج عليه قال ذاك داعي اليهود أما انك لو وقفت عليه لتهودت أمتك قال ثم سمعت نداء عن يساري أن يا محمد على رسلك أسألك فمضيت ولم أعرج عليه قال ذاك داعي النصارى أما انك لو وقفت عليه لتنصرت أمتك قلت ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة من زينة الدنيا رافعة يدها تقول على رسلك أسألك فمضيت ولم أعرج عليها قال تلك الدنيا تزينت لك أما انك لو وقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ثم أتيت باناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر فقيل لي اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته قال أصبت الفطرة أو قال أخذت الفطرة * قال معمر وأخبرني الزهري عن ابن المسيب أنه قيل له أما انك لو أخذت الخمر غوت أمتك * قال أبو هرون في حديث أبي سعيد ثم جيء بالمعراج الذي تعرج فيه أرواح بني آدم فاذا هو أحسن ما رأيت

(١) يظهر أن المقول سقط من قلم الناسخ فتأمل كتبه مصححه

للجهالة أو الشبه بعدا والطريقة التي (هي أقوم) وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها أهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قيل هذا الشيء أقوم من ذلك انما يقال في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون

للاول فضل على الآخر وكيف يتصور في غير هذا الدين شيء من الاستقامة حتى يستقيم هذا التفضيل وأجيب بأن أفعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله أكبر أي هو الكبير وكقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان أي عادلا بني مروان ويمكن أن يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات والالتزام لاصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات الا أن بعض الخلل أبطل الكل فالكل ينهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن هاديا الى الاعتقاد الأصوب والعمل الأصلح له نتيجة وأثر وذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم وأنت خبير بان لفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم اذ البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة فكأنه قيل ويخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا ويجوز أن يبشر المؤمنين ببشارتين احداهما بثوابهم والاخرى بعذاب أعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة وأجاب على أصول الاعتزال بأن الناس كانوا حينئذ اما من أهل التقوى واما من أهل الشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك قلت هذا الجواب منه عجيب فان هذا الصنف لو سلم أنه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا أن حكمه يجب أن يذكر في القرآن الذي فيه أصول الاحكام على أن ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن واردا وأنه تعالى بعد ههنا أوصاف القرآن على جهة المدح فأي مقام أدعى الى ذكر

ألم تر الى الميت كيف يحد بصره اليه فعرج بنا فيه حتى انتهينا الى باب السماء الدنيا فاستفتح جبرئيل فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ففتحوا وسلموا علي واذا ملك موكل بحرس السماء يقال له اسمعيل معه سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم مائة ألف ثم قرأ وما يعلم جنود ربك الا هو واذا أنا برجل كهيئته يوم خلقه الله لم يتغير منه شيء فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته فاذا كانت روح مؤمن قال روح طيبة وريح طيبة اجعلوا كتابه في عليين واذا كان روح كافر قال روح خبيثة وريح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين فقلت يا جبرئيل من هذا قال أبوك آدم فسلم علي ورحب بي ودعا لي بخير وقال مرحبا بالنبي الصالح والولد الصالح ثم نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ثم نظرت فاذا أنا بقوم يحذى من جلودهم ويرد في أفواههم ثم يقال كلوا كما أكلتم فاذا أكره ما خلق الله لهم ذلك قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الهمازون اللمازون الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم بالسب ثم نظرت فاذا أنا بقوم على مائدة عليها لحم مشوي كأحسن ما رأيت من اللحم واذا حولهم جيف فجعلوا يميلون على الجيف يأكلون منها ويدعون ذلك اللحم قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الزناة عمدوا الى ما حرم الله عليهم وتركوا ما أحل الله لهم ثم نظرت فاذا أنا بقوم لهم بطون كأنها البيوت وهي على سابلة آل فرعون فاذا مر بهم آل فرعون ثار وافيميل بأحدهم بطنه فيقع فيتوطؤهم آل فرعون بأرجلهم وهم يعرضون على النار غدوا وعشيا قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء أكلة الربا ربا في بطونهم فمثلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم نظرت فاذا أنا بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بأرجلهن قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هن اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فاذا أنا بيوسف وحوله تبع من أمته ووجهه كالقمر ليلة البدر فسلم علي ورحب بي ثم مضينا الى السماء الثالثة فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى يشبه أحدهما صاحبه ثيابهما وشعرهما فسلما علي ورحبا بي ثم مضينا الى السماء الرابعة فاذا أنا بادريس فسلم علي ورحب وقد قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم مضينا الى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون المحبب في قومه حوله تبع كثير من أمته فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم طويل اللحية تكاد لحيته تمس سرته فسلم علي ورحب ثم مضينا الى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال كثير الشعر لو كان عليه قميصان نخرج شعره منهما قال موسى تزعم الناس أني أكرم الخلق على الله فهذا أكرم على الله مني ولو كان وحده لم أكن أبالي ولكن كل نبي ومن تبعه من أمته ثم مضينا الى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم وهو جالس مسند ظهره الى البيت المعمور فسلم علي وقال مرحبا بالنبي الصالح والولد الصالح فقيل هذا مكانك ومكان أمتك ثم تلا ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ثم دخلت البيت المعمور فصليت فيه واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون الى يوم القيامة ثم نظرت فاذا أنا بشجرة ان كانت الورقة منها لمغطية هذه الامة فاذا في أصلها عين تجري قد تشعبت شعبتين فقلت ما هذا يا جبرئيل قال أما هذا فهو نهر الرحمة وأما هذا فهو الكوثر الذي أعطاكه الله فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم أخذت على الكوثر حتى دخلت

الجنة فاذا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذا فيها رمان كأنه جلود الابل
المقتبة واذا فيها طير كأنها البخت فقال أبو بكر ان تلك الطير لناعمة قال أكلتها أنعم منها يا أبا بكر واني
لأرجو أن تأكل منها ورأيت فيها جارية فسألتها لمن أنت فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيدا قال ثم ان الله أمرني بأمره وفرض علي خمسين صلاة فمررت على موسى
فقال بم أمرك ربك قلت فرض علي خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك
لن يقوموا بهذا فرجعت الى ربي فسألته فوضع عني عشرا ثم رجعت الى موسى فلم أزل أرجع
الى ربي اذا مررت بموسى حتى فرض علي خمس صلوات فقال موسى ارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت أو قال قلت ما أنا براجع فقيل لي ان لك بهذه
الخمس صلوات خمسين صلاة الحسنة بعشر أمثالها ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
ومن عملها كتبت عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت واحدة حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني روح بن القاسم عن أبي هرون عمارة
ابن جوين العبدي عن أبي سعيد الخدري وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال وثني
أبو جعفر عن أبي هرون عن أبي سعيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما
كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر شيأ قط أحسن منه وهو الذي يمد اليه ميتكم عينيه اذا حضر
فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى الى باب من الابواب يقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسمعيل
تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين حدث هذا الحديث وما يعلم جنود ربك الا هو ثم ذكر نحو حديث معمر عن أبي
هرون الا أنه قال في حديثه قال ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية فسألتها لمن أنت وقد أعجبتني
حين رأيتها فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ثم انتهى
حديث ابن حميد عن سلمة الى ههنا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر
عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لاصحابه ليلة
أسري به ابراهيم وموسى وعيسى فقال أما ابراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم منه وأما موسى
فرجل آدم طوال جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى فرجل أحمر بين القصير والطويل
سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس كأن رأسه يقطر ماء وما به ماء أشبه من
رأيت به عروة بن مسعود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد عن الزهري عن سعيد
ابن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يقل عن أبي هريرة حدثنا الحسن بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
أتي بالبراق ليلة أسري به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبرئيل ما يحملك على هذا
فوالله ما ركبك أحد قط أكرم على الله منه قال فارفض عرقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة في قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
الذي باركنا حوله أسري بنبي الله عشاء من مكة الى بيت المقدس فصلى نبي الله فيه فأراه الله من آياته
وأمره بما شاء ليلة أسري به ثم أصبح بمكة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال حملت على دابة
يقال لها البراق فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فحدث نبي الله بذلك أهل مكة
فكذب به المشركون وأنكروه وقالوا يا محمد تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس وأقبلت من ليلتك

هذا الوصف من ههنا والجواب الحق أن الفسقة جعلوا تابعين أهل الايمان والله أعلم قيل هذه الآية واردة في شرح أحوال اليهود وهم
ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فايمانهم بالآخرة كلا ايمان فبعضهم أنكروا
المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن
تمسنا النار الا أياما واعلم أنه سبحانه
قال ههنا أجرا كبيرا وفي أول
الكهف أجرا حسنا رعاية للفاصلة
والاولى الاجر الكبير والاجر الحسن
كلاهما الجنة ولما بين أن القرآن
كاف في الهداية ذكر أن الانسان
قد يعدل عن التمسك بأحكامه فقال
(ويدع الانسان) أي جنس الكافر
وقد ذكر جمع من المفسرين أنه
النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك الآية فأجاب
الله دعاءه وضربت رقبته صبرا
وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب
الله وآخرون متى هذا الوعد جهلا
منهم واعتقادا أن محمدا صلى الله
عليه وسلم كاذب وقيل المراد أنه
يدعو الله عند غضبه وضجره فيلعن
نفسه وولده وماله ولو استجيب
له في الشر كما يستجاب له في الخير
لهلك يروى أنه صلى الله عليه
وسلم دفع الى سودة بنت زمعة أسيرا
فأقبل يئن بالليل فقالت له مالك
تئن فشكا ألم القد فأرخت من
كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب
فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم
دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت
سودة يديها تتوقع الاجابة وأن يقطع
الله يديها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اني سألت الله أن يجعل لعنتي
ودعائي على من لا يستحق من أهلي
رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب
البشر فلترد سودة يديها (وكان
الانسان عجولا) يستعجل بالعذاب
مع أنه آت أو يسرع الى طلب كل
ما يقع في قلبه ويخطر بباله معتقدا أن خيره فيه وان كان ذلك عند التأمل مضرا له وقيل أراد بهذا الانسان
آدم وذلك أنه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بالحقيقة مغايرا للاول لان

ثم

ثم أصبح عند نا بمكة فما كنت تحدثنا به وتأتي به قبل هذا اليوم مع هذا فصدقه أبو بكر فسمي أبو بكر الصديق من أجل ذلك حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا سليمن الشيباني عن عبد الله بن شداد قال لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بدابة يقال لها البراق دون البغل وفوق الحمار تضع حافرها عند منتهى طرفها فلما أتى بيت المقدس أتي باناءين اناء من لبن واناء من خمر قال فشرب اللبن قال فقال له جبرئيل هديت وهديت أمتك * وقال آخرون ممن قال أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى بنفسه وجسمه أسري به عليه السلام غير أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه ولم ينزل عن البراق حتى رجع الى مكة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا سفيان قال ثني عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان أنه قال في هذه الآية سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال لم يصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة حدثنا أبو كريب قال سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدث عنده بحديث حين أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تجئ بمثل عاصم ولا زر قال قال حذيفة لزر بن حبيش قال وكان زر رجلا شريفا من أشراف العرب قال قرأ حذيفة سبحان الذي أسرى بعبده من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وكذا قرأ عبد الله قال وهذا كما يقولون انه دخل المسجد فصلى فيه ثم دخل فربط دابته قال قلت والله قد دخله قال من أنت فاني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك قال قلت زر بن حبيش قال ما علمك هذا قال قلت من قبل القرآن قال من أخذ بالقرآن أفلح قال فقلت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قال فنظر الي فقال يا أصلع هل ترى دخله قال قلت لا والله قال حذيفة أجل والله الذي لا اله الا هو ما دخله ولو دخله لوجبت عليكم صلاة فيه لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار وما أعد الله في الآخرة أجمع وقال تدري ما البراق قال دابة دون البغل وفوق الحمار خطوه مد البصر * وقال آخرون بل أسري بروحه ولم يسر بجسده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله صادقة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ابن اسحق فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ولقول الله في الخبر عن ابراهيم اذ قال لابنه يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي يأتي الانبياء من الله أيقاظا ونياما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنام عيني وقلبي يقظان فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله ما عاين على أي حالاته كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلى هنالك بمن صلى

أصل الآدمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفا به لا محالة قال أهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن أردفها بنعمة الدنيا فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) وفيه أن القرآن لا يتم المقصود منه الا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع به الا بجزأيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه بمنزلة الليل في خفائه وبوجه آخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد أكدها بدليل آخر من عجائب الزمان وبوجه آخر لما وصف الانسان بكونه عجولا أي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين أن كل أحوال هذا العالم كذلك فينتقل الهواء من الانارة الى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد (فمحونا آية الليل) هي من اضافة الشيء الى نفسه للبيان كقولك نفس الشيء أو ذاته أي فمحونا الآية التي هي الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو (وجعلنا) الآية التي هي (النهار مبصرة) ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها أي تبصر فيها الاشياء وتستبان أو أريد بالابصار الاضاءة لانها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية غير بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار أو بشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين أو بزيادة ضوء القمر ونقصانه (عدد السنين) الشمسية أو القمرية المركبة من الشهور (و) لتعلموا جنس (الحساب) المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل أراد بمحو القمر الكلف الذي في وجهه وسببه في الشرع ما روي أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله تعالى جبريل فأمر جناحه على وجه القمر فأذهب

من الانبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده لان ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه اذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل وبعد فان الله انما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره فان ظن ظان أن ذلك جائز اذ كانت العرب تفعل ذلك فى كلامها كما قال قائلهم

حسبت بغام راحلتى عناقا ＊ وماهى ويب غيرك بالعناق

يعنى حسبت بغام راحلتى صوت عناق فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق فان العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام فأما فيما لا دلالة عليه الا بظهوره ولا يوصل الى معرفة مراد المتكلم الا ببيانه فانها لا تحذف ذلك ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله أسرى بعبده أسرى بروح عبده بل الأدلة الواضحة والاخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق اذ كانت الدواب لا تحمل الا الاجسام الا أن يقول قائل ان معنى قولنا أسرى بروحه رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبرئيل حمله على البراق لان ذلك اذا كان مناما على قول قائل هذا القول ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على قوله حمل على البراق لا جسمه ولا شئ منه وصار الامر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الآثار عن الائمة من الصحابة والتابعين وقوله الذى باركنا حوله يقول تعالى ذكره الذى جعلنا حوله البركة لسكانه فى معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم وقوله لنريه من آياتنا يقول تعالى ذكره كى نرى عبدنا محمدا من آياتنا يقول من عبرنا وأدلتنا وحججنا وذلك هو ما قد ذكرت فى الاخبار التى رويتها آنفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريه فى طريقه الى بيت المقدس وبعد مصيره اليه من عجائب العبر والمواعظ كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لنريه من آياتنا ما أراه الله من الآيات والعبر فى طريق بيت المقدس وقوله انه هو السميع البصير يقول تعالى ذكره ان الذى أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة فى مسرى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم البصير بما يعملون من الاعمال لا يخفى عليه شئ من ذلك ولا يعزب عنه علم شئ منه بل هو محيط بجميعه علما ومحصيه عددا وهو لهم بالمرصاد ليجزى جميعهم بما هم أهله وكان بعض البصريين يقول كسرت ان من قوله انه هو السميع البصير لأن معنى الكلام قل يا محمد سبحان الذى أسرى بعبده وقل انه هو السميع البصير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ﴾ يقول تعالى ذكره سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وآتى موسى الكتاب ورد الكلام الى وآتينا وقد ابتدأه بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب فى نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب ثم الرجوع الى الخطاب وأشباهه

عنه أثر الضياء وسببه عند الفلاسفة انه ارتكز فى وجه القمر أجسام قابلة الضوء كارتكاز الكواكب فى أجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام أقل ضوأ من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الاجرام فى وجه القمر كالكلف فى وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له وجها آخر فى الهيئة قال أهل التجارب ان اختلاف أحوال القمر فى مقادير النور له أثر عظيم فى أحوال هذا العالم ومصالحه لا سيما فى أحوال البحار والبحارين على ما يذكره الاطباء الا أن الكلف ليس له مدخل فى ابتغاء فضل الله وفى معرفة الحسابات تفصيلا نعم لو قيل ان الكلف نقص من نور القمر حتى لم يقو على ازالة ظلام الليل بالكلية فبقى فى وقت السكون والراحة بحاله ووقت التردد فى طلب المعاش بحاله وصار تعاقب الليل والنهار سببا لمعرفة الايام وما يتركب منها كان متجها ثم قال (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس حتى ازاحت العلل وزالت الاعذار فلا يهلك من يهلك الا عن بينة فلذلك قال (وكل انسان ألزمناه طائره) أى عمله (فى عنقه) وبوجه آخر لما شرح أحوال الشمس والقمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللدعة والراحة ولمعرفة المواقيت وكان الغرض الاصلى من الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال ذكر أن الانسان مؤاخذ فى عرصة القيامة بأقواله وأفعاله وسائر أحواله ليظهر أنه هل أتى بما هو المقصود من خلقه أم لا قال أكثر أهل اللغة ان العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا أحوال الطائر أنه يطير بنفسه أو يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهل يطير متيامنا أو متياسرا أو صاعدا فى الجو الى غير ذلك من الاحوال التى كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على ما يسوقهم علمهم اليه من خير أو شر فاطلاق الطائر على العمل تسمية للشئ باسم لازمه وقال أبو عبيدة الطائر عند العرب الحظ ويقال له وعنى

وعنى بالكتاب الذى أوتى موسى التوراة وجعلناه هدى لبنى اسرائيل يقول وجعلنا الكتاب الذى هو التوراة بيانا للحق ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم وأمرهم به ونهاهم عنه وقوله ألا تتخذوا من دونى وكيلا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ألا تتخذوا بالتاء بمعنى وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بنى اسرائيل من دونى وكيلا وقرأ ذلك بعض قراء البصرة ألا يتخذوا بالياء على الخبر عن بنى اسرائيل بمعنى وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا يتخذ بنو اسرائيل من دونى وكيلا وهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتان غير مختلفتين فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب غير أنى أوثر القراءة بالتاء لانها أشهر فى القراءة وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء ومعنى الكلام وآتينا موسى الكتاب هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا حفيظا لكم سواى وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى وكان مجاهد يقول معناه فى هذا الموضع الشريك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ألا يتخذوا من دونى وكيلا قال شريكا وكأن مجاهدا جعل اقامة من أقام شيأ سوى الله مقامه (١) شريكا منه له ووكيلا للذى أقامه مقام الله وبنحو الذى قلنا فى تأويل هذه الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل جعله الله لهم هدى يخرجهم من الظلمات الى النور وجعله رحمة لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا﴾ يقول تعالى ذكره سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وآتينا موسى الكتاب هدى لبنى اسرائيل ذرية من حملنا مع نوح وعنى بالذرية جميع من احتج عليه جل ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الامم عربهم وعجمهم من بنى اسرائيل وغيرهم وذلك أن كل من على الارض من بنى آدم فهم من ذرية من حمله الله مع نوح فى السفينة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذرية من حملنا مع نوح والناس كلهم ذرية من أنجى الله فى تلك السفينة وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له وامرأته وثلاث نسوة وهم سام وحام ويافث فأما سام فأبو العرب وأما حام فأبو الحبش وأما يافث فأبو الروم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذرية من حملنا مع نوح قال بنوه ثلاثة ونساؤهم ونوح وامرأته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال مجاهد بنوه ونساؤهم ونوح ولم تكن امرأته وقد بينا هذا فى غير هذا الموضع فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله انه كان عبدا شكورا يعنى بقوله تعالى ذكره انه ان نوحا والهاء من ذكر نوح كان عبدا شكورا لله على نعمه وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى سماه الله من أجله شكورا فقال بعضهم سماه الله بذلك لانه كان يحمد الله على طعامه اذا طعمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدى قالا ثنا سفيان عن التيمى عن أبى عثمن عن سلمان قال كان نوح اذا لبس ثوبا أو أكل طعاما حمد الله فسمى عبدا شكورا حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبى حصين عن عبد الله ابن سنان عن سعيد بن مسعود بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن أبى حصين عن عبد الله بن سنان عن سعيد بن مسعود قال ما لبس نوح جديدا قط ولا أكل طعاما قط الا حمد الله

(١) لعله تشريكا منه له وتوكيلا الخ تأمل كتبه مصححه

البخت فالطائر ما وقع للشخص فى الازل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كأنه طائر يطير اليه من وكر الازل وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له ولا غاية الا ان انتهى الى ذلك الشخص فى وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وفى هذا دليل على أنه لا يظهر فى الأبد الا ما حكم الله به فى الازل والكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية وانه سبحانه أكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله فى عنقه يقال جعلت هذا الامر فى عنقك أى قلدتكه وألزمتك الاحتفاظ به فان كان خيرا زينه كان كالطوق وان كان شرا شينه كان كالغل ومن أمثال العرب تقلدها طوق الحمامة (ونخرج له) من قرأ بالنون فظاهر وقوله (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه ومن قرأ بالياء مجهولا أو لازما فالضمير للطائر وكتابا حال منه يقال لقيت الشئ ولقانيه غيرى عن الحسن يا ابن آدم بسطت الصحيفة وطويت فى قبرك معك ثم اذا بعثت قلدتها فى عنقك (اقرأ كتابك) على اضمار القول قال قتادة يقرأ فى ذلك اليوم من لم يكن قارئا و(بنفسك) فاعل كفى و(حسيبا) تمييز بمعنى حاسب وانه كثير من فعل بالضم كقريب وبعيد ولكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب القداح بمعنى ضارب بها وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون الحسيب بمعنى الكافى ثم وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما أهمه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والغالب أن الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة والنفس مؤول بالشخص أو بمنزل فعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول كقتيل ويجوز أن يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله فى حقك من جعلك حسيب نفسك وقال السدى يقول الكافر يومئذ انك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى

فلذلك قال الله عبدا شكورا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنى سفيان الثورى قال ثنى أيوب عن أبى عثمن النهدى عن سلمان قال انما سمى نوح عبدا شكورا أنه كان اذا لبس ثوبا حمد الله واذا أكل طعاما حمد الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ذرية من حملنا مع نوح من بنى اسرائيل وغيرهم انه كان عبدا شكورا قال انه لم يجدد ثوبا قط الا حمد الله ولم يبل ثوبا قط الا حمد الله واذا شرب شربة حمد الله قال الحمد لله الذى سقانيها على شهوة ولذة وصحة وليس فى تفسيرها واذا شرب شربة قال هذا ولكن بلغنى ذا حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو فضالة عن النضر بن شفى عن عمران بن سليم قال انما سمى نوح عبدا شكورا أنه كان اذا أكل الطعام قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى واذا لبس ثوبا قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى واذا لبس نعلا قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى واذا قضى حاجة قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه ولو شاء حبسه * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عبد الجبار بن عمر أن ابن أبى مريم حدثه قال انما سمى الله نوحا عبدا شكورا أنه كان اذا خرج البراز منه قال الحمد لله الذى سوغنيك طيبا وأخرج عنى أذاك وأبقى منفعتك * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله لنوح انه كان عبدا شكورا ذكر لنا أنه لم يستجد ثوبا قط الا حمد الله وكان يأمر اذا استجد الرجل ثوبا أن يقول الحمد لله الذى كسانى ما أتجمل به وأوارى به عورتى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انه كان عبدا شكورا قال كان اذا لبس ثوبا قال الحمد لله واذا أخلقه قال الحمد لله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى القضاء الفراغ من الشئ ثم يستعمل فى كل مفروغ منه فتأويل الكلام فى هذا الموضع وفرغ ربك الى بنى اسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه باعلامه اياهم واخباره لهم لتفسدن فى الارض مرتين يقول لتعصن الله يا معشر بنى اسرائيل ولتخالفن أمره فى بلاده مرتين ولتعلن علوا كبيرا يقول ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وقضينا الى بنى اسرائيل قال أعلمناهم حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وقضينا الى بنى اسرائيل يقول أعلمناهم * وقال آخرون معنى ذلك وقضينا على بنى اسرائيل فى أم الكتاب وسابق علمه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقضينا الى بنى اسرائيل قال هو قضاء قضى عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقضينا الى بنى اسرائيل قضاء قضاه على القوم كما تسمعون * وقال آخرون معنى ذلك أخبرنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن

يقال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وروى أنه يؤتى المؤمن يوم القيامة بصحيفته وحسناته فى ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته فى جوف صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن أنها قد أوبقته قال الله تعالى له فقد غفرتها لك فيما بينى وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين قال الله فى حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم التكرار يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا أو شرا فانه يحصل منه فى جوهر روحه أثر مخصوص الا أن ذلك الأثر يخفى مادام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كأنها كانت ساكنة مستقرة فى الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله فى مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا ينافى ما ورد فى النقل ثم بين أن ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال (من اهتدى) الى قوله (وزر أخرى) قال الجبائى فيها دلالة على أن الاطفال لا يعذبون بكفر آبائهم وأن الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يؤاخذ العبد به كما لا يؤاخذ بوزر غيره بل كان يجب أن لا وزر أصلا لان الصبى لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة أن الوزر مختص بأفعال المكلفين من الثقلين وقد حت عائشة بذلك فى صحة ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء أهله واستدل به جماعة من الفقهاء فى الامتناع من ضرب الدية على العاقلة ويمكن أن يجاب بأنه ما من عام الا وقد خصص أما قوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فقد استدل به الاشاعرة فى أن وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا تتقرر ماهيته الا بترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية أجاب الخصم بأنه لو لم يثبت الوجوب العقلى لم يثبت الوجوب قال

قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب قال أخبرنا بني اسرائيل وكل هذه الاقوال تعود معانيها الى ما قلت في معنى قوله وقضينا وان كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لاجماع القراء على قراءة قوله لتفسدن بالتاء دون الياء ولو كان معنى الكلام وقضينا عليهم في الكتاب لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم وقلنا لهم كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة وكان فساد بني اسرائيل في الارض المرة الاولى ما حدثني به هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى في خبر ذكره عن أبي صالح وعن أبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله أن الله عهد الى بني اسرائيل في التوراة لتفسدن في الارض مرتين فكان أول الفسادين قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك النبط وكان يدعى صحابين فبعث الجنود وكانت أساورته من أهل فارس فهم أولو بأس شديد فتحصنت بنو اسرائيل وخرج فيهم بختنصر يتيما مسكينا انما خرج يستطعم وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم فسمعهم يقولون لو يعلم عدونا ما قذف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم واشتد القيام على الجيش فرجعوا وذلك قول الله فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم ان بني اسرائيل تجهزوا فغزوا النبط فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم فذلك قول الله ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا يقول عددا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان افسادهم الذي يفسدون في الارض مرتين قتل زكريا ويحيى بن زكريا سلط الله عليهم سابور ذا الاكتاف ملكا من ملوك فارس من قتل زكريا وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما اعتدوا وعلوا وقتلوا الانبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار اليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها وقتل على دم زكريا سبعين ألفا ثم سبى أهلها وبني الانبياء وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفا ومائة ألف عجلة من حلي حتى أورده بابل قال حذيفة فقلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله قال أجل بناه سليمن بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد وكان بلاطه بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة وعمده ذهبا أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الاشياء في طرفة عين فسار بختنصر بهذه الاشياء حتى نزل بها بابل فأقام بنو اسرائيل في يديه مائة سنة تعذبهم المجوس وأبناء المجوس فيهم الانبياء وأبناء الانبياء ثم ان الله رحمهم فأوحى الى ملك من ملوك فارس يقال له كورس وكان مؤمنا أن سر الى بقايا بني اسرائيل حتى تستنقذهم فسار كورس ببني اسرائيل وحلي بيت المقدس حتى رده اليه فأقام بنو اسرائيل مطيعين لله مائة سنة ثم انهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ابطيانحوس فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر فغزا بني اسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس وقال لهم يا بني اسرائيل ان عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسباء فعادوا في المعاصي فسير الله عليهم السباء الثالث ملك رومية يقال له قاقس بن اسبايوس فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس بالنيران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من صنعة حلي بيت المقدس

الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على المستمع قبول قوله والتأمل في معجزته أو لا يجب والثاني باطل بالاتفاق وعلى الأول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم اثبات الشئ بنفسه وان كان غيره دار أو تسلسل وبوجه آخر اذا أوجب النبي بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب على الترك أو الفعل ثم انه يجب على المكلف أن يحترز عن العقاب أو لا يجب لا سبيل الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي والا لزم الدور أو التسلسل ثم ان مذهب أهل السنة جواز العفو عن عقاب الكبيرة فتكون ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب ولا ذم مع جواز العفو فلم يبق الا أن ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب ولا يكون هذا الخوف الا محض العقل فثبت أن الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما أن تجرى الآية على ظاهرها ويقال العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة أحد من الرسل ومجيء الانبياء كالتنبيه على النظر وكالايقاظ من رقدة الغفلة والحجة وان كانت لازمة لهم قبل بعثة الرسل الا أنها بعد البعثة ألزم واما أن يخصص عموم الآية فيقال المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع ومما ارتضاه الامام فخر الدين الرازي أن مجرد العقل سبب في أنه يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما يستضر به أما مجرد العقل فلا يدل على أنه يجب على الله شئ وذلك أنا مجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك ولقائل أن يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع والاستضرار الا أنه حكيم جواد فلم لا يقبح من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم لا يترك الأحسن فصدور ذلك الأحسن منه البتة هو

الذى لك أن تسميه رجوبا كما وصف به نفسه فى قوله كان على ربك حتما مقضيا ولكم من آية فى القرآن دالة على أن الفعل قد يصدر منه
صدورا لا يحتمل النقيض من ذلك قوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) للمفسرين فى معنى أمرنا قولان الاول أن

المراد به الامر الذى هو نقيض النهى وعلى هذا اختلفوا فى المأمور به فالأكثرون على أنه الطاعة والخير وقال فى الكشاف معناه وإذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل أمرناهم بالفسق ففسقوا ولما كان من أصول الاعتزال أنه تعالى لا يأمر بالفحشاء ذكر أن الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فكان ايتاء النعمة سببا لايثارهم الفسوق على الائتمار فكأنهم مأمورون بذلك ثم انه جعل تقدير أمرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكاليف بعلم الغيب ولم يجوز أن تكون من قبيل أمرته فعصانى فانه يفهم منه أن المأمور به طاعته ولكنه حكم بأنه مثل أمرته فقام أو أمرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام أو قراءة ولقائل أن يقول كما أن قوله أمرته فعصانى يدل على أن المأمور به شئ غير المعصية من حيث ان المعصية منافية للامر ومناقضة له فكذلك قوله أمرته ففسق يدل على أن المأمور به شئ غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المأمور به فكونه فسقا ينافى كونه مأمورا به كما أن كونها معصية ينافى كونها مأمورا بها وهذا ظاهر فلا أدرى لم أصر جار الله على قوله مع ضعفه ومخالفته أصله القول الثانى ان معنى أمرنا مترفيها أكثرنا فساقها قال الواحدى تقول العرب أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثرهم وآمرهم أيضا بالمد واحتج أبو عبيدة على صحة هذه اللغة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة فالسكة النخيل المصطفة والمهرة المأمورة كثيرة النتاج وقد جل

وبرده المهدى الى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبعمائة سفينة يرسى بها على يافا حتى تنقل الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والآخرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال كان مما أنزل الله على موسى فى خبره عن بنى اسرائيل وفى احداثهم ما هم فاعلون بعده فقال وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فكانت بنو اسرائيل وفيهم الاحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم متعطفا عليهم محسنا اليهم فكان مما أنزل بهم فى ذنوبهم ما كان قدم اليهم فى الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم فى ذنوبهم فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك الملك عليهم بعث نبيا يسدده ويرشده ويكون فيما بينه وبين الله ويحدث اليه فى أمرهم لا ينزل عليهم الكتب انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التى فيها وينهونهم عن المعصية ويدعونهم الى ما تركوا من الطاعة فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياء بن أمصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء الذى بشر بعيسى ومحمد فملك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث وشعياء معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل نحو بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة فجاء النبى شعياء فقال له يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده ستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك فقال يا نبى الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال له النبى عليه السلام لم يأتنى وحى أحدث الىّ فى شأنك فبيناهم على ذلك أوحى الله الى شعياء النبى أن ائت ملك بنى اسرائيل فمره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته فأتى النبى شعياء ملك بنى اسرائيل صديقة فقال له ان ربك قد أوحى الىّ أن آمرك أن توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكى ويتضرع الى الله بقلب مخلص وتوكل وصبر وصدق وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة قدوس المتقدسين يا رحمن يا رحيم المترحم الرؤف الذى لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك فأنت أعلم به من نفسى سرى وعلانيتى لك وان الرحمن استجاب له وكان عبدا صالحا فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه وقد رأى بكاءه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعياء النبى الى ذلك الملك فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدا وقال يا الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده بالتينه فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفى وقال الملك لشعياء النبى سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء النبى قل له انى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة من كتابه فلما

أصبحوا

أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم فصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ثم قال لسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب له قد أتاني خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي فقال ملك بني اسرائيل الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لما هو شر لك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا ولتنذروا من بعدكم ولولا ذلك ما أبقاكم فلدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته ثم ان ملك بني اسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس ايلياء وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بني اسرائيل القتل خير مما يفعل بنا فافعل ما أمرت فنقل بهم الملك الى سجن القتل فأوحى الله الى شعياء النبي أن قل لملك بني اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ النبي شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم فكان أمر سنجاريب مما خوفوا ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما مات سنجاريب استخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جده يعمل بعمله ويقضي بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صديقة فمرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا عليه ونبيهم شعياء معهم لا يذعنون اليه ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله فيما بلغنا لشعياء قم في قومك أوح على لسانك فلما قام النبي أنطق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء استمعي ويا أرض أنصتي فان الله يريد أن يقص شأن بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وفضلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر كسير فويل لهذه الامة الخاطئة وويل لهؤلاء القوم الخاطئين الذين لا يدرون أين جاءهم الحين ان البعير ربما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار ربما يذكر الآري الذي شبع عليه فيراجعه وان الثور ربما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الحين وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير واني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خواء زمانا خربة مواتا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي أو يقال ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من

بعضهم الحديث على الارشاد الى النهي أي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت وروى أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر أي سيكثر وسيكبر والمترف في اللغة المنعم الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) خرجوا عما أمرهم الله (فحق عليها القول) استوجبت العذاب (فدمرناها تدميرا) أهلكناها على سبيل الاستئصال قالت الاشاعرة ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أراد اهلاكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق ويؤيده قوله فحق عليها القول أي بالكفر ثم التعذيب وقال الكعبي ان سائر الآيات دلت على أنه تعالى لا يبتدئ بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فتلك الآيات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال في التفسير الكبير أحسن الناس كلاما في تأويل هذه الآية القفال فانه ذكر وجهين الاول أخبر الله أنه لا يعذب أحدا بما علمه منه ما لم يعمل به أي لا يجعل علمه حجة على من علم أنه ان أمره عصاه بل يأمره حتى يظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه ومعنى الآية واذا أردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم الثاني أن نقول واذا أردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعذاب في أول ظهور المعصية منهم بل أمرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعمة الله عليهم أكثر فكان الشكر عليهم أوجب فاذا لم يرجعوا وأصروا صب عليهم البلاء صبا وزعم الجبائي أن المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة واذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل جهة ليس المعنى أن المريض يريد أن يموت والتاجر يريد أن يفتقر وانما عنيت أنه سيصير الى ذلك فمعنى الآية واذا قرب وقت اهلاك قرية وقد نقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى

أنه عدول عن الظاهر ثم ذكر عادته الجارية مع القرون الخالية فقال وكم (أهلكنا) فكم مفعول أهلكنا (ومن القرون) بيان لكم وتمييزه أراد بهم عادا وثمود ونحوهم ثم خاطب رسوله عما هو ردع للناس كافة قائلا (وكفى بربك) الآية قال الفراء انما يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه أو يذم كقولك كفاك به وأكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال قام بأخيك وأنت تريد قام أخوك وفي الآية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضي ايصال الجزاء الى كل أحد بقدر استحقاقه ثم أكد المعاني المذكورة من قوله وكل انسان ألزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه بقوله (من كان يريد العاجلة) أي المنفعة أو الدار العاجلة (عجلنا له فيها) ثم قيد المعجل بقيدين أحدهما قوله ما نشاء ولهذا ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله (لمن نريد) وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو للعموم ولهذا ترى كثيرا منهم يتمنون البعض اليسير من الدنيا ولا يؤتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الآخرة بل عذابها لقوله (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة) بأن يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور (وسعى لها سعيها) أي حق السعي لاجلها وذلك أن يكون العمل الذي يتوسل به الى الفوز بثواب الآخرة من جملة القرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى (وهو مؤمن) لان شيأ من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان (فأولئك كان سعيهم مشكورا) قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع أمور ثلاثة اعتقاد كونه وأعلم محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بأفعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله سبحانه تعالى يعامل المطيعين

الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه قيما ذا رأي وهمة حفيظا قويا أمينا وتأنى طلعها وانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خروبا قالوا بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرانها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خربة مواتا لا عمران فيها قال الله لهم فان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة واني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم يتقربون الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم مترملة بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها ويزوقون لي البيوت والمساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها فأي حاجة لي الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأي حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها ولتكون معلما لمن أراد أن يصلي فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر على أن يفقه قلوبنا لأفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائت بهما ناديهما في أجمع ما يكونون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا واحدا فقال الله قل لهم اني قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أؤلف بينها فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذي صورتها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئب في كل ذلك لا نسمع ولا يستجاب لنا قال الله فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين ألأن ذات يدي قلت كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها ولا يغلقها غيري ألا وان رحمتي وسعت كل شئ انما يتراحم المتراحمون بفضلها أو لأن البخل يعتريني أولست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فنبذوها واشتروا بها الدنيا اذا لأبصروا من حيث أتوا واذا لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام وكيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وانما أوجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما أستجيب للداعي اللين وانما أسمع من قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المساكين فلو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعدلوا للغائب وأدوا الى الارملة واليتيم والمسكين وكل ذي حق حقه ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر اذا لكلمتهم واذا لكنت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم واذا لدعمت أركانهم فكنت قوة أيديهم وأرجلهم واذا لثبت ألسنتهم وعقولهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالاتي بأنها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا وأن يطلعوا على الغيب بما توحي اليهم الشياطين اطلعوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسر وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والارض

بهذه الامور الثلاثة لانه يعلم كونهم محسنين فى تلك الاعمال وأنه يثنى عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم معظمين عند الله
وفى قوله من كان يريد العاجلة دون أن يقول من أراد العاجلة كما قال ومن (٤١) أراد الآخرة اشارة الى أن مريد نفع الدنيا لا يكون
مريده وما الا اذا كان غالبا فى ذلك ثابت القدم فسيح الامل ومريد الآخرة يكون محمودا بأدنى التفاتة بعد وجود الشرط قالت الاشاعرة ان مجموع القدرة مع الداعى هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه أعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع السعادات الباقية صار العبد أيضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل لم يعمله الممدوح قبيح قال تعالى ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما أعطانا من القدرة والعقل وانزال الكتب وايضاح الدلائل واعلم أنه تعالى ذكر صنفين من الناس قاصد خيرات الدنيا وقاصد خيرات الآخرة وههنا ثلاثة أقسام أخر الاول أن يكون طلب الآخرة فى عمله راجحا فقيل انه غير مقبول أيضا لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة أنا أغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فيقع فى حيز القبول الثانى أن يكون طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين الثالث أن يكون طلب الدنيا راجحا واتفقوا على أن هذين القسمين أيضا لا يقبلان الا أنهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رأفته وشمول رحمته فقال (كلا) أى كل واحد
من الفريقين (نمد) أى نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كل و (من عطاء ربك) متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه (أنظر) يا محمد أو يا من له أهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح

وأعلم ما يبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته على نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد أنه واقع فان صدقوا عما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو فى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل القدرة التى بها أمضيت فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاؤن فليؤلفوا مثل الحكمة التى أدبر بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض أن أجعل النبوة فى الاجراء وأن أحول الملك فى الرعاء والعز فى الأذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والثروة فى الأقلاء والمدائن فى الفلوات والآجام فى المفاوز والبردى فى الغيطان والعلم فى الجهلة والحكم فى الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا وعلى يد من أسنه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون فانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل أهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل والمعروف سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة وأهواء متشتتة وأمما متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر توحيدا لى وايمانا واخلاصا بى يصلون لى قياما وقعودا وركوعا وسجودا يقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والحمد والمدحة والتمجيد لى فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الأسواق ويطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب فى الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء اليهم من مقالته عدوا عليه فيما بلغنى ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها * قال أبو جعفر فعلى القول الذى ذكرنا عن ابن عباس من رواية السدى وقول ابن زيد كان افساد بنى اسرائيل فى الارض المرة الاولى قتلهم زكريا نبى الله مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده الى أن بعث الله عليهم من أحل على يديهم نقمته من معاصى الله وعتوهم على ربهم وأما على قول ابن اسحق الذى روينا عنه فكان افسادهم المرة الاولى ما وصف من قتلهم شعياء بن أمصيا نبى الله وذكر ابن اسحق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتا ولم يقتل وأن المقتول انما هو شعياء وأن بختنصر هو الذى سلط على بنى اسرائيل فى المرة الاولى بعد قتلهم شعياء حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه وأما افسادهم فى الارض المرة الآخرة فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا وقد اختلفوا فى الذى سلطه الله عليهم منتقما به منهم عند ذلك وأنا ذاكر اختلافهم فى ذلك ان شاء الله وأما قوله ولتعلن علوا كبيرا فقد ذكرنا قول من قال يعنى به استكبارهم على الله بالجراءة عليه وخلافهم أمره وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولتعلن علوا كبيرا قال ولتعلن الناس

للفريقين في الدنيا (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فأوصلنا هذا الى مؤمن وقبضنا عن مؤمن آخر وأوصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر آخر ليكون بعضهم تحت تسخير بعض (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) لأن نسبة التفاضل في درجات الآخرة

علوا كبيرا حدثنا الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله فاذا جاء وعد أولاهما يعني فاذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الارض كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا جاء وعد أولاهما قال اذا جاء وعد أولى تينك المرتين اللتين قضينا الى بني اسرائيل لتفسدن في الارض مرتين وقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا يعني تعالى ذكره بقوله بعثنا عليكم وجهنا اليكم وأرسلنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يقول ذوي بطش في الحروب شديد وقوله فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا يقول فترددوا بين الدور والمساكن وذهبوا وجاؤا يقال فيه جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد وجست أنا أجوس جوسا وجوسانا ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن ابن عباس حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فجاسوا خلال الديار قال مشوا وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول معنى جاسوا قتلوا ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان

ومنا الذي لاقى بسيف محمد ۞ فجاس به الاعداء عرض العساكر

وجائز أن يكون معناه فجاسوا خلال الديار فقتلوهم ذاهبين وجائين فيصح التأويلان جميعا ويعني بقوله وكان وعدا مفعولا وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك لا محالة لانه لا يخلف الميعاد ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله أولي بأس شديد وفيما كان من فعلهم في المرة الاولى في بني اسرائيل حين بعثوا عليهم ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة وما كان من صنيعهم بهم فقال بعضهم كان الذي بعث الله عليهم في المرة الاولى جالوت وهو من أهل الجزيرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا قال بعث الله عليهم جالوت فجاس خلال ديارهم وضرب عليهم الخراج والذل فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون في سبيل الله فبعث الله طالوت فقاتلوا جالوت فنصر الله بني اسرائيل وقتل جالوت بيدي داود ورجع الله الى بني اسرائيل ملكهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون فبعث عليهم في الاولى جالوت الجزري فسبى وقتل وجاسوا خلال الديار كما قال الله ثم رجع القوم على دخن فيهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال أما المرة الاولى فسلط الله عليهم جالوت حتى بعث طالوت ومعه داود فقتله داود ۞ وقال آخرون بل بعث عليهم في المرة الاولى سنجاريب وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي المعلى قال سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد قال بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرة الاولى سنجاريب من أهل أثور ونينوى فسألت سعيدا عنها فزعم أنها الموصل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني يعلى بن مسلم بن سعيد بن جبير أنه سمعه يقول كان رجل من بني اسرائيل يقرأ حتى اذا بلغ

الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضل المؤمنين على الكافرين وعن بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل ۞ التأويل نزه نفسه بقوله سبحان عن الاتحاد الكلي ولكن أخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله أسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الأغيار وقوله بعبده اشارة الى مقام تصحيح نسبة العبدية التي هي آخر مقامات السالكين وقوله ليلا رمز الى أن ذلك الجذب كاد يكون خفيا عن المجذوب اذا كان ذاهلا عن أنانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء في الله الذي باركنا حوله بالبقاء بالله لنريه من آياتنا التي لم تسمع أذن ولا أبصرت عين انه هو السميع البصير فلا يصل أحد اليه الا اذا سمع به وأبصر به هذا ما خطر ببال هذا الضعيف في تأويل هذه الآية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه والا فمني ومن الشيطان فجاسوا خلال الديار الجسدانية بالقتل وفك التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت مقدس القلب ثم رددنا لكم الكرة عليهم باستيلاء داود القلب وقتل جالوت النفس وأمددناكم بأموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الآخرة حين ارتد عن الطريقة ليسوؤا وجوه قلوبكم بحجب سوء أعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل أو ان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم أو ان عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية أو ان

بعثنا

بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد بكى وفاضت عيناه وطبق المصحف فقال ذلك ما شاء الله من الزمان ثم قال أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فأرى في المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال وأعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد التجارة حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لم يبق أحد فقال هل بقي مسكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمته انطلقوا حتى أتاه فقال ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمته احتملوه فنقله اليه ومرضه حتى برأ فكساه وأعطاه نفقة ثم آذن الاسرائيلي بالرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلي ما يبكيك قال أبكي أنك فعلت بي ما فعلت ولا أجد شيأ أجزيك قال بلى شيأ يسيرا ان ملكت أعطني فجعل الآخر يتبعه ويقول تستهزئ بي ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله الا أنه يرى أنه يستهزئ به فبكى الاسرائيلي وقال لقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك الا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه وكتب في كتابه ضرب الدهر ضربه قال صحورا وهو ملك فارس ببابل لو أنا بعثنا طليعة الى الشام قالوا وما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلان فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف وخرج بختنصر في مطبخه لا يخرج الا ليأكل في مطبخه فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا كبر ذلك في روعه فلم يسأل قال فجعل بختنصر يجالس مجالس أهل الشام فيقول ما يمنعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء قالوا لا نحسن القتال قال فلو أنكم غزوتم قالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان فرفع ذلك اليه فدعاه فأخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء واني لم أدع مجلسا بالشام الا جالست أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا لي كذا وكذا الذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم قال الطليعة لبختنصر انك فضحتني لك مائة ألف وتنزع عما قلت قال لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعت ضرب الدهر من ضربه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا انثنوا ما قدروا عليه قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلان قال بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني فدعا بختنصر وأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا ورمي في جنازة صحورا قالوا استخلفوا رجلا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم لن ينقضوا عليكم شيأ أمهلوا فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه في الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا فملكوه حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سليمن ابن بلال عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا أي كناسة فسألهم ما هذا الدم قالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن ❊ وقال آخرون يعني بذلك قوما من أهل فارس قالوا ولم يكن في المرة الاولى قتال ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار قال من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ويسمعون حديثهم معهم بختنصر فوعى أحاديثهم من

عدتم الى التقربات عدنا الى التعذيبات وجعلنا الليل البشرية ونهار الروحانية فمحونا آية الليل وهي قمر القلب ففيه نور العقل حين تطلع شمس شهود الحق وهي آية النهار فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا (٣٣) من ربكم وهو تجلي ذاته وصفاته وقد اختص الانسان به من بين المخلوقات ولتعلموا أيام الطلب وحساب الترقي من مقام الى مقام وكل شيء يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان يريد العاجلة فيه أن قلب الانسان بين اصبعي قهر الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يحول وجهه الى الدنيا حتى يؤول أمره الى دركات البعد أو يحوله الى الآخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله المستعان على ما تصفون ﴿لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد

كل أولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ

بين أصحابه ثم رجعت فارس ولم يكن قتال ونصرت عليهم بنو اسرائيل فهذا وعد الاولى حدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد قال ذلك أي من جاءهم من فارس ثم ذكر نحوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يقول تعالى ذكره ثم أدلنا لكم يا بني اسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جل ثناؤه أنه يبعثهم عليهم وكانت تلك الادالة والكرة لهم عليهم فيما ذكر السدي في خبره أن بني اسرائيل غزوهم وأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم منهم وفي قول آخرين اطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم ورد ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي ادالة الله اياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه وقد ذكرنا كل ذلك بأسانيده فيما مضى وأمددناكم بأموال وبنين يقول وزدنا فيما أعطيناكم من الاموال والبنين وقوله وجعلناكم أكثر نفيرا يقول وصيرناكم أكثر عدد نافر منهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلناكم أكثر نفيرا أي عددا وذلك في زمن داود حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وجعلناكم أكثر نفيرا يقول عددا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم لبني اسرائيل بعد أن كانت الهزيمة وانصرف الآخرون عنهم فجعلناهم أكثر نفيرا قال جعلناكم بعد هذا أكثر عددا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم رددنا لكم الكرة عليهم ثم رددت الكرة لبني اسرائيل حدثني محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن سفيان في قوله وأمددناكم بأموال وبنين قال أربعة آلاف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) يقول تعالى ذكره لبني اسرائيل فيما قضى اليهم في التوراة ان أحسنتم يا بني اسرائيل فأطعتم الله وأصلحتم أمركم ولزمتم أمره ونهيه أحسنتم وفعلتم ما فعلتم من ذلك لأنفسكم لأنكم انما تنفعون بفعلكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فان الله يدفع عنكم من بغاكم سوأ وينمي لكم أموالكم ويزيدكم الى قوتكم قوة وأما في الآخرة فان الله تعالى يثيبكم به جنانه وان أسأتم يقول وان عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ فالى أنفسكم تسيئون لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم ويمكن منكم من بغاكم سوأ ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين وقال جل ثناؤه وان أسأتم فلها والمعنى فاليها كما قال بأن ربك أوحى لها والمعنى أوحى اليها وقوله فاذا جاء وعد الآخرة يقول فاذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتي افسادكم يا بني اسرائيل في الارض ليسوؤا وجوهكم يقول ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ليسوؤا وجوهكم فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ليسوؤا وجوهكم بمعنى ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك

من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ۞ القراآت يبلغان مثنى حمزة وعلي وخلف أف بالجر والتنوين أبو جعفر ونافع وحفص أف بالفتح ابن كثير وابن ذكوان وابن عامر وسهل ويعقوب غير مجاهد والمفضل والباقون بالكسر تبسطها كل البسط مثل بصطة خطأ بفتحتين من غير مد يزيد وابن ذكوان غير ابن مجاهد خطأ بالفتح ثم السكون ابن مجاهد عن ابن ذكوان خطاء بالكسر والمد ابن كثير الباقون بالكسر ثم السكون فلا تسرف على الخطاب حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بالقسطاس مكسور القاف حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد والمفضل وقرأ أبو نشيط والشموني غير النقاش بالصاد سيئه على اضافة سيء الى ضمير كل حمزة وعلي وخلف وعاصم وابن عامر وسهل الآخرون سيئة على التأنيث ۞ الوقوف مخذولا ○ احسانا ط كريما ○ صغيرا ○ ط في نفوسكم ط غفورا ○ تبذيرا ○ الشياطين ط كفورا ○ ميسورا ○ محسورا ○ ويقدر ط بصيرا ○ املاق ط واياكم ط كبيرا ○ فاحشة ط سبيلا ○ الا بالحق ط لان الشرط في أمر قد يقع نادرا خارجا عن النهي في القتل ط منصورا ○ أشده ز بالعهد ج على تقدير فان مسؤلا ○ المستقيم ط تأويلا ○ به علم ط مسؤلا ○ مرحا ج لاحتمال اضمار الفاء أو اللام طولا ○ مكروها ○ الحكمة ط مدحورا ○ اناثا ط عظيما ○ ۞ التفسير لما أجمل أعمال البر في قوله وسعى لها سعيها وهو مؤمن أخذ في تفصيل ذلك مبتدئا بأشرفها الذي هو التوحيد فقال

*بقوله

بقوله وليدخلوا المسجد وقالوا ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله ليسوؤا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ليسوء وجوهكم على التوحيد وبالياء وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما ما قد ذكرت والآخر منهما ليسوء الله وجوهكم فمن وجه تأويل ذلك الى ليسوء مجيء الوعد وجوهكم جعل جواب قوله فاذا جاء محذوفا وقد استغنى بما ظهر عنه وذلك المحذوف جاء فيكون الكلام تأويله فاذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء ومن وجه تأويله الى ليسوء الله وجوهكم كان أيضا في الكلام محذوف قد استغنى هنا عنه بما قد ظهر منه غير أن ذلك المحذوف سوى جاء فيكون معنى الكلام حينئذ فاذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم فيكون المضمر بعثناهم وذلك جواب اذا حينئذ وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين لنسوء وجوهكم على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى ذكر الرواية بذلك والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في الحديث الذي ذكرنا اسناده قبل أن رجلا من بني اسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها ثم قعد في جانب البيت فضمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم فقال اشتر لنا بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك حتى اذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ثم قال له اني أحب أن تكتب لي أمانا ان أنت ملكت يوما من الدهر فقال أتسخر بي فقال اني لا أسخر بك ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يدا فكلمته أمه فقالت وما عليك ان كان ذلك والا لم ينقصك شيأ فكتب له أمانا فقال له أرأيت ان جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي آية تعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة أعرفك بها فكساه وأعطاه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوي أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل يحيى عن ذلك فنهاه عن نكاحها وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وقيل انها ألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له نفسها فان أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست ففعلت فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك فقال ما الذي تسأليني قالت أسألك أن تبعث الى يحيى بن زكريا فأوتى برأسه في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا فقالت له ما أريد أن أسألك الا هذا قال فلما ألحت عليه بعث اليه فأتي برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا يحل لك ذلك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقي الدم فوق التراب يغلي فألقي عليه التراب أيضا فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلي وبلغ صحابين فثار في الناس وأراد أن يبعث عليهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذي كنت أرسلته تلك المرة ضعيف واني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثني فبعثه فسار بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم

(لا تجعل مع الله الها آخر) وان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر ولكنه في الحقيقة عام للمكلفين ويحسن أن يقال ان الخطاب للانسان كأنه قيل يا أيها الانسان لا تجعل أو القول مضمر أي قل لكل مكلف لا تجعل ومما يؤيد ذلك قوله وقضى ربك لان ذلك الخطاب لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان أبويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله (فتقعد) على أنه جواب للنهي والفاء في التحقيق عاطفة والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه منها أن المراد به المكث يقال ما يصنع فلان فيقال هو قاعد بأسوإ حال أي ماكث سواء كان قائما أو جالسا ومنها أن من شأن المذموم المخذول أن يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة ومنها أنه كناية عن عدم القدرة على تحصيل الخيرات فان السعي فيه انما يتأتى بالقيام والعجز عنه يلزمه أن يبقى قاعدا عن الطلب ومنها أنه بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت ولا ريب أن المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان لأنه بشركه يضيف بعض النعم الحاصلة في حقه من الله الى غيره فيستوجب الذم بالكفران ويستحق الخذلان من حيث انه لما فوض أمره الى الشريك المعدوم أو العاجز الناقص بقي بلا ناصر ومعين وأيضا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمثبت الشريك واقع في جانب النقصان فيورثه الذم والخذلان ولما ذكر ما هو الركن الاعظم في الايمان أتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال (وقضى ربك) أي أمر أمرا جزما وحكم حكما قطعا (ألا تعبدوا) أي بأن لا تعبدوا فأن ناصبة ويجوز أن تكون مفسرة والفعل نهي معناه أي لا تعبدوا وقد روى الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس أنه كان الاصل في هذه الآية ووصى ربك وبه قرأ علي وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط

لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بأنه يوجب تجويز وقوع التحريف والتصحيف في القرآن أمر بعبادة نفسه ثم أردفه بالامر
ببر الوالدين وتقدير الكلام بأن تحسنوا (٣٦) بالوالدين أو وأحسنوا بالوالدين احسانا ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان
على ما ذهب اليه الواحدي لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وقد مر في أوائل البقرة تفسير قوله وبالوالدين احسانا وأنه لم جعل الاحسان اليهما تاليا لعبادة الله يحكى أن واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك قال اكتبوا عليه

هذا جناه أبي علي * وما جنيت على أحد

وقال في ترك التزوج والولد

وتركت فيهم نعمة العدم التي * سبقت وصدت عن نعيم العاجل
ولو أنهم ولدوا لعانوا شدة * ترمي بهم في موبقات الآجل

وقيل للاسكندر أستاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال الاستاذ أعظم منة لانه تحمل أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي حتى أوقفني في نور العلم فأما الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل خير الآباء من علمك وقال العقلاء هب أن الوالد في أول الامر طلب لذة الوقاع الا أن اهتمامه بايصال الخيرات الى الولد ودفع الآفات عنه من أول دخول الولد في الوجود الى أوان كبره بل الى آخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر احسانا أي أحسنوا اليهما احسانا عظيما كاملا جزاء على وفور احسانهما السابق على أن البادئ بالبر لا يكافأ
لانه أسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المأمور به فقال (اما يبلغن) هي ان الشرطية زيدت عليها ما الابهامية ٥ لا
لتأكيد معنى الشرط ثم أدخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتأكيد كأنه قيل ان هذا الشرط مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء

المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بني اسرائيل فقالت أين أمير الجند فأتي بها اليه فقالت له انه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامي وجاع أصحابي فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني فقالت أرأيتك ان فتحت لك المدينة أتعطيني ما سألتك وتقتل من أمرتك بقتله وتكف اذا أمرتك أن تكف قال نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا بأيديكم الى السماء فنادوا انا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تساقط ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها فقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن وانطلقت به الى دم يحيى وهو على تراب كثير فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تبارك وتعالى اذا قتل نبي لم يرض حتى يقتل من قتله ومن رضي قتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر به أن تطرح فيه الجيف وقال من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني اسرائيل قتلوا يحيى فلما خربه بختنصر ذهب معه بوجوه بني اسرائيل وأشرافهم وذهب بدانيال وعليا وعزوريا وميشائيل هؤلاء كلهم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات فملك مكانه وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه فحسدهم المجوس على ذلك فوشوا بهم اليه وقالوا ان دانيال وأصحابه لا يعبدون الهك ولا يأكلون من ذبيحتك فدعاهم فسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بخد فخد لهم فألقوا فيه وهم ستة وألقي معهم سبعا ضاريا ليأكلهم فقال انطلقوا فلنأكل ولنشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكأه شيئا ووجدوا معهم رجلا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع انما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطمه لطمة فصار في الوحش فكان فيهم سبع سنين لا يراه وحشي الا أتاه حتى ينكحه يقتص منه ما كان يصنع بالرجال ثم انه رجع ورد الله عليه ملكه فكانوا أكرم خلق الله عليه ثم ان المجوس وشوا به ثانية فألقوا أسدا في بئر قد ضرى فكانوا يلقون اليه الصخرة فيأخذها فألقوا اليه دانيال فقام الاسد في جانب وقام دانيال في جانب لا يمسه فأخرجوه وقد كان قبل ذلك خد لهم خدا فأوقد فيه نارا حتى اذا أججها قذفهم فيها فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شئ ثم ان بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنما رأسه من ذهب وعنقه من شبه وصدره من حديد وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير ورجلاه من فخار فبينا هو قائم ينظر اذ جاءت صخرة من السماء من قبل القبلة فكسرت الصنم فجعلته هشيما فاستيقظ فزعا وأنسيها فدعا السحرة والكهنة فسألهم فقال أخبروني عما رأيت فقالوا له لا بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك قال لا أدري قالوا له فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم فادعهم فاسألهم فان هم لم يخبروك بما رأيت فما تصنع بهم قال أقتلهم فأرسل الى دانيال وأصحابه فدعاهم فقال لهم أخبروني ماذا رأيت فقال له دانيال بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك قال لا أدري قد نسيتها فقال له دانيال كيف نعلم رؤيا لم تخبرنا بها فأمر البواب أن يقتلهم فقال دانيال للبواب ان الملك انما أمر بقتلنا من أجل رؤياه فأخرنا ثلاثة أيام فان نحن أخبرنا الملك برؤياه والا فاضرب أعناقنا فأجلهم فدعوا الله فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا بختنصر على حدة فأتوا البواب فأخبروه فدخل على الملك فأخبره فقال أدخلهم علي وكان بختنصر

لا يعرف من رؤياه شيأ الا شيأ يذكرونه فقالوا له أنت رأيت كذا وكذا فقصوها عليه فقال صدقتم قالوا نحن نعبرها لك أما الصنم الذي رأيت رأسه من ذهب فانه ملك حسن مثل الذهب وكان قد ملك الارض كلها وأما العنق من الشبه فهو ملك ابنك بعدك يملك فيكون ملكه حسنا ولا يكون مثل الذهب وأما صدره الذي من حديد فهو ملك أهل فارس يملكون بعد ابنك فيكون ملكهم شديدا مثل الحديد وأما بطنه الاخلاط فانه يذهب ملك أهل فارس ويتنازع الناس الملك في كل قرية حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين والشهر والشهرين ثم يقتل فلا يكون للناس قوام على ذلك كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار فبينما هم كذلك اذ بعث الله تعالى نبيا من أرض العرب فأظهره على بقية ملك أهل فارس وبقية ملك ابنك وملكك فدمره وأهلكه حتى لا يبقى منه شئ كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم فعطف عليهم بختنصر فأحبهم ثم ان المجوس وشوا بدانيال فقالوا ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما فأكلوا وشربوا وقال للبواب انظر أول من يخرج عليك يبول فاضربه بالطبرزين وان قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرني فحبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال أنا بختنصر فقال كذبت بختنصر أمرني أن أقتل أول من يخرج فضربه فقتله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي المعلى قال سمعت سعيد بن جبير قال بعث الله عليهم في المرة الاولى سنجاريب قال فرد الله لهم الكرة عليهم كما قال قال ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه فبعث عليهم في المرة الآخرة بختنصر فقتل المقاتلة وسبى الذرية وأخذ ما وجد من الاموال ودخلوا بيت المقدس كما قال الله عز وجل وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا دخلوه فتبروه وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر فقال الله عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا فرحمهم فرد اليهم ملكهم وخلص من كان في أيديهم من ذرية بني اسرائيل وقال لهم ان عدتم عدنا فقال أبو المعلى ولا أعلم ذلك الا من هذا الحديث ولم يعد لهم الرجعة الى ملكهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم قال بعث ملك فارس ببابل جيشا وأمر عليهم بختنصر فأتوا بني اسرائيل فدمروهم فكانت هذه الآخرة ووعدها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه قال ثلاثة فمن استأخر منكم بعدها فليمش الى خشبته فغزا الشام فذلك حين قتل وأخرب بيت المقدس ونزع حليته فجعلها آنية ليشرب فيها الخمور وخوانا يأكل عليه الخنازير وحمل التوراة معه ثم ألقاها في النار وقدم فيما قدم به مائة وصيف منهم دانيال وعزريا وحننيا وميشائيل فقال لانسان أصلح لي أجسام هؤلاء لعلي أختار منهم أربعة يخدمونني فقال دانيال لأصحابه انما نصروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم لا تأكلوا لحم الخنزير ولا تشربوا الخمر فقالوا للذي يصلح أجسامهم هل لك أن تطعمنا طعاما هو أهون عليك في المؤنة مما تطعم أصحابنا فان لم نسمن قبلهم رأيت رأيك قال ماذا قال خبز الشعير والكراث ففعل فسمنوا قبل أصحابهم

مرتبا عليه والا فالتقرير والتأكيد ليس يليق بالشرط الذي مبناه على تردد الحكم وقال النحويون ان الشرط أشبه النهي من حيث الجزم وعدم الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤكدة فيه من قرأ الفعل على التوحيد فقوله (أحدهما أو كلاهما) فاعل له لكن الاول بالاستقلال والثاني بتبعية العطف ومن قرأ على التثنية فأحدهما بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على البدل فهو بدل مثله ولا يصح أن يكون توكيدا للضمير معطوفا على البدل لاستلزام العطف المشاركة دون المباينة وكلاهما مفرد لفظا مثنى معنى وألفه عن واو وعند الكوفيين وأصله كل المفيد للاحاطة خفف بحذف احدى اللامين وزيد ألف التثنية ليعرف أن المراد الاحاطة في المثنى لا في الجمع وضعف بأنه لو كان كذلك لوجب أن يقال في الخفض والنصب مررت بكلي الرجلين بكسر الياء كقوله طرفي النهار ياصاحبي السجن قال في الكشاف معنى عندك هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه * وفي أف لغات ضم الهمزة مع الحركات في الفاء الثلاث بالتنوين وبدونه وأف بكسرتين بلا تنوين وأفي ممالا كبشرى وأف كخذ وأفة منونة وغير منونة وقد تتبع المنونة تفة فيقال أفة وتفة وهي من أسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتأفف من ريح وجدها أي يقول أف أف وقال الاصمعي الأف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشئ ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به وقيل معنى أف القلة من الافيف وهو الشئ القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان وحيث بيث وخبيث نبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي أن الاف الضجر وقال القتيبي أصله أنه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل أف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل اليهم وقال الزجاج معناه النتن وبه

فأخذهم بختنصر يخدمونه فبينماهم كذلك اذرأى بختنصر رؤيا فجلس فنسيها فعاد فرقد فرآها فقام فنسيها ثم عاد فرقد فرآها فخرج الى الحجرة فنسيها فلما أصبح دعا العلماء والكهان فقال أخبروني عما رأيت البارحة وأولوا لي رؤياي والا فليمش كل رجل منكم الى خشبته موعدكم ثالثة فقالوا هذا لو أخبرنا برؤياه وذكر كلاما لم أحفظه قال وجعل دانيال كلما مربه أحد من قرابته يقول لودعاني الملك لأخبرته برؤياه ولأولتها له قال فجعلوا يقولون ما أحمق هذا الغلام الاسرائيلي الى أن مربه كهل فقال له ذلك فرجع اليه فأخبره فدعاه فقال ماذا رأيت قال رأيت تمثالا قال ايه قال ورأسه من ذهب قال ايه قال وعنقه من فضة قال ايه قال وصدره من حديد قال ايه قال و بطنه من صفر قال ايه قال ورجلاه من آنك قال ايه قال وقدماه من فخار قال هذا الذي رأيت قال ايه قال فجاءت حصاة فوقعت في رأسه ثم في عنقه ثم في صدره ثم في بطنه ثم في رجليه ثم في قدميه قال فأهلكته قال فما هذا قال أما الذهب فانه ملكك وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ثم ملك ابن ابنك قال وأما الفخار فملك النساء فكساه جبة (٣) ترثون وسوره وطاف به في القرية وأجاز خاتمه فلما رأت ذلك فارس قالوا اما الامر الآمر هذا الاسرائيلي فقالوا ائتوه من نحو الفتية الثلاثة ولا تذكروا له دانيال فانه لا يصدقكم عليه فأتوه فقالوا ان هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك وآية ذلك أنك ان قربت اليهم لحم الخنزير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا فأمر بحطب كثير فوضع ثم أرقاهم عليه ثم أوقد فيه نارا ثم خرج من آخر الليل يبول فاذاهم يتحدثون واذا معهم رابع يروح عليهم يصلي قال من هذا يادانيال قال هذا جبريل انك ظلمتهم قال ظلمتهم مربهم ينزلوا فأمربهم فنزلوا قال ومسخ الله تعالى بختنصر من الدواب كلها فجعل من كل صنف من الدواب رأسه رأس سبع من السباع الأسد ومن الطير النسر وملك ابنه فرأى كفا خرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم في ذلك علما فقالت له أمه انك لو أعدت الى دانيال منزلته التي كانت له من أبيك أخبرك وكان قد جفاه فدعاه فقال اني معيد اليك منزلتك من أبي فأخبرني ما هذان السطران قال أما تعيد الي منزلتي من أبيك فلا حاجة لي بها وأما هذان السطران فانك تقتل الليلة فأخرج من في القصر أجمعين وأمر بقفله فأقفلت الابواب عليه وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه معه سيف فقال من جاءك من خلق الله فاقتله وان قال أنا فلان وبعث الله عليه البطن فجعل يمشي حتى كان شطر الليل فرقد ورقد صاحبه ثم نبهه البطن فذهب يمشي والآخر نائم فرجع فاستيقظ به فقال له أنا فلان فضربه بالسيف فقتله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة آخر العقوبتين ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة كما دخله عدوهم قبل ذلك وليتبروا ما علوا تتبيرا فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي أبغض خلق الله اليه فسبا وقتل وخرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال فاذا جاء وعد الآخرة من المرتين ليسوؤا وجوهكم قال ليقبحوا وجوهكم وليتبروا ما علوا تتبيرا قال يدمروا ما علوا تدميرا قال هو بختنصر بعثه الله عليهم في المرة الآخرة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر فخرب المساجد وتبر ما علوا تتبيرا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال فيما بلغني استخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك يعني بعد قتلهم شعياء رجلا منهم

فسر مجاهد الآية أي لا تقذرهما كما أنهما لم يتقذراك حين كنت تخرأ وتبول وفي رواية أخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما أف أي لا تقل تخرب أو أتضجر قال بعض الاصوليين منع التأفيف يدل على المنع من سائر أنواع الاذية دلالة لفظية ومعنى الآية لا تتعرض لهما بنوع من أنواع الايذاء والايحاش كما أن قولك لا تملك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على أنه لا تملك شيأ أصلا وقال الأكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة أخرى فاذا أردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما أن يكون الحكم في محل السكوت أخفى من الحكم في محل الذكر وهو أكثر القياسات واما أن يتساويا كقوله صلى الله عليه وسلم من أعتق نصيبا من عبد حرم عليه الباقي فان الحكم في الامة والعبد يتساويان واما أن يكون الحكم في محل المسكوت أظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التأفيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا لان الملك الكبير اذا أخذ ملكا آخر عدوا له فقد يقول للجلاد اياك وأن تستخف به أو تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته فهذا معقول في الجملة الا أن قرينة تعظيم الوالدين صيره من باب الاستدلال بالأدنى على الاعلى فدل على المنع من جميع أنواع الايذاء ثم أكد هذا المعنى بقوله (ولا تنهرهما) والنهر والنهي اخوان يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا مشتملا على حسن الأدب ورعاية دقائق المروءة والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب القول الكريم أن يقول له يا أبتاه يا أماه دون أن يسميهما باسمهما وقول ابراهيم لابيه آزر بالضم على النداء تقديم لحق الله على حق الأبوين قالوا ولا بأس به في الغيبة كما قالت عائشة نحلني أبو بكر كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد الفظ (واخفض لهما جناح الذل) ذكر ويقال

يقال له ناشية بن أموص فبعث الله الخضر نبيا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول انما سمى الخضر خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضرا قال واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني اسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران حدثني محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنا ابن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني واللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول قال الله تبارك وتعالى لأرميا حين بعثه نبيا الى بني اسرائيل يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولأمر عظيم اجتبأتك فبعث الله أرميا الى ذلك الملك من بني اسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله قال ثم عظمت الأحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ونسوا ما كان الله تعالى صنع بهم وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده فأوحى الله الى أرمياء أن ائت قومك من بني اسرائيل واقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرمياء اني ضعيف ان لم تقوني وعاجز ان لم تبلغني ومخطئ ان لم تسددني ومخذول ان لم تنصرني وذليل ان لم تعزني قال الله تبارك وتعالى أولم تعلم أن الامور كلها تصدر عن مشيئتي وأن القلوب كلها والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت فتطيعني واني أنا الله الذي لا شيء مثلي قامت السموات والارض وما فيهن بكلمتي وأنا كلمت البحار ففهمت قولي وأمرتها فعقلت أمري وحددت عليها بالبطحاء فلا تعدى حدي تأتي بأمواج كالجبال حتى اذا بلغت حدي ألبستها مذلة طاعتي خوفا واعترافا لأمري اني معك ولن يصل اليك شيء معي واني بعثتك الى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي ولتستحق بذلك مثل أجر من تبعك منهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ وان تقصر عنها فلك مثل وزر من تركت في عماه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ انطلق الى قومك فقل ان الله ذكر لكم صلاح آبائكم فحمله ذلك على أن يستتيبكم يا معشر الابناء وسلهم كيف وجد آباؤهم مغبة طاعتي وكيف وجدوا هم مغبة معصيتي وهل علموا أن أحدا قبلهم أطاعني فشقي بطاعتي أو عصاني فسعد بمعصيتي فان الدواب مما تذكر أوطانها الصالحة فتنتابها وان هؤلاء القوم قد رتعوا في مروج الهلكة أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا ليعبدوهم دوني وتحكموا فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمري وأنسوهم ذكري وغروهم مني أما أمراؤهم وقاداتهم فبطروا نعمتي وأمنوا مكري ونبذوا كتابي ونسوا عهدي وغيروا سنتي فادان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي الا لي فهم يطيعونهم في معصيتي ويتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني جراءة علي وغرة وفرية علي وعلى رسلي فسبحان جلالي وعلو مكاني وعظم شأني فهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي وهل ينبغي لي أن أخلق عبادا أجعلهم أربابا من دوني وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد ويتزينون بعمارتها لغيري لطلب الدنيا بالدين ويتفقهون فيها لغير العلم ويتعلمون فيها لغير العمل وأما أولاد الانبياء فمكثرون مقهورون مغيرون يخوضون مع الخائضين ويتمنون علي مثل نصرة آبائهم والكرامة التي أكرمتهم بها ويزعمون أن لا أحد أولى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبر ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لي وكيف كان جدهم في أمري حين غير المغيرون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا حتى عز أمري وظهر ديني فتأنيت

القفال في معنى خفض الجناح وجهين الاول أن الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكأنه قال للولد اكفل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك والثاني أن الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا أراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الاول أنها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل أو الذلول والثاني سلوك سبيل الاستعارة كأنه تخيل للذل جناحا ثم أثبت لذلك الجناح خفضا كقول لبيد ※ اذ أصبحت بيد الشمال زمامها ※ فأثبت للشمال يدا ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله (من الرحمة) في من معنى التعليل أي من أجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك التي لا دوام لها (و) لكن (قل رب ارحمهما كما ربياني) ليس المراد رحمة مثل رحمتهما علي وأما الكاف فلاقتران الشيئين في الوجود أي كما وقعت تلك فلتقع هذه والتربية التنمية ربا الشيء اذا انتفخ وزاد قال بعض المفسرين هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وقيل مخصوصة لان التخصيص أولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا كافرين فله أن يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وأن يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي في العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه أفي كل يوم مرة أو في كل شهر أو في كل سنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما في أواخر التشهدات كما أن الله تعالى قال يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وكانوا يرون الصلاة عليه في التشهد وكما قال الله تعالى واذكروا الله في أيام معدودات فهم يذكرون في أدبار

بهؤلاء القوم لعلهم يستجيبون فأطولت لهم وصفحت عنهم لعلهم يرجعون فأكثرت ومددت لهم في العمر لعلهم يتذكرون فأعذرت في كل ذلك أمطر عليهم السماء وأنبت لهم الارض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو فلا يزدادون إلا طغيانا وبعدا مني فحتى متى هذا أبي يتمرسون أم اياي يخادعون وانى أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ويضل فيها رأى ذي الرأى وحكمة الحكيم ثم لأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنتزع من صدره الرأفة والرحمة والبيان يتبعه عدد وسواد مثل سواد الليل المظلم له عساكر مثل قطع السحاب ومراكب أمثال العجاج كأن خفيق راياته طيران النسور وان حملة فرسانه كوبر العقبان ثم أوحى الله الى أرميا انى مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح ثم لما سمع أرميا وحي ربه صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال ملعون يوم ولدت فيه ويوم لقيت التوراة ومن شر أيامي يوم ولدت فيه فما أبقيت آخر الانبياء الا لما هو أشر علي لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الانبياء من بني اسرائيل فمن أجلي تصيبهم الشقوة والهلاك فلما سمع الله تضرع الخضر وبكاءه وكيف يقول ناداه يا أرميا أشق ذلك عليك فيما أوحيت لك قال نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني اسرائيل مالا أسر به فقال الله وعزتي العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبني اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك في ذلك ففرح عند ذلك أرميا لما قال له ربه وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر ربي بهلاك بني اسرائيل أبدا ثم أتى ملك بني اسرائيل فأخبره ما أوحى الله اليه فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدمناها لانفسنا وان عفا عنا فبقدرته ثم انهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها فقال لهم ملكهم يابني اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس الله وقبل أن يبعث عليكم قوم لا رحمة لهم بكم وان ربكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير رحيم بمن تاب اليه فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه وان الله قد ألقى في قلب بختنصر بن سور زاذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود بن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب ابراهيم الذي حاجه في ربه أن يسير الى بيت المقدس ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعل فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى ملك بني اسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم فأرسل الملك الى أرميا فجاءه فقال يا أرميا أين مازعمت لنا أن ربك أوحى اليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك فقال أرميا للملك ان ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما اقترب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم بعث الله ملكا من عنده فقال له اذهب الى أرميا فاستفته وأمره الذي يستفتي فيه فأقبل الى أرميا وكان قد تمثل له رجلا من بني اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال رجل من بني اسرائيل أستفتيك في بعض أمري فأذن له فقال له الملك يانبي الله أتيتك أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم بما أمرني الله به لم آت اليهم الا حسنا ولم آلهم كرامة فلا تزيدهم كرامتي اياهم الا اسخاطا لي فأفتني فيهم يانبي الله فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله أن تصل وأبشر بخير وانصرف عنه فمكث أياما ثم أقبل اليه في صورة ذلك الذي كان جاءه فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي فقال له نبي الله أوما ظهرت لك أخلاقهم بعد ولم تر منهم الذي تحب فقال يانبي الله

الصلاة قلت ويشبه أن يدعو لهما أيضا كلما ذكرهما أو ذكر شيأ من انعامهما وسئل أيضا عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لامركم به في الابوين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى سعيد ابن المسيب أن البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ماوليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وأنا قوي وفقيرا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيأ من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم وقال مامن حجر ولا مدر يسمع ذلك الا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لابيك مرتين وشكا اليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه الى البيعة واذا بعث اليه واحد منهما ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها ثم قال سبحانه (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه في كل الطاعات (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر الى الوالدين ثم فرطت منكم بادرة في حقهما فأبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاوابين غفورا) اللام للعهد كما روى عن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى أبيه لا يريد بذلك الا الخير أو للجنس فيشمل كل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجائي على أبويه . والذي

التائب من جنايته لو رده على أثره ثم وصى بغير الابوين من الاقارب بعد التوصية بهما فقال (وآت ذا القربى حقه) قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء والغنيمة وأوجب عليه اخراج حق المساكين وأبناء السبيل أيضا من هذين المالين والأظهر أنه خطاب لكل انسان كما في قوله وقضى ربك وأما الحق المأمور به للاقارب فهو اذا كانوا محارم كالأبوين والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعي لا ينفق الا على الولد والوالدين وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على السراء والضراء وفي عطف المسكين وابن السبيل على ذي القربى دليل على أن المراد بالحق الحق المالي وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل في البقرة وفي التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما يفرق البذر وهو الاسراف المذموم كانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتنفق أموالها في الفخر والسمعة كما ذكروا ذلك في أشعارها فنهوا عن ذلك وأمروا بالانفاق فيما يقرب الى الله قال ابن مسعود التبذير انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا ثم بالغ في تفظيع شأن التبذير قائلا (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي أمثالهم في الشرارة وأصدقاءهم من حيث انهم يطيعونهم في الامر بالاسراف أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) لانه يستعمل قواه البدنية في المعاصي والافساد والاضلال وكذلك من رزقه الله مالا أو جاها فصرفه الى غير مرضاة الله كان كفور النعمة الله ثم علم أدبا حسنا في رد السائل ان أفضى الامر الى ذلك ضرورة فقال (واما تعرضن عنهم) وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء والقول الميسور الرد بالطريق الأحسن وقيل اللين السهل

والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه الا قد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فقال النبي ارجع الى أهلك فأحسن اليهم أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته ويجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر بجنوده حول بيت المقدس ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بني اسرائيل فدعا أرميا فقال يا نبي الله أين ما وعدك الله فقال اني بربي واثق ثم ان الملك أقبل الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له النبي أولم يأن لهم أن يمتنعوا من الذي هم فيه مقيمون عليه فقال له الملك يا نبي الله كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه وأعلم أن مآربهم في ذلك سخطي فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله ولا يحبه الله عز وجل فقال له نبي الله على أي عمل رأيتهم قال يا نبي الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبي وصبرت لهم ورجوتهم ولكن غضبت اليوم لله ولك فأتيتك لأخبرك خبرهم واني أسألك بالله الذي بعثك بالحق الا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال أرميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من في أرميا حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا ملك السموات والارض بيدك ملكوت كل شئ وأنت أرحم الراحمين أين ميعادك الذي وعدتني فنودي أرميا انهم لم يصبهم الذي أصابهم الا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبي صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التي أفتى بها ثلاث مرات وأنه رسول ربه ثم ان أرميا طار حتى خالط الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى أرض بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل وأصاب كل رجل منهم أربعة أغلمة وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا ومشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط أسر بن يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط ريالون بن يعقوب ونفتالي بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ابني يعقوب ومن بقي من بني اسرائيل وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزل الله ببني اسرائيل باحداثهم وظلمهم فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بني اسرائيل أقبل أرميا على حمار له معه عصير تين ثم ذكر قصته حين أماته الله مائة عام ثم بعثه ثم خبر رؤيا بختنصر وأمر دانيال

قال الكسائي يسرت أيسر له القول أي لينته وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير وذلك أن القول المتعارف لا يحتاج الى تكلف وقيل ادع لهم بأن يسهل الله عليهم (٣٣) أسباب الرزق أي دعاء فيه يسر قال جار الله قوله (ابتغاء رحمة) اما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله (ترجوها) بسبب رحمتك عليهم واما أن يتعلق بالشرط أي وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فردهم ردا جميلا فسمى الرزق رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له والفقد سبب الابتغاء فأطلق المسبب على السبب ويجوز أن يكون الاعراض كناية عن عدم الاعطاء فان من أبى أن يعطى أعرض بوجهه ولما ذكر أدب المنع ونهى عن التبذير صرح بأدب الانفاق فقال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) وهو مثل لغاية الامساك بحيث يضيق على نفسه وأهله في سلوك سبيل الانفاق (ولا تبسطها كل البسط) أي لا توسع في الانفاق بحيث لا يبقى في يدك شئ وحين نهى عن طرفي التفريط والافراط المذمومين بقي الخلق الفاضل المسمى بالجود وهو العدل والوسط ثم بين غاية استعمال الطرفين قائلا (فتقعد ملوما) عند الناس بالبخل (محسورا) بالاسراف أي منقطعا عن المقاصد بسبب الفقر فقير محسور منقطع عن السير ولا شك أن المال مطية الحوائج والآمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وابقاء الاهل والولد في الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال ان أمي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقال لها قل ان أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع على قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت الآية وقيل أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن

وهلاك بختنصر ورجوع من بقي من بني اسرائيل في أيدي أصحاب بختنصر بعد هلاكه الى الشام وعمارة بيت المقدس وأمر عزير وكيف رد الله عليه التوراة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم عمدت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث يعني بعد مهلك عزير ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وكانوا من بيت آل داود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن عمر بن عبد الله بن عروة عن عبد الله ابن الزبير أنه قال وهو يحدث عن قتل يحيى بن زكريا قال ما قتل يحيى بن زكريا الا بسبب امرأة بغي من بغايا بني اسرائيل كان فيهم ملك وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك فهمت ابنة ذلك الملك بأبيها فقالت لو أني تزوجت بأبي فاجتمع لي سلطانه دون النساء فقالت له يا أبت تزوجني ودعته الى نفسها فقال لها يا بنية ان يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا فقالت من لي بيحيى بن زكريا ضيق علي وحال بيني وبين أن أتزوج بأبي فأغلب على ملكه ودنياه دون النساء قال فأمرت اللعابين وجعلت بذلك لاجل قتل يحيى بن زكريا فقالت ادخلوا عليه فالعبوا حتى اذا فرغتم فانه سيحكمكم فقولوا دم يحيى بن زكريا ولا تقبلوا غيره وكان اسم الملك رواد واسم ابنته البغي وكان الملك فيهم اذا حدث فكذب أو وعد فأخلف خلع فاستبدل به غيره فلما ألعبوه وكثر عجبه منهم قال سلوني أعطكم فقالوا له نسألك دم يحيى بن زكريا أعطناه اياه قال ويحكم سلوني غير هذا فقالوا لا نسألك شيأ غيره فخاف على ملكه ان هو أخلفهم أن يستحل بذلك خلعه فبعث الى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلي فذبحوه في طست ثم حزوا رأسه فاحتمله رجل في يده والدم يحمل في الطست معه قال فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك ورأسه تقول في يدي الذي يحمله لا يحل لك ذلك فقال رجل من بني اسرائيل أيها الملك لو أنك وهبت لي هذا الدم فقال وما تصنع به قال أطهر منه الارض فانه كان قد ضيقها علينا فقال أعطوه هذا الدم فأخذه فجعله في قلة ثم عمد به الى بيت في المذبح فوضع القلة فيه ثم أغلق عليه ففار في القلة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذي هو فيه فلما رأى الرجل ذلك فظع به فأخرجه فجعله في فلاة من الارض فجعل يفور وعظمت فيهم الأحداث ومنهم من يقول أقر مكانه في القربان ولم يحول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا وبعض الناس يقول وقتلوا زكريا ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤس جنده يدعى بنوزراذان صاحب القتل فقال له اني قد كنت حلفت بالهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري الا أن لا أجد أحدا أقتله فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم بنوزراذان فدخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم فقال يا بني اسرائيل ما شأن هذا الدم الذي يغلي أخبروني خبره ولا تكتموني شيأ من أمره فقالوا هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يتقبل منا فلذلك هو يغلي كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فتقبل منا الا هذا القربان قال ما صدقتموني الخبر قالوا له لو كان كأول زماننا لقبل منا ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يتقبل منا فذبح منهم بنوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحوا

على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ فلما
رأى بنور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يابنى اسرائيل اصدقونى واصبروا على أمر ربكم
فقد طال ماملكتم فى الارض تفعلون فيها ماشئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا
الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا له ان هذا دم نبى منا كان ينهانا عن أمور
كثيرة من سخط الله فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه
فقال لهم بنور زاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا فقال الآن صدقتمونى بمثل هذا ينتقم
ربكم منكم فلما رأى بنور زاذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله غلقوا الابواب أبواب
المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش حردوس وخلا فى بنى اسرائيل ثم قال يايحيى بن زكريا
قد علم ربى وربك ماقد أصاب قومك من أجلك وماقتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله قبل أن
لا أبقى من قومك أحدا فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله ورفع بنور زاذان عنهم القتل وقال
آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت وأيقنت أنه لارب غيره ولو كان معه آخر لم يصلح ولو
كان له شريك لم تستمسك السموات والارض ولو كان له ولد لم يصلح فتبارك وتقدس وتسبح وتكبر
وتعظم ملك الملوك الذى له ملك السموات السبع والارض ومافيهن ومابينهما وهو على كل شئ
قدير فله الحلم والعلم والعزة والجبروت وهو الذى بسط الارض وألقى فيها رواسى لئلا تزول فكذلك
ينبغى لربى أن يكون ويكون ملكه فأوحى الله الى رأس من رؤس بقية الانبياء أن بنور زاذان
حبور صدوق والحبور بالعبرانية حديث الايمان وان بنور زاذان قال لبنى اسرائيل يابنى
اسرائيل ان عدو الله حردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست
أستطيع أن أعصيه قالوا له افعل ماأمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل
والبغال والحمير والبقر والغنم والابل فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بالقتلى الذين كانوا
قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم فلم يظن حردوس الا أن ما كان
فى الخندق من بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بنور زاذان أن ارفع عنهم فقد بلغتنى
دماؤهم وقد انتقمت منهم بما فعلوا ثم انصرف عنهم الى أرض بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد
وهى الوقعة الآخرة التى أنزل الله ببنى اسرائيل يقول الله عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد
أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم
الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم
وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة
وليتبروا ماعلوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
وعسى من الله حق فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ثم رد الله لكم الكرة عليهم وكانت
الوقعة الآخرة حردوس وجنوده وهى كانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم
وسبى ذراريهم ونسائهم يقول الله تبارك وتعالى وليتبروا ماعلوا تتبيرا ثم عاد الله عليهم فأكثر
عددهم ونشرهم فى بلادهم ثم بدلوا وأحدثوا الأحداث واستبدلوا بكتابهم غيره وركبوا المعاصى
واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن أبى عتاب
رجل من تغلب كان نصرانيا عمرا من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه فى الدين وكان فيما ذكر

فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول أتجعل نهبى ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع فقال صلى الله عليه وسلم (٣٣) ياأبا بكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الابل
فنزلت ثم انه تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن الذى يرهقه من الاضاقة ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه تابع لمشيئة الخالق الرازق فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يضيق (انه كان بعباده) وبمصالحهم (خبيرا بصيرا) فالتفاوت فى الارزاق ليس لأجل البخل ولكن لرعاية الصلاح ويمكن أن يكون مراد الآية أن البسط الكلى والقبض الكلى من شأن الرب الخبير البصير وليس للعباد الا الاقتصاد ويحتمل أن يراد أنه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده يراعى أوسط الحالين فلا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته وتخلقوا بأخلاقه وفى الآية دلالة على أنه هو المتكفل بأرزاق العباد فلذلك قال بعده (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) وأيضا لما علم كيفية البر بالوالدين أراد أن يعلم كيفية البر بالأولاد فبر الآباء مكافأة وبر الابناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء النوع الانسانى لان قتل الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو لسوء الظن بالله وان كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعى فى تخريب العالم والاول ضد التعظيم لامر الله والثانى ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن محبة الولد فكأنه رغب عن جزئه قال

ولد المرء منه جزء وما حا
ل امرئ يودع الثرى منه جزأ

وكانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على القتل والغارة وأيضا كانوا يخافون أن فقرها ينفر أكفاءها فيحتاجون الى انكاحها من غير الاكفاء وفى ذلك عار شديد فبين الله سبحانه أن الموجب

أنه كان نصرانيا أربعين سنة ثم عمر فى الاسلام أربعين سنة قال كان آخر أنبياء بنى اسرائيل نبيا بعثه الله اليهم فقال لهم يابنى اسرائيل ان الله يقول لكم انى قد سلبت أصواتكم رأبغضتكم بكثرة أحداثكم فهموا به ليقتلوه فقال الله تبارك وتعالى له ائتهم واضرب لى ولهم مثلا فقل لهم ان الله تبارك وتعالى يقول لكم اقضوا بينى و بين كرمى ألم أختر له البلاد وطيبت له المدرة و حظرته بالسياج وعرشته السويق والشوك والسياج والعوسج وأحطته بردائى ومنعته من العالم وفضلته فلقينى بالشوك والجذوع وكل شجرة لا تؤكل ما لهذا اخترت البلدة ولا طيبت المدرة ولا حظرته بالسياج ولا عرشته السويق ولا حطته بردائى ولا منعته من العالم فضلتكم وأتممت عليكم نعمتى ثم استقبلتمونى بكل ما أكره من معصيتى وخلاف أمرى لمه ان الحمار ليعرف مذوده لمه ان البقرة لتعرف سيدها وقد حلفت بعزتى العزيزة و بذراعى الشديد لآخذن ردائى ولأمرجن الحائط ولأجعلنكم تحت أرجل العالم قال فوثبوا على نبيهم فقتلوه فضرب الله عليهم الذل ونزع منهم الملك فليسوا فى أمة من الامم إلا وعليهم ذل وصغار وجزية يؤدونها والملك فى غيرهم من الناس فلن يزالوا كذلك أبدا ما كانوا على ما هم عليه قال قال فهذا ما انتهى الينا من جماع أحاديث بنى اسرائيل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا قال كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير قال لان الاولى كانت هزيمة فقط والآخرة كان التدمير وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد وخرب المسجد **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا فى اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس قال فكان فيما نهاهم عنه نكاح ابنة الاخ قال وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها اذا دخلت على الملك فسألك حاجتك فقولى حاجتى أن تذبح لى يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها فقالت حاجتى أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلى غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا قال فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه فبدرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلى حتى بعث الله بختنصر عليهم فجاءته عجوز من بنى اسرائيل فدلته على ذلك الدم قال فألقى الله فى نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل سبعين ألفا منهم من سن واحد فسكن وقوله وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة يقول وليدخل عدوكم الذى أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهرا منهم لكم وغلبة كما دخلوه أول مرة حين أفسدتم الفساد الاول فى الارض وأما قوله وليتبروا ما علوا تتبيرا فانه يقول وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا يقال منه دمرت البلد اذا خربته وأهلكت أهله وتبر تبرا وتبارا وتبرته أتبره تتبيرا ومنه قول الله تعالى ذكره ولا تزد الظالمين إلا تبارا يعنى هلاكا ※ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وليتبروا ما علوا تتبيرا قال تدميرا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وليتبروا ما علوا تتبيرا قال يدمروا ما علوا تدميرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لعل ربكم يابنى اسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم

وليدخلوا

للرحمة والشفقة هو كونه ولدا فلهذا قال أولادكم و بين أن الخوف من الفقر لا وجه له لان الله هو الرزاق لكل وكثيرا ما يكون الابن أخرق من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان فى الانفاق عليهما قبل البلوغ ولما نهى عن قتل الاولاد المستدعى لافناء النسل ذكر النهى عن الزنا المفضى الى مثل ذلك ولا أقل من اختلاط النسب فقال (ولا تقربوا الزنا) وهذا آكد من أن يقال لا تزنوا ثم علل النهى بقوله (انه كان فاحشة) أى خصلة متزايدة فى القبح (وساء سبيلا) سبيله فاستدل القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل فى أن الاشياء لا تحسن ولا تقبح لذواتها بل لوجوه عائدة اليها فى أنفسها وأن تكاليف العباد واقعة على وفق مصالحهم فى المعاش والمعاد ومن مفاسد الزنا اختلاط الأنساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص معين لم يكن أحد بالتزام تربيته أولى من الآخر وكذا المرأة التى ولدته اذا لم يوجد سبب شرعى للزانى صارت هى به أولى بالرجل فلا يحصل الالف والمحبة ولا يتم السكون والازدواج و يتواثب كل رجل على كل امرأة أراد بحسب شهوته ومقتضى طبعه فتهيج بالفسوق الحروب بعد التشبه بالبهائم وأيضا ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلى هو أن تكون شريكة له فى ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بأمور الاولاد والعبيد ولن تتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وأيضا الوطء يوجب الذل والعار ولهذا لا يرتكب الا فى الاماكن المستورة وفى الاوقات المعلومة فاقتصار المرأة على الواحد من الرجال سعى فى تقليل ذلك العمل وكفى فى قبح الزنا أن مرتكبه من الرجال والنساء يستقذره كل عقل سليم و ينحط بذلك عن درجة الاعتبار وقد زعم فى التفسير الكبير أنه تعالى وصف الزنا فى آية أخرى بكونه مقتا لان الزانية تصير ممقوتة مكروهة وهو وهم

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة فيستنقذكم من أيديهم وينتشلكم من الذل الذى يحله بكم ويرفعكم من الخمولة التى تصيرون اليها فيعزكم بعد ذلك وعسى من الله واجب وفعل الله ذلك بهم فكثر عددهم بعد ذلك ورفع خساستهم وجعل منهم الملوك والانبياء فقال جل ثناؤه لهم وان عدتم يامعشر بنى اسرائيل لمعصيتى وخلاف أمرى وقتل رسلى عدنا عليكم بالقتل والسباء واحلال الذل والصغار بكم فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه واحلال سخطه بهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن عمر بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا قال عادوا فعاد ثم عادوا فعاد ثم عادوا فعاد قال فسلط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس سندبادان وشهربادان وآخر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قال الله تبارك وتعالى بعد الاولى والآخرة عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا قال فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال عسى ربكم أن يرحمكم فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته وان عدتم عدنا قال عاد القوم بشر ما يحضرهم فبعث الله عليهم ماشاء أن يبعث من نقمته وعقوبته ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة قال الله عز وجل فى آية أخرى واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة الآية فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا فعادوا فبعث عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى عسى ربكم أن يرحمكم قال بعد هذا وان عدتم لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الانبياء عدنا اليكم بمثل هذا

وقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن مسعدة قال ثنا جعفر بن سليمن عن أبى عمران وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال سجنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يقول جعل الله مأواهم فيها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال محبسا حصورا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يقول سجنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى حصيرا قال يحصرون فيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال يحصرون فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا سجنا يسجنون فيها حصروا فيها حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يقول سجنا * وقال آخرون معناه وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا ذكر من قال ذلك حدثنا

لان ذلك قد ورد فى أول سورة النساء فى نكاح منكوحات الاب قال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا واعلم انه هنالك عليه لئلا يقتدى به غيره فى السهو ولما فرغ من التكليف بالاحتياط (٣٥) فى مبدإ حال الانسان شرع بالتكليف بالاحتياط فى آخر عمره فقال (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) وفى التصريح بالتحريم بعد النهى تأكيد للحظر ولا ريب أن الاصل فى قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل فى المضار الحرمة ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحياة وكمال البنية ولكن الحل انما يثبت لأسباب عرضية فلهذا قال (الا بالحق) وهذا مجمل فبين ذلك الحق بقوله (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى تسلطا على استيفاء القصاص فظاهر الآية دل على أنه لا سبب لحل القتل الا اذا قتل مظلوما وظاهر قوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضى ضم شيئين آخرين اليه فرعا على القول بتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل أن يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف والحديث بتمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا يلزم التفريع المذكور ثم انه دلت آية أخرى على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وآية أخرى على سبب خامس وهو الكفر الاصلى واقتلوهم حيث ثقفتموهم هذا وقد أبدى الفقهاء أسبابا أخر منها أن تارك الصلاة يقتل عند الشافعى دون أبى حنيفة وكذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحرى وجوز بعضهم قتل من منع الزكاة أو يأتى البهيمة والذين منعوا القتل فى هذه الصور قالوا الاصل حرمة القتل كما بيناه فلا يترك هذا الدليل إلا لمعارض أقوى لا أقل من المساوى وهو النص المتواتر ثم انه سبحانه أثبت لولى الدم سلطانا ولم يبين أن هذه السلطنة تحصل فيماذا فقيل انه لما قال (فلا يسرف فى القتل) عرف أن تلك السلطنة انما تحصل فى استيفاء القتل وقيل معنى

قوله فلا يسرف في القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الى قوله فمن
عفي الآية فالاولى به أن لا يقدم على استيفاء القتل وأن يكتفي بالعفو وأخذ الدية ثبت أن هذه الآية لا يجوز التمسك بها في مسألة
أن موجب العمد هو القصاص وعن
الشافعي أن التنوين في قوله مظلوما
للتنكير فيدل على أن المقتول مالم
يكن كاملا في وصف المظلومية لم
يدخل تحت هذا النص فيعلم منه أن
المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي
مشرك فان ذنبه غير مغفور كالمشرك
ولان النصارى قائلون بالتثليث
وقد قال تعالى اقتلوا المشركين فثبت
أن الذمي غير كامل في المظلومية فلا
يندرج في الآية وأيضا ليس فيها
دلالة على أن الحر يقتل بالعبد
لأنها وان كانت عامة الا أن قوله
الحر بالحر والعبد بالعبد خاص
والخاص مقدم على العام من قرأ
فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى
خطاب الولي أو قاتل المظلوم ومن
قرأ على الغيبة فالضمير للولي أي
فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين
والقاتل واحد كعادة الجاهلية
وعن مجاهد أن الضمير الاول للقاتل
أما الضمير في قوله انه كان منصورا
فاما للولي أي حسبه أن الله قد
نصره بايجاب القصاص فلا يستزاد
عليه أو نصره بمعونة السلطان
والمؤمنين فلا يتبع ما وراء حقه واما
للمظلوم فان الله نصره في الدنيا
بايجاب القصاص على قاتله وفي
الآخرة باعطاء الثواب وأما الذي
يقتله الولي بغير حق ويسرف في
قتله فانه منصور بايجاب القصاص
على المسرف ولما ذكر النهي عن
اتلاف النفوس في المبادئ وفيما
وراءها أتبعه النهي عن اتلاف
الاموال وكان أهمها بالحفظ والرعاية
مال اليتيم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي) بالطريقة التي (هي أحسن) وهي تثميره وانماؤه روى
مجاهد عن ابن عباس اذا احتاج الولي أكل بالمعروف فاذا أيسر قضاه وان لم يوسر فلا شئ عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور

محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن الحصير فراش ومهاد وذهب
الحسن بقوله هذا الى أن الحصير في هذا الموضع عني به الحصير الذي يبسط ويفترش وذلك أن
العرب تسمي البساط الصغير حصيرا فوجه الحسن معنى الكلام الى أن الله جعل جهنم للكافرين به
بساطا ومهادا كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وهو وجه حسن وتأويل صحيح
وأما الآخرون فوجهوه الى أنه فعيل من الحصر الذي هو الحبس وقد بينت ذلك بشواهده في
سورة البقرة وقد تسمي العرب الملك حصيرا بمعنى أنه محصور أي محجوب عن الناس كما قال لبيد

ومقامة غلب الرقاب كأنهم * جن لدى باب الحصير قيام

يعني بالحصير الملك ويقال للبخيل حصور وحصر لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة وحبسه
اياه عن النفقة كما قال الاخطل

وشارب مربح بالكأس نادمني * لا بالحصور ولا فيها بسوّار

ويروى بسآر ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه واحتباسه اذا أراده ومنه أيضا الحصور عن
النساء لتعذر ذلك عليه وامتناعه من الجماع وكذلك الحصر في الغائط احتباسه عن الخروج وأصل
ذلك كله واحد وان اختلفت ألفاظه فأما الحصيران فالجنبان كما قال الطرماح

قليلا تتلي حاجة ثم عوليت * على كل معروش الحصيرين بادن

يعني بالحصيرين الجنبين * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال معنى ذلك وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا فراشا ومهادا لا يزايله من الحصير الذي هو بمعنى البساط لان ذلك اذا كان كذلك
كان جامعا معنى الحبس والامتهاد مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى
الحبس وانها اذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شئ فانما تقول هو له حاصر أو محصر فأما
الحصير فغير موجود في كلامهم الا اذا وصفته بأنه مفعول به فيكون في لفظ فعيل ومعناه مفعول به
ألا ترى بيت لبيد لدى باب الحصير فقال لدى باب الحصير لانه أراد لدى باب المحصور فصرف
مفعولا الى فعيل فأما فعيل في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر فذلك ما لا نجده في كلام العرب
فلذلك قلت قول الحسن أولى بالصواب في ذلك وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن
ذلك جائز ولا أعلم لما قال وجها يصح الا بعيدا وهو أن يقال جاء حصير بمعنى حاصر كما قيل عليم
بمعنى عالم وشهيد بمعنى شاهد ولم يسمع ذلك مستعملا في الحاصر كما سمعنا في عالم وشاهد * القول
في تأويل قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يقول تعالى ذكره
ان هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدد من اهتدى به للتي هي
أقوم يقول للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو
الاسلام يقول جل ثناؤه فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به الى قصد السبيل التي ضل عنها
سائر أهل الملل المكذبين به كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان
هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم قال للتي هي أصوب هو الصواب وهو الحق قال والمخالف هو الباطل
وقرأ قول الله تعالى فيها كتب قيمة قال فيها الحق ليس فيها عوج وقرأ ولم يجعل له عوجا قيما يقول
قيما مستقيما وقوله ويبشر المؤمنين يقول ويبشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد

الذين يؤمنون بالله ورسوله ويعملون فى دنياهم بما أمرهم الله به وينتهون عما نهاهم عنه بأن لهم أجرا من الله على ايمانهم وعملهم الصالحات كبيرا يعنى ثوابا عظيما وجزاء جزيلا وذلك هو الجنة التى أعدها الله تعالى لمن رضى عمله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أن لهم أجرا كبيرا قال الجنة وكل شئ فى القرآن أجر كبير أجر كريم ورزق كريم فهو الجنة وأن فى قوله أن لهم أجرا كبيرا نصب بوقوع البشارة عليها وأن الثانية معطوفة عليها وقوله وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول تعالى ذكره وأن الذين لا يصدقون بالمعاد الى الله ولا يقرون بالثواب والعقاب فى الدنيا فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصى الله أعتدنا لهم يقول أعددنا لهم لقدومهم على ربهم يوم القيامة عذابا أليما يعنى موجعا وذلك عذاب جهنم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا﴾ يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم ويدعو الانسان على نفسه وولده وماله بالشر فيقول اللهم أهلكه والعنه عند ضجره أو غضبه كدعائه بالخير يقول كدعائه ربه بأن يهب له العافية ويرزقه السلامة فى نفسه وماله وولده يقول فلو استجيب له فى دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له فى الخير هلك ولكن الله بفضله لا يستجيب له فى ذلك ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا يعنى قول الانسان اللهم العنه واغضب عليه فلو يعجل له ذلك كما يعجل له الخير لهلك قال ويقال هو واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما أن يكشف ما به من ضر يقول الله تبارك وتعالى لو أنه ذكرنى وأطاعنى واتبع أمرى عند الخير كما يدعونى عند البلاء كان خيرا له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا يدعو على ماله فيلعن ماله وولده ولو استجاب الله له لأهلكه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير قال يدعو على نفسه بما لو استجيب له هلك وعلى خادمه أو على ماله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا قال ذلك دعاء الانسان بالشر على ولده وعلى امرأته فيعجل فيدعو عليه ولا يحب أن يصيبه واختلف فى تأويل قوله وكان الانسان عجولا فقال مجاهد ومن ذكرت قوله معناه وكان الانسان عجولا بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه ۞ وقال آخرون عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجرى فى جميع جسده فرام النهوض فوصف ولده بالاستعجال لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام قبل أن يتم خلقه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم أن سلمان الفارسى قال أول ما خلق الله من آدم رأسه فجعل ينظر وهو يخلق قال وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال يارب عجل قبل الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولا حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما نفخ الله فى آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجرى شئ منها فى جسده الا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله تبارك وتعالى وكان الانسان عجولا قال ضجرا لا صبر له

(حتى يبلغ) اليتيم (أشده) بأن تكمل قواه العقلية والحسية كما مر فى آخر الأنعام (وأوفوا بالعهد) يتناول كل عهد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانونه فى المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا دل دليل خاص على ضده (ان العهد كان مسؤلا) أى مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به أو هو على حذف المضاف والمراد أن صاحب العهد مسؤل أو هو تخييل كأنه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموءودة سئلت ثم أمر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالقرسطون وقيل كل ميزان صغيرا أو كبيرا والأصح أنه لغة العرب من القسط النصيب المعدل وقيل رومى أو سريانى (ذلك) الايفاء والوزن المعدل (خير) من التطفيف (وأحسن تأويلا) عاقبة من آل اذا رجع أما فى الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراز عن الخيانة مالت القلوب اليه وعول الناس عليه فينفتح عليه أبواب المعاملات وأما فى الآخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد عليه شديد والعار فيه عظيم فيجب على العاقل أن يحترز عنه ثم أمر باصلاح اللسان والقلب فقال (ولا تقف) أى لا تتبع من قولك قفوت فلانا أى اتبعت أثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت والقبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار أقدام الناس ويستدلون بها على أحوالهم فى النسب والمراد النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم أو يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة فقيل نهى المشركين عن تقليد أسلافهم فى الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك وقيل أراد النهى عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات

بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ورأيت وعلمت ولم تسمع
ولم تر ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه
الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج أي بثبوت وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها هي غسالة أهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالآية زعما منهم أن الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم وأجيب بأن العلم قد يراد به الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب أنه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن سلمنا لكن الظن وقع في الطريق لان الشرع قد أقام الظن الغالب مقام العلم وأمر بالعمل به وزيف بأنه لا دليل قاطعا على وجوب العمل بالظن الغالب لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما يكون قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا الطلب دلالة قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بأن الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الآية تمسك بعام مخصوص للاتفاق على أن العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات وأروش الجنايات وكذا الفصد والحجامة وسائر المعالجات وكذا الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا لتحل ذبيحته أو الوارث لحصول التوارث أو الميت ليدفن في مقابر المسلمين وبالحقيقة أكثر الاعمال المعتبرة في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها
مظنونة وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الآية على أن
التمسك بالظن غير جائز لزم أن لا يجوز التمسك بهذه الآية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به وأجيب بأنا نعلم بالتواتر الظاهر من
فقال

على سراء ولا ضراء * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار باظلامه علامة الليل واضاءته علامة النهار لتسكنوا في هذا وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها وكل شئ فصلناه تفصيلا يقول وكل شئ بيناه بيانا شافيا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه وتخلصوا له العبادة دون الآلهة والأوثان
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل قال قال ابن الكواء لعلي يا أمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن فمحونا آية الليل فهذه محوه حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا فقال ما هذا السواد في القمر فقال علي فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة هو المحو حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن عمر قال كنت عند علي فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال ذاك آية الليل محيت حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا عمران بن حدير عن رفيع بن أبي كثير قال قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلوا عما شئتم فقام ابن الكواء فقال ما السواد الذي في القمر فقال قاتلك الله هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك قال ذلك محو الليل حدثني زكريا بن يحيي ابن أبان المصري قال ثنا ابن عفير قال ثنا ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا قال لعلي ما السواد الذي في القمر قال ان الله يقول وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل قال هو السواد بالليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان القمر يضيء كما تضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة قال ذكر ابن جريج عن مجاهد في قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين قال الشمس آية النهار والقمر آية الليل فمحونا آية الليل قال السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعلنا الليل والنهار آيتين قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله قال ابن جريج وأخبرنا عبد الله بن كثير قال فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة قال ظلمة الليل وسدفة النهار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعلنا الليل والنهار آيتين قال ليلا ونهارا كذلك جعلهما الله واختلف أهل العربية في معنى قوله وجعلنا آية النهار مبصرة

فقال بعض نحويي الكوفة معناها مضيئة وكذلك قوله والنهار مبصرا معناه مضيئا كأنه ذهب الى أنه قيل مبصرا لاضاءته للناس البصر وقال آخرون بل هو من أبصر النهار اذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر كقولهم رجل مجبن اذا كان أهله وأصحابه جبناء ورجل مضعف اذا كانت رواته ضعفاء فكذلك النهار مبصرا اذا كان أهله بصراء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتبتغوا فضلا من ربكم قال جعل لكم سبحا طويلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل شئ فصلناه تفصيلا أي بيناه تبيينا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾ يقول تعالى ذكره وكل انسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله وهو صائر اليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه وانما قوله ألزمناه طائره مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها فأعلمهم جل ثناؤه أن كل انسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر وشقاء يورده سعيرا أو كان سعدا يورده جنات عدن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن جابر بن عبد الله أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا طيرة وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه قال الطائر عمله قال والطائر في أشياء كثيرة فمنه التشاؤم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه قال عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان فزائل معه أينما زال قال ابن جريج وقال طائره عمله قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال عمله وما كتب الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد طائره عمله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو جميعا عن منصور عن مجاهد وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه قال عمله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد مثله حدثني واصل بن عبد الأعلى قال ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن الحكم عن مجاهد في قوله وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه قال ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد قال وسمعته يقول أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال هو ما سبق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه اي والله بسعادته وشقائه بعمله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة طائره عمله فان قال قائل وكيف قال ألزمناه طائره في عنقه ان كان الامر على ما وصفت ولم يقل ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد قيل لان العنق هو موضع السمات وموضع القلائد والاطوقة وغير ذلك مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بنسبة الاشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك الى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الاشياء اللازمة سائر الابدان الى الاعناق كما أضافوا جنايات أعضاء الابدان الى اليد فقالوا ذلك بما كسبت

دين محمد صلى الله عليه وسلم أن التمسك بآيات القرآن جائز ورد بأن كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهي بقوله (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) اشارة الى الاشياء الثلاثة وان لم تكن من ذوات العقول كقوله * والعيش بعد أولئك الايام * (كان عنه مسؤلا) قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب عليهم وفيه نظر لان المسند اليه الفعل أو شبهه لا يتقدم عليه والصواب أن يقال انه فاعل مسؤلا المحذوف والثاني مفسر له وكيف يسئل عن هذه الجوارح قيل يسئل صاحبها عما استعملها فيه لانها آلات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسألها عن أفعالها (ولا تمش في الارض مرحا) نصب على الحال مع أنه مصدر أي ذا مرح وهو شدة الفرح وفي وضع المصدر موضع الصفة نوع من التأكيد مثل أتاني ركضا وهو نهي عن مشية أهل الخيلاء والكبر (انك لن تخرق الارض) لن تثقبها بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) مصدر في موضع الحال من الفاعل أو المفعول أو تمييز أو مفعول له أو مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الآدمي بأنه في حال انخفاضه لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به أن يتكبر وبوجه آخر كأنه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل انه مثل ومعناه كما أنك لن تخرق الارض في مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا فكذلك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك وفيه يأس للانسان من بلوغ ارادته (كل ذلك كان سيئه) من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من قوله لا تجعل مع الله الها آخر بعضها حسن وهو المأمورات وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى أن ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند الله ويمكن أن يراد بسيئ تلك الخصال طرف الافراط أو التفريط ومن قرأ سيئة على التأنيث فقوله كل ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان الكلام قد تم

بداه وان كان الذى جر عليه لسانه أو فرجه فكذلك قوله ألزمناه طائره فى عنقه واختلفت القراء
فى قراءة قوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فقرأه بعض أهل المدينة ومكة وهو نافع
وابن كثير وعامة قراء العراق ونخرج بالنون له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا بفتح الياء من يلقاه
وتخفيف القاف منه بمعنى ونخرج له نحن يوم القيامة ردا على قوله ألزمناه ونحن نخرج له يوم
القيامة كتاب عمله منشورا وكان بعض قراء أهل الشام يوافق هؤلاء على قراءة قوله ونخرج
ويخالفهم فى قوله يلقاه فيقرؤه يلقاه بضم الياء وتشديد القاف بمعنى ونخرج له نحن يوم القيامة
كتابا يلقاه ثم يرده الى مالم يسم فاعله فيقول يلقى الانسان ذلك الكتاب منشورا وذكر عن مجاهد
ما حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير بن حازم عن حميد
عن مجاهد أنه قرأها ويخرج له يوم القيامة كتابا قال يزيد يعنى يخرج الطائر كتابا هكذا أحسبه
قرأها بفتح الياء وهى قراءة الحسن البصرى وابن محيصن وكأن من قرأ هذه القراءة وجه تأويل
الكلام الى ويخرج له الطائر الذى ألزمناه عنق الانسان يوم القيامة فيصير كتابا يقرؤه منشورا
وقرأ ذلك بعض أهل المدينة ويخرج له بضم الياء على مذهب مالم يسم فاعله وكأنه وجه معنى
الكلام الى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا يريد ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتابا الا أنه
نحاه نحو مالم يسم فاعله * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه ونخرج بالنون وضمها له
يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا بفتح الياء وتخفيف القاف لان الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى
أنه الذى ألزم خلقه ما ألزم من ذلك فالصواب أن يكون الذى يليه خبرا عنه أنه هو الذى يخرجه لهم
يوم القيامة وأن يكون بالنون كما كان الخبر الذى قبله بالنون وأما قوله يلقاه فان فى اجماع الحجة
من القراء على تصويب ما اخترنا من القراءة فى ذلك وشذوذ ما خالفه الحجة الكافية لنا على تقارب
معنى القراءتين أعنى ضم الياء وفتحها فى ذلك وتشديد القاف وتخفيفها فيه فاذا كان الصواب
فى القراءة هو ما اخترنا بالذى عليه دللنا فتأويل الكلام وكل انسان منكم يا معشر بنى آدم ألزمناه
نحسه وسعده وشقاءه وسعادته بما سبق له فى علمنا أنه صائر اليه وعامل من الخير والشر فى عنقه
فلا يجاوز فى شئ من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله وما كتبنا له أنه صائر اليه ونحن نخرج له اذا
وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التى عملها فى الدنيا وبطائره الذى كتبنا له وألزمناه اياه فى عنقه
قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف فى الدنيا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال هو عمله الذى عمل أحصى عليه
فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشورا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أى عمله حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ألزمناه طائره فى عنقه قال عمله ونخرج له
قال نخرج ذلك العمل كتابا يلقاه منشورا قال معمر وتلا الحسن عن اليمين وعن الشمال قعيد
يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك
فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيآتك فاعمل ما شئت أقلل
أو أكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى نخرج يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قد عدل والله عليك من جعلك حسيب
نفسك

عند قوله وأحسن تأويلا وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهى عنه فى قوله ولا تقف ولا تمش وانما قال سيئة على التأنيث مع قوله مكروها على
التذكير لانه جعل السيئة فى معنى الذنب (٤٠) والاثم قالت المعتزلة الكراهة نقيض الارادة ففى الآية دلالة على أن المنهيات لا تكون مرادة
لله تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم
تكن مرادة له لم تكن مخلوقة له لان
الخلق بدون الارادة محال أجابت
الاشاعرة بأن المراد من كراهتها
كونها منهيا عنها وزيف بأنه عدول
عن الظاهر مع لزوم التكرار لان
كونها سيئة يدل على كونها منهية
وأجيب بأنه لا بأس بالتكرار لاجل
التأكيد (ذلك) الذى ذكر من قوله
لا تجعل الى هذه الغاية وترتقى الى
خمسة وعشرين تكليفا (مما أوحى
اليك ربك من الحكمة) سمى حكمة
لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد
بوجه روى عن ابن عباس أنها
كانت فى ألواح موسى عليه السلام
وباصطلاح الحكماء ان الحكمة
عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير
لاجل العمل به لا ريب أن الامر
بالتوحيد رأس الحكمة النظرية
وسائر التكاليف مشتملة على أصول
مكارم الاخلاق وهى الحكمة العملية
ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه
التكاليف النهى عن الشرك وكذا
خاتمتها لان التوحيد رأس كل حكمة
وملاكها ومن فقده لم ينفعه شئ من
العلوم وان بذ فيها الأقران والاكفاء
وحلق بما فوقه السماء وقد راعى فى
هذا التكرار دقيقة فرتب على الاول
كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة
الى حال المشرك فى الدنيا ورتب على
الثانى أنه يلقى فى جهنم ملوما مدحورا
وأنها حاله فى الآخرة وفى القعود
هنالك والالقاء ههنا اشارة الى أن
للانسان فى الدنيا صورة اختيار
بخلاف الآخرة والله أعلم بمراده وقد
يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو أن يذكر أن الفعل الذى قدم عليه قبيح منكر واللوم هو أن يقال له لم فعلت
مثل هذا الفعل وما الذى حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والمدحور بأن المخذول عبارة

عن الضعيف يقال تخاذلت أعضاؤه أي ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم أنكر على المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله فقال (أفأصفاكم) أي أخصكم (ربكم) على وجه الخلوص والصفاء (٤١) (بالبنين) الذين هم أفضل الاولاد (واتخذ من

نفسك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة طائره عمله ونخرج له بذلك العمل كتابا يلقاه منشورا وقد كان بعض أهل العربية يتأول قوله وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه أي حظه من قولهم طار سهم فلان بكذا اذا خرج سهمه على نصيب من الانصباء وذلك وان كان قولا له وجه فان تأويل أهل التأويل على ما قد بينت وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه الى غيره على أن ما قاله هذا القائل ان كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ يقول تعالى ذكره ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فترك ذكر قوله فنقول له اكتفاء بدلالة الكلام عليه وعنى بقوله اقرأ كتابك اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا الذي كان كاتبانا يكتبانه ونحصيه عليك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا يقول حسبك اليوم نفسك عليك حاسبا يحسب عليك أعمالك فيحصيها عليك لا نبتغي عليك شاهدا غيرها ولا نطلب عليك محصيا سواها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ يقول تعالى ذكره من استقام على طريق الحق فاتبعه وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فانما يهتدي لنفسه يقول فليس ينفع بلزومه الاستقامة وايمانه بالله ورسوله غير نفسه ومن ضل يقول ومن جار عن قصد السبيل فأخذ على غير هدى وكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحق فليس يضر بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه لانه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه وانما عنى بقوله فانما يضل عليها فانما يكسب اثم ضلاله عليها لا على غيرها وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يعني تعالى ذكره ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام وقال وازرة وزر أخرى لان معناها ولا تزر نفس وازرة وزر نفس أخرى يقال منه وزرت كذا أزره وزرا والوزر هو الاثم يجمع أوزارا كما قال تعالى ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم وكأن معنى الكلام ولا تأثم آثمة اثم أخرى ولكن على كل نفس اثمها دون اثم غيرها من الانفس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تزر وازرة وزر أخرى والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره ولا يؤاخذه الا بعمله وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يقول تعالى ذكره وما كنا مهلكي قوم الا بعد الاعذار اليهم بالرسل واقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ان الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق اليه من الله خبرا أو يأتيه من الله بينة وليس معذبا أحدا الا بذنبه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن أبي هريرة قال اذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين جاء الاسلام وقد خرفوا ثم أرسل رسولا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم يأتنا رسول وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن همام عن أبي هريرة نحوه

الملائكة) أولادا (اناثا انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد الى من لا يصح له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون وهذا خلاف معقولكم وعاداتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والأصفى والسادة بالأدون والارذل ثم بجعلكم الملائكة الذين هم أعلى خلق الله على الاطلاق أو التقييد على المذهبين أخس الصنفين وهو الاناث ﴿ التأويل خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم لقطع تعلقه عن الكونين من بين الثقلين فقال لا تجعل مع الله الها آخر من الدنيا والآخرة ثم شرف أمته بتبعيته قائلا وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وانما قال ربك لانه أصل في التربية والامة تبع له فمن حكم في الازل أنه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبالوالدين والد الروح ووالدة البدن والاحسان بهما أن يراقبهما في العبودية لمعبد الله كأنه مأمور بانه اما يبلغن عندك يخاطب القلب ويوصيه بأن يواسي والد الروح عند كبره وهو بلوغه أعلى مراتب القرب وعجزه عند سطوات تجلي صفات الالوهية ويداري والدة البدن حينئذ فلا يستعملها عند العجز ولا تنهرهما عند الاستراحة وارفق بهما عند استعمالهما في العبودية ولا تتكبر عليهما فانك أخذت التربية منهما لان القلب طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجد التربية منهما صورة ومعنى الى أن صار قابلا للتجلي والخلافة ربكم أعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من أنانيته الى هويته دون من كان مقيدا بنفسه غفورا ساترا بأنوار جماله ثم

أخبر عن آداب الخلافة ثم الاوات ذا القربى وهو النفس حقه فان لنفسك عليك حقا من غير سراف وتقتير ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون
علوا كبيرا تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شئ
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم انه كان حليما غفورا
واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا
مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة
أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا
ذكرت ربك فى القرآن وحده
ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم
بما يستمعون به اذ يستمعون اليك
واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان
تتبعون الا رجلا مسحورا أنظر
كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا
يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا
عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا
جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا
أو خلقا مما يكبر فى صدوركم
فسيقولون من يعيدنا قل الذى
فطركم أول مرة فسينغضون اليك
رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى
أن يكون قريبا يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده وتظنون ان
لبثتم الا قليلا وقل لعبادى يقولوا
التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ
بينهم ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ربكم أعلم بكم ان يشأ
يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما
أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم
بمن فى السموات والأرض ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض
وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا أولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا
شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أمرنا مترفيها فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق أمرنا بقصر الالف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها واذا قرئ ذلك كذلك فان الأغلب من تأويله أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها بمعصيتهم الله وخلافهم أمره كذلك تأوله كثير ممن قرأه كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أمرنا مترفيها قال بطاعة الله فعصوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا شريك عن سلمة أو غيره عن سعيد بن جبير قال أمرنا بالطاعة فعصوا وقد يحتمل أيضا اذا قرئ كذلك أن يكون معناه جعلناهم أمراء ففسقوا فيها لان العرب تقول هو أمير غير مأمور وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول قد يتوجه معناه اذا قرئ كذلك الى معنى أكثرنا مترفيها ويحتج لتصحيحه ذلك بالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة ويقول ان معنى قوله مأمورة كثيرة النسل وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قيله ولا يجيز أمرنا بمعنى أكثرنا الا بمد الالف من أمرنا ويقول فى قوله مهرة مأمورة انما قيل ذلك على الاتباع لمجىء مأبورة بعدها كما قيل ارجعن مأزورات غير مأجورات فهمز مأزورات لهمز مأجورات وهى من وزرت إتباعا لبعض الكلام بعضا وقرأ ذلك أبو عثمن أمرنا بتشديد الميم بمعنى الامارة حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن عوف عن أبى عثمن النهدى أنه قرأ أمرنا مشددة من الامارة وقد تأول هذا الكلام على هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أمرنا مترفيها يقول سلطنا أشرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب وهو قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت الكسائى يحدث عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس أنه قرأها أمرنا وقال سلطنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى حفص عن الربيع عن أبى العالية قال أمرنا مثقلة جعلنا عليها مترفيها مستكبريها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى أمرنا مترفيها قال بعثنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك آمرنا بمد الالف من أمرنا بمعنى أكثرنا فسقتها وقد وجه تأويل هذا الحرف الى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل الا أن الذين حدثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراآت فى ذلك وكيف قرأ ذلك المتأولون الا القليل منهم ذكر من تأول ذلك كذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا أردنا أن نهلك قرية آمرنا مترفيها ففسقوا فيها يقول أكثرنا عددهم حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة قوله آمرنا مترفيها قال أكثرناهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله امرنا مترفيها قال أكثرناهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمن

قال سمعت الضحاك يقول في قوله أمرنا مترفيها يقول أكثرنا مترفيها أي كبراءها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول يقول أكثرنا مترفيها أي جبابرتها ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله فدمرناها تدميرا وكان يقال إذا أراد الله بقوم صلاحا بعث عليهم مصلحا وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أمرنا مترفيها قال أكثرناهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بين إبهامه والتي تليها قالت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها قال ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا أكثرنا قال والعرب تقول للشيء الكثير أمر لكثرته فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا فإنه يقال أمر بنو فلان وأمر القوم يأمرون أمرا وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم كما قال لبيد

إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا * يوما يصيروا للقل والنفد

والأمر المصدر والاسم الإمر كما قال الله جل ثناؤه لقد جئت شيئا إمرا قال عظيما وحكي في مثل شر أمر أي كثير * وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ أمرنا مترفيها بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة فأولى التأويلات به تأويل من تأوله أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول لأن الأغلب من معنى أمرنا الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه أولى ما وجد إليه سبيل من غيره ومعنى قوله ففسقوا فيها خالفوا أمر الله فيها وخرجوا عن طاعته فحق عليها القول يقول فوجب عليها بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها وعيد الله الذي أوعد من كفر به وخالف رسله من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج فدمرناها تدميرا يقول فخربناها عند ذلك تخريبا وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكا كما قال الفرزدق

وكان لهم كبكر ثمود لما * رغا ظهرا فدمرهم دمارا

القول في تأويل قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذبي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش وتهديد لهم بالعقاب وإعلام منه لهم أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله عليه السلام أنه محل بهم سخطه ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا في الكفر بالله وتكذيب رسله سبيلهم يقول الله تعالى ذكره وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به وتكذيب رسله على مثل الذي أنتم عليه ولستم بأكرم على الله تعالى منهم لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه فيعذب قوما بما لا يعذب به آخرين أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين

بالآيات إلا تخويفا وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) القراآت ليذكروا من الذكر وكذلك في

الفرقان حمزة وعلي وخلف الآخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر كما يقولون على الغيبة ابن كثير وحفص عما تقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف تسبح بتاء التأنيث أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون على التذكير أئذا أئنا القول فيه كما مر في الرعد وكذلك في آخر هذه السورة وفي سورة قد أفلح وفي سورة السجدة ﴿الوقوف﴾ ليذكروا ط نفورا ○ سبيلا ○ كبيرا ○ فيهن ط تسبيحهم ط غفورا ○ مستورا ○ لا للعطف وقرا ط نفورا ط ○ مسحورا ○ سبيلا ○ جديدا ○ جديدا ○ لا صدوركم ج للفاء مع أن السين للاستئناف يعيدنا ط أول مرة ج لما قلنا متى هو ط قريبا ○ قليلا ○ أحسن ط بينهم ط مبينا ○ أعلم بكم ○ يعذبكم ط وكيلا ط والأرض ط زبورا ○ تحويلا ○ عذابه ط محذورا ○ شديدا ط ○ مسطورا ○ الأولون ط لأن الواو للاستئناف فظلموا بها ط تخويفا ○ بالناس ط في القرآن ط الكل لما مر ونخوفهم لا لصحة عطف المستقبل على المستقبل كبيرا ○ ﴿التفسير﴾ لما بين أنواع الحكم ومكارم الأخلاق ذكر غاية مظلومية الإنسان وجهوليته فقال (ولقد صرفنا) أي بينا أحسن بيان لأن من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع ومن مثال إلى مثال حتى ينتهي به إلى ما هو مراده من الإيضاح ومفعول التصريف متروك أي أوقعنا التصريف (في هذا القرآن) أو محذوف للعلم به والمراد صرفنا فيه ضروبا (من كل مثل) وأراد بهذا القرآن إبطال إضافتهم البنات إلى الله لأنه مما كرر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وقيل لفظة في زائدة كقوله

يقول جل ثناؤه فأنيبوا الى طاعة الله ربكم فقد بعثنا اليكم رسولا ينبهكم على حججنا عليكم ويوقظكم من غفلتكم ولم نكن لنعذب قوما حتى نبعث اليهم رسولا منبها لهم على حجج الله وانتم على فسوقكم مقيمون وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيرا يقول وحسبك يا محمد بالله خابرا بذنوب خلقه عالما فانه لا يخفى عليه شئ من أفعال مشركى قومك هؤلاء ولا أفعال غيرهم من خلقه هو بجميع ذلك عالم خابر بصير يقول يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شئ ولا يعزب عنه منه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وقد اختلف فى مبلغ مدة القرن فحدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا حماد بن سلمة عن أبى محمد بن عبد الله بن أبى أوفى قال القرن عشرون ومائة سنة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن كان وآخرهم يزيد بن معاوية * وقال آخرون بل هو مائة سنة ذكر من قال ذلك حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحمصى أبو الصلت الطائى قال ثنا سلامة بن حواس عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازنى قال وضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت كم القرن قال مائة سنة حدثنا حسان بن محمد قال ثنا سلامة بن حواس عن محمد بن القاسم قال مازلنا نعدّه حتى تمت مائة سنة ثم مات قال أبو الصلت أخبرنى سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله ابن بسر * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال أخبرنا عمر بن شاكر عن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن أربعون سنة وقوله وكفى بربك أدخلت الباء فى قوله بربك وهو فى محل رفع لان معنى الكلام وكفاك ربك وحسبك ربك بذنوب عباده خبيرا دلالة على المدح وكذلك تفعل العرب فى كل كلام كان بمعنى المدح أو الذم تدخل فى الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء فى موضع رفع لتدل بدخولها على المدح أو الذم كقولهم أكرم به رجلا وناهيك به رجلا وجاد بثوبك ثوبا وطاب بطعامكم طعاما وما أشبه ذلك من الكلام ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الاسماء رفعت لانها فى محل رفع كما قال الشاعر

ويخبرنى عن غائب المرء هديه * كفى الهدى عما غيب المرء مخبرا

فأما اذا لم يكن فى الكلام مدح أو ذم فلا يدخلون فى الاسم الباء لا يجوز أن يقال قام بأخيك وأنت تريد قام أخوك الا أن تريد قام رجل آخر به وذلك معنى غير المعنى الاول ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) يقول تعالى ذكره من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى واياها يبتغى لا يوقن بمعاد ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يقول يعجل الله له فى الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به أو اهلاكه بما يشاء من عقوباته ثم جعلنا له جهنم يصلاها يقول ثم أصليناه عند مقدمه علينا فى الآخرة جهنم مذموما على قلة شكره ايانا وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده فى الدنيا مدحورا يقول مبعدا مقصى فى النار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يقول من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته عجل الله له فيها ما يشاء ثم اضطره الى جهنم قال ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مذموما فى نعمة الله مدحورا فى نقمة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة أنه سمع أبا اسحق الفزارى يقول عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قال لمن

وأصلح لى فى ذريتى قال الجبائى فى قوله (ليذكروا) دلالة على أنه أراد منهم فهمها والايمان بها وأراد بالذكر ههنا فيمن قرأ مخففا هو التذكر والتأمل لا الذكر الذى هو نقيض النسيان وقالت الاشاعرة قوله (وما يزيدهم الانفورا) دلت على عكس ذلك لان الحكيم اذا أراد تحصيل أمر من الامور وعلم أن الفعل الفلانى يصير سببا لعسره وتعذره والنفرة عنه يقبح منه الامر بذلك الفعل ولما أخبر أن هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا أنه ما أراد الايمان منهم عن سفيان الثورى أنه كان اذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا ثم دل على التوحيد الذى أمر به فى قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فقال (قل لو كان معه آلهة كما يقولون) أى كما يقول المشركون من اثبات آلهة من دونه أو كما تقولون أيها المشركون وفى قوله (اذا) دلالة على أن ما بعدها وهو (لابتغوا) جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو قاله فى الكشاف قلت ولعل اذا ههنا ظرف لما دل عليه لابتغوا أى لطلبوا اذ ذاك الى ذى العرش سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض ومثله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ويسمى فى عرف المتكلمين دليل التمانع وسيجىء بحثه فى سورة الانبياء ان شاء الله العزيز وقيل معنى الآية لو كانت هذه الاصنام كما تقولون من أنها تقربكم الى الله زلفى لطلبت لأنفسها المراتب العالية والدرجات الرفيعة فلما لم تقدر أن تتخذ لأنفسها سبيلا الى الله فكيف يعقل أن تهديكم الى الله ثم نزه نفسه عن أقوالهم فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) فوضع الثلاثى وهو العلو موضع المنشعبة وهو التعالى كقوله أنبتكم من الارض نباتا ثم وصف العلو بالكبر مبالغة فى النزاهة وتنبيها على أن بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين الغنى المطلق والفقير المطلق مباينة لا تعقل الزيادة عليها ثم بين غاية ملكه ونهاية عظمته بقوله (تسبح له) الآية قالت العقلاء تسبيح الحى المكلف يكون تارة باللسان بأن

زيدهلكته حدثني علي بن داود قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله مذموما يقول ملوما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قال العاجلة الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ يقول تعالى ذكره من أراد الآخرة وإياها طلب ولها عمل عملها الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه وأضاف السعي الى الهاء والالف وهي كناية عن الآخرة فقال وسعى للآخرة سعي الآخرة ومعناه وعمل لها عملها المعروفة السامعين بمعنى ذلك وأن معناه وسعى لها سعيه لها وهو مؤمن يقول هو مؤمن مصدق بثواب الله وعظيم جزائه على سعيه لها غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة يقول الله جل ثناؤه فأولئك يعني فمن فعل ذلك كان سعيهم يعني عملهم بطاعة الله مشكورا وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا شكر الله لهم حسناتهم وتجاوز عن سيآتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ يقول تعالى ذكره نمد ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة ومريدي الآخرة الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه فيرزقهما جميعا من رزقه الى بلوغهما الأمد واستيفائهما الأجل ما كتب لهما ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات وتفترق بهما بعد الورود المصادر ففريق مريدي العاجلة الى جهنم مصدرهم وفريق مريدي الآخرة الى الجنة مآبهم وما كان عطاء ربك محظورا يقول وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعا عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك وقد آتاه الله إياه * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أي منقوصا وان الله عز وجل قسم الدنيا بين البر والفاجر والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما كان عطاء ربك محظورا قال منقوصا حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدي قال ثنا سهل بن أبي الصلت السراج قال سمعت الحسن يقول كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك قال كلا نعطي من الدنيا البر والفاجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء الآية ومن أراد الآخرة ثم قال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك قال ابن عباس فيرزق من أراد الدنيا ويرزق من أراد الآخرة قال ابن جريج وما كان عطاء ربك محظورا قال ممنوعا حدثنا بشر قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أهل الدنيا وأهل الآخرة من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا قال ممنوعا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أهل الدنيا وأهل الآخرة من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا من بر ولا فاجر قال والمحظور الممنوع وقرأ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انظر

يقول سبحان الله وأخرى بدلالة أحواله على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون الا من القبيل الثاني وقد تقرر في أصول الفقه أن اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا في حالة واحدة فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون وأورد عليه أنه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان التسبيح بهذا الوجه مفقوه معلوم وأجيب بأن دلالة كل شئ على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل لانك اذا أخذت تفاحة واحدة فلا شك أنها مركبة من أجزاء لا تتجزأ ولكن عدد تلك الاجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها الا الله وأيضا الخطاب للمشركين وانهم وان كانوا مقرين بالخالق الا أنهم لما أثبتوا له شريكا وأنكروا قدرته على البعث والاعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكأنهم لم يفقهوا التسبيح اذ لم يتوسلوا به الى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الآية بقوله (انه كان حليما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وزعم بعض الظاهريين أن ما سوى الحي المكلف يسبح الله باللسان أيضا كل بلغته ولسانه الذي لا نعرفه نحن ولا نفقهه وزعم أيضا أن الحيوان اذا ذبح لا يسبح وكذا غصن الشجرة اذا كسرة فأورد عليه أن كونه جمادا لا يمنع من كونه مسبحا فكيف صار ذبح الحيوان مانعا له عن التسبيح وكذا كسر الغصن ويمكن أن يجاب بأن تسبيح كل شئ لعله مختص بتركيبه الذي خلق عليه فاذا أبطل ذلك التركيب وفك ذلك النظم لم يبق مسبحا مطلقا ولا على ذلك النحو واعترض عليه أيضا بأنه اذا جاز في الجمادات أن تكون عالمة بذات الله سبحانه وبصفاته مسبحة له مع أنها ليست بأحياء انسد علينا باب العلم بكونه تعالى حيا لانا نستدل بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن أن يجاب بأنا نستدل على حياته تعالى بالاذن الشرعي ولو سلم أن العلم يستلزم الحياة عقلا فقد

كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد بعين قلبك الى هذين الفريقين الذين هم أحدهما الدار العاجلة واياها يطلب ولها يعمل والآخر الذي يريد الدار الآخرة ولها يسعى موقنا بثواب الله على سعيه كيف فضلنا أحد الفريقين على الآخر بأن بصرنا هذا رشده وهديناه للسبيل التي هي أقوم ويسرناه للذي هو أهدى وأرشد وخذلنا هذا الآخر فأضللناه عن طريق الحق وأغشينا بصره عن سبيل الرشد وللآخرة أكبر درجات يقول وفريق مريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة وأكبر تفضيلا بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أي في الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وان للمؤمنين في الجنة منازل وان لهم فضائل بأعمالهم وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الارض ومغاربها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوهته وعبادته ولكن أخلص له العبادة وأفرد له الالوهة فانه لا اله غيره فانك ان تجعل معه الها غيره وتعبد معه سواه تقعد مذموما يقول تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه وتصييرك الشكر لغير من أولاك المعروف وفي اشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوأ واذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه ولي ينصرك ويدفع عنك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا يقول مذموما في نعمة الله وهذا الكلام وان كان خرج على وجه الخطاب لنبي الله صلى الله عليه وسلم فهو معني به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جل وعز ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره اياكم ألا تعبدوا الا الله فانه لا ينبغي أن يعبد غيره وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله وقضى ربك وان كان معنى جميعهم في ذلك واحدا ذكر ما قالوا في ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه يقول أمر حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا زكريا بن سلام قال جاء رجل الى الحسن فقال انه طلق امرأته ثلاثا فقال انك عصيت ربك وبانت منك امرأتك فقال الرجل قضى الله ذلك علي قال الحسن وكان فصيحا ما قضى الله أي ما أمر الله وقرأ هذه الآية وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه فقال الناس تكلم الحسن في القدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه أي أمر ربك في ألا تعبدوا الا اياه فهذا قضاء الله العاجل وكان يقال في بعض الحكمة من أرضى والديه أرضى خالقه ومن أسخط والديه فقد أسخط ربه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة

قيل ان لكل موجود حياة تليق به ولما فرغ من الالهيات شرع في النبوات فقال (واذا قرأت القرآن) قيل نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن عليهم يروى أنه كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره أحزاب من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وعن أسماء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ومعه أبو بكر اذ أقبلت امرأة أبي لهب ومعها حجر فهر تريد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تقول مذمما أتينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا فقال أبو بكر يا رسول الله ان معها حجرا أخشى عليك فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فجاءت وما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان قريشا قد علمت أني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس أن أبا سفيان والنضر بن الحرث وأبا جهل وغيرهم كانوا يجالسون الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون حديثه فقال النضر يوما ما أدري ما يقول محمد غير أني أرى شفتيه تتحرك بشئ وقال أبو سفيان اني أرى بعض ما يقوله حقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد تلاوة القرآن تلا قبلها ثلاث آيات وهن في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجاثية أفرأيت من اتخذ الهه هواه وكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات عن عيون المشركين وذلك قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أي ذا ستر وقد جاء مفعول بمعنى ذا كذا كما جاء فاعل على ذلك كثيرا نحو لابن وتامر من ذلك قولهم رجل مرطوب أي ذو رطوبة ومكان مهول وذهول وسيل مفعم ذو افعام وجوز الاخفش مجيء مفعول بمعنى فاعل مثل مشؤم وميمون وقيل انه حجاب يخلقه الله في عيونهم بحيث يمنعهم

وقضى

وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه قال أمر ألا تعبدوا الا اياه وفى حرف ابن مسعود ووصى ربك ألا تعبدوا الا اياه حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى قال ثنا نصير بن أبى الاشعث قال ثنى ابن حبيب بن أبى ثابت عن أبيه قال أعطانى ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة أبى بن كعب قال أبو كريب قال يحيى رأيت المصحف عند نصير فيه ووصى ربك يعنى وقضى ربك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه قال وأوصى ربك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه قال أمر ألا تعبدوا الا اياه حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن أبى اسحق الكوفى عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا وقوله وبالوالدين احسانا يقول وأمركم بالوالدين احسانا أن تحسنوا اليهما وتبروهما ومعنى الكلام وأمركم أن تحسنوا الى الوالدين فلما حذفت أن تعلق القضاء بالاحسان كما يقال فى الكلام آمرك به خيرا وأوصيك به خيرا بمعنى آمرك أن تفعل به خيرا ثم تحذف أن فيتعلق الامر والوصية بالخير كما قال الشاعر

عجبت من دهماء اذ تشكونا ❊ ومن أبى دهماء اذ يوصينا ❊ خيرا بها كأننا جافونا

فأعمل يوصينا فى الخير واختلفت القراء فى قراءة قوله اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفيين اما يبلغن على التوحيد على توجيه ذلك الى أحدهما لان أحدهما واحد فوحدوا يبلغن لتوحيده وجعلوا قوله أو كلاهما معطوفا على الاحد وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين اما يبلغانّ على التثنية وكسر النون وتشديدها وقالوا قد ذكر الوالدان قبل وقوله يبلغانّ خبر عنهما بعد ما قدم أسماءهما قالوا والفعل اذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة قالوا والدليل على أنه خبر عن اثنين فى الفعل المستقبل الالف والنون قالوا وقوله أحدهما أو كلاهما كلام مستأنف كما قيل فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم وكقوله وأسروا النجوى ثم ابتدأ فقال الذين ظلموا ❊ وأولى القراءتين بالصواب عندى فى ذلك قراءة من قرأ اما يبلغن على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما لان الخبر عن الامر بالاحسان فى الوالدين قد تناهى عند قوله وبالوالدين احسانا ثم ابتدأ قوله اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وقوله فلا تقل لهما أف يقول فلا تؤفف من شئ تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس ولكن اصبر على ذلك منهما واحتسب الأجر فى صبرك عليه منهما كما صبرا عليك فى صغرك ❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد فى قوله فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما قال ان بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن فلا تقل لهما أف تقذرهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد امّا يبلغانّ عندك الكبر فلا تقل لهما أف حين ترى الأذى وتميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيرا ولا تؤذهما وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى أف فقال بعضهم معناه كل ما غلظ من الكلام وقبح وقال آخرون الأف وسخ الاظفار والتف كل ما رفعت بيدك من الارض من شئ حقير وللعرب فى أف لغات ست رفعها بالتنوين وبغير التنوين وخفضها كذلك

الحجاب عن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وذلك الحجاب شئ لا يراه أحد فهو مستور وعلى هذا يصح قول الاشاعرة انه يجوز أن تكون الحاسة سليمة والمرئى حاضرا والرؤية غير حاصلة لأجل أنه تعالى يخلق فى العيون شيأ يمنعهم عن الرؤية ويحتمل أن يراد حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به والقول الثانى فى الآية أن المراد بالحجاب الطبع والختم فاستدلت الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الآية على صحة مذهبهم فى خلق الكفر والايمان كما مر فى سورة الانعام فى قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا وأجاب الجبائى بأن المراد أنهم يطلبون موضعه بالليالى ليقتلوه ويستدلون عليه باستماع قراءته فآمنه الله من شرهم بأن جعل فى قلوبهم ما شغلهم عن فهم القرآن وفى آذانهم ما منعهم عن سماع صوته قال الكعبى أراد به التخلية والخذلان كالسيد اذا لم يراقب حال عبده فساءت أخلاق العبد يقول أنا ألقيتك فى هذه الحالة بسبب أنى خليتك ورأيك وقال جار الله هذه حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا غلف وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح أهل الشرك أنهم كانوا يحبون أن تذكر آلهتهم كلما ذكر الله فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر آلهتهم نفروا وانهزموا عن المجلس فلذلك قال تعالى (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) وهو مصدر سد مسد الحال والتقدير يحد وحده مثل وأرسلها العراك (ولوا على أدبارهم نفورا) مصدر من غير لفظ التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود فأوعدهم الله على ذلك بقوله (نحن أعلم بما يستمعون به) من الهزء بك وبالقرآن قال جار الله به فى موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أى هازئين و (اذ يستمعون) نصب بما دل عليه أعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذهم نجوى) أى يتناجون بها اذهم ذوو نجوى (اذ يقول الظالمون) اذ بدل من اذهم (ان تتبعون) أى على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله (الا رجلا مسحورا) سحر

ونصبهافن خفض ذلك بالتنوين وهى قراءة عامة أهل المدينة شبهها بالاصوات التى لامعنى لها كقولهم فى حكاية الصوت غاق غاق تخفضوا القاف ونونوها وكان حكمها السكون فانه لاشئ يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الالف فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين فحركوا الى أقرب الحركات من السكون وذلك الكسر لان المجزوم اذا حرك فانما يحرك الى الكسر وأما الذين خفضوا ذلك بغير تنوين وهى قراءة عامة قراء الكوفيين والبصريين فانهم قالوا انما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصا كالذى يأتى على حرفين مثل مه وصه وبخ فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنية الأسماء قالوا وأف تام لاحاجة بنا الى تتمته بغيره لانه قد جاء على ثلاثة أحرف قالوا وانما كسرنا الفاء الثانية لئلا نجمع بين ساكنين وأما من ضم ونون فانه قال هو اسم كسائر الاسماء التى تعرب وليس بصوت وعدل به عن الاصوات وأما من ضم ذلك بغير تنوين فانه قال ليس هو باسم متمكن فيعرب باعراب الاسماء المتمكنة وقالوا نضمه كما نضم قوله لله الامر من قبل ومن بعد وكما نضم الاسم فى النداء المفرد فنقول يازيد ومن نصبه بغير تنوين وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فانه شبهه بقولهم مدّ ياهذا وردّ ومن نصب بالتنوين فانه أعمل الفعل فيه وجعله اسما صحيحا فيقول ماقلت له أفا ولا تفا وكان بعض نحويى البصرة يقول قرئت أف وأفا لغة جعلوها مثل نعتها وقرأ بعضهم أف وذلك أن بعض العرب يقول أف لك على الحكاية أى لاتقل لهما هذا القول قال والرفع قبيح لانه لم يجئ بعده بلام والذين قالوا أف فكسروا كثير وهو أجود وكسر بعضهم ونون وقال بعضهم أفى كانه أضاف هذا القول الى نفسه فقال أفى هذا لكما والمكسور من هذا منون وغير منون على أنه اسم غير متمكن نحو أمس وما أشبهه والمفتوح بغير تنوين كذلك وقال بعض أهل العربية كل هذه الحركات الست تدخل فى أف حكاية تشبه بالاسم مرة وبالصوت أخرى قال وأكثر ماتكسر الاصوات بالتنوين اذا كانت على حرفين مثل صه ومه وبخ واذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت بالأدوات أف مثل ليت ومذ وأف مثل مد تشبه بالأدوات (١) واذا قال أف مثل صه وقالوا سمعت مض ياهذا ومض وحكى عن الكسائى أنه قال سمعت ما علمك أهلك الا مض ومض وهذا كأف وأف ومن قال أفا جعله مثل سحقا وبعدا والذى هو أولى بالصحة عندى فى قراءة ذلك قراءة من قرأه فلا تقل لهما أف بكسر الفاء بغير تنوين لعلتين احداهما أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب والثانية أن حظ كل مالم يكن له معرب من الكلام السكون فلما كان ذلك كذلك وكانت الفاء فى أف حظها الوقوف ثم لم يكن الى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه وكان حكم الساكن اذا حرك أن يحرك الى الكسر حركت الى الكسر كما قيل مدّ وشدّ وردّ الباب وقوله ولا تنهرهما يقول جل ثناؤه ولا تزجرهما كما حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا واصل الرقاشى عن عطاء بن أبى رباح فى قوله ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما قال لاتنفض يدك على والديك يقال منه نهره ينهره نهرا وانتهره ينتهره انتهارا وأما قوله وقل لهما قولا كريما فانه يقول جل ثناؤه وقل لهما قولا جميلا حسنا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وقل لهما قولا كريما قال أحسن ماتجد من القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا المعتمر بن سليمن عن عبدالله بن المختار عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر بن الخطاب قولا كريما قال لاتمتنع من شئ يريدانه «قال أبو جعفر» وهذا الحديث خطأ أعنى حديث هشام بن عروة انما هو عن هشام بن عروة عن أبيه ليس فيه عمر حدث

(١) فى الكلام شئ فحرره

واختلط عقله وزال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذى أفسد من قولهم طعام مسحور اذا أفسد عمله وأرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغى فأفسدها وقال مجاهد مسحورا (٤٨) مخدوعا لأن السحر حيلة وخديعة زعموا أن محمدا يتعلم من بعض الناس وأولئك الناس كانوا يخدعونه بهذه الحكايات أو زعموا أن الشيطان يخدعه فيتمثل له بصورة الملك وقال أبو عبيدة يريد بشرا ذا سحر وهو الرئة قال ابن قتيبة لاأدرى ماحمله على هذا التفسير المستنكر مع أن السلف فسروه بالوجوه الواضحة (انظر كيف ضربوا لك الامثال) شبهك كل منهم بشئ آخر فقالوا انه كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون (فضلوا) فى جميع ذلك عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى والبيان ضلال من تحير فى التيه الذى لامنار به وحين فرغ من شبهات القوم فى النبوات حكى شبهتهم فى أمر المعاد وأيضا لما ذكر أن القوم وصفوه بأنه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان فى زعمهم دالا على اختلاط العقل وهو دعوى الانسان أنه يصير حيا بعد أن كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة من كل شئ ينكسر وهو اسم كالرضاض والفتات ويقال منه رفت عظام الجزور رفتا اذا كسرها وتقرير الشبهة أن الانسان اذا مات جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت فى جوانب العالم واختلطت بسائطها بأمثالها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها ثم عود الحياة الى ذلك المجموع فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بأن اعادة بدن الميت الى حالة الحياة أمر ممكن ولو فرضتم أن بدنه قد صار أبعد شئ من الحياة ورطوبة الحى وغضاضته ومن جنس ماركب منه البشر كالحجارة أو الحديد فهو كقول القائل أتطمع فىّ وأنا فلان فيقول كن ابن الخليفة أو من شئت فسأطلب منك حقى أما قوله (خلقا مما يكبر فى صدوركم) فالمراد افرضوا شيأ آخر أبعد عن قبول الحياة من الحجر والحديد بحيث تستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحياة وعلى هذا لاحاجة الى تعيين

عن ابن علية وغيره عن عبد الله بن المختار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقل لهما قولا كريما أى قولا لينا سهلا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة ابن عمران عن أبى الهداج التجيبى قال قلت لسعيد بن المسيب كل ما ذكر الله عز وجل فى القرآن من بر الوالدين فقد عرفته الا قوله وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم فقال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾ يقول تعالى ذكره وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية ولا تخالفهما فيما أحبا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال لا تمتنع من شئ يحبانه حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى قال سمعت هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال هو أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شئ أحباه حدثنى محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا الثورى عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال لا تمتنع من شئ أحباه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عبد الله بن المختار عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال هو أن لا تمتنع من شئ يريدانه حدثنا أبو كريب قال ثنا المقرئ أبو عبد الرحمن عن حرملة بن عمران عن أبى الهداج قال قلت لسعيد بن المسيب ما قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال ألم تر الى قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ والذل بضم الذال والذلة مصدران من الذليل وذلك أن يتذلل وليس بذليل فى الخلقة من قول القائل قد ذللت لك أذل ذلة وذلا وذلك نظير القل والقلة اذا أسقطت الهاء ضمت الذال من الذل والقاف من القل واذا أثبتت الهاء كسرت الذال من الذلة والقاف من القلة كما قال الاعشى * وما كنت قلا قبل ذلك أزيبا * يريد القلة وأما الذل بكسر الذال واسقاط الهاء فانه مصدر من الذلول من قولهم دابة ذلول بينة الذل وذلك اذا كانت لينة غير صعبة ومنه قول الله جل ثناؤه هو الذى جعل لكم الارض ذلولا يجمع ذللا كما قال جل ثناؤه فاسلكى سبل ربك ذللا وكان مجاهد يتأول ذلك أنه لا يتوعر عليها مكان سلكته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق والشام واخفض لهما جناح الذل بضم الذال على أنه مصدر من الذليل وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجحدرى جناح الذل بكسر الذال حدثنا ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال كن لهما ذليلا ولا تكن لهما ذلولا حدثنا نصر بن على قال أخبرنى عمر بن شقيق قال سمعت عاصما الجحدرى يقرأ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال كن لهما ذليلا ولا تكن لهما ذلولا حدثنا ابن بشار قال ثنا عمر بن شقيق عن عاصم مثله * قال أبو جعفر وعلى هذا التأويل الذى تأوله عاصم كان ينبغى أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها وبكسرها حدثنا نصر وابن بشار وحدثت عن

ذلك الشئ وقال مجاهد أراد به السموات والارض وعن ابن عباس أنه الموت أى لو صارت أبدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحياة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما يقال هو روح مجسم أو وجود محض والا فالموت عرض وانقلاب الجسم عرضا محال وبتقدير التسليم فالموت كيف يقبل الحياة لان الضد يمتنع أن يقبل الضد وفى قوله (قل الذى فطركم أول مرة) بيان كاف وبرهان شاف لانه لما سلم أن خالق الحيوان هو الله فتلك الاجسام فى الجملة قابلة للحياة والعقل والله العالم عالم بجميع الجزئيات والكليات فلا يشتبه عليه أجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جعلها متصفة بالحياة فى أول الامر فلأن يقدر على اعادتها الى الحياة فى ثانى الحال أولى ألزمهم أولا بأن البعث أمر ممكن وان فرضتم بدن الميت أى شئ أردتم فكأنهم سلموا امكانه ولكن تجاهلوا وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فأجاب بأنه الفاطر الاول ثم زادوا فى الاعتراض فسألوا عن تعيين الوقت يقينا وذلك قوله (فسينغضون اليك رؤسهم) أى فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء قال أبو الهيثم يقال للرجل اذا أخبر بشئ فحرك رأسه الى فوق والى أسفل انكارا له أنغض رأسه قال المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقته على التعيين مما استأثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض أكثر من سبعمائة سنة ولم يظهر لانا نقول كل ما هو آت قريب واذا كان ما مضى أكثر مما بقى فان الباقى قليل قوله (يوم يدعوكم) منتصب باذكروا والمراد يوم يدعوكم كان ما كان أو هو بدل من قريبا والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذى يسمعكم وهو النفخة الاخيرة يروى أن اسرافيل ينادى أيها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودى كما كنت والاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه وهى مثل الاجابة بزيادة تأكيد لما فى

السين من طلب الموافقة قال في الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بأمر يشق عليه ستأتي به وأنت حامد شاكر

الفراء قال ثني هشيم عن أبي بشر جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير أنه قرأ واخفض لهما جناح الذل قال الفراء وخبرني الحكم بن ظهير عن عاصم بن أبي النجود أنه قرأها الذل أيضا فسألت أبا بكر فقال الذل قرأها عاصم وأما قوله وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فانه يقول ادع الله لوالديك بالرحمة وقل رب ارحمهما وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك كما تعطفا علي في صغري فرحماني وربياني صغيرا حتى استقللت بنفسي واستغنيت عنهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا هكذا علمتم وبهذا أمرتم خذوا تعليم الله وأدبه ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو ماد يديه رافع صوته يقول من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه ولكن كانوا يرون أنه من بر والديه وكان فيه أدنى تقى فان ذلك مبلغه جسيم الخير وقال جماعة من أهل العلم ان قول الله جل ثناؤه وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا منسوخ بقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ثم أنزل الله عز وجل بعد هذا ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قال في سورة بني اسرائيل إما يبلغان عندك الكبر أحدهما أو كلاهما الى قوله وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فنسختها الآية التي في براءة ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس وقل رب ارحمهما الآية قال نسختها الآية التي في براءة ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وان كان ظاهرها عاما في كل الآباء بغير معنى النسخ بأن يكون تأويلها على الخصوص فيكون معنى الكلام وقل رب ارحمهما اذا كانا مؤمنين كما ربياني صغيرا فتكون مرادا بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء وعنى بقوله ربياني نمياني ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا) يقول تعالى ذكره ربكم أيها الناس أعلم منكم بما في نفوسكم من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكرمتهم والبر بهم وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم والعقوق لهم وغير ذلك من ضمائر صدوركم لا يخفى عليه شيء من ذلك وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه فاحذروا أن تضمروا لهم سوءا وتعقدوا لهم عقوقا وقوله ان تكونوا صالحين يقول ان أنتم أصلحتم نياتكم فيهم وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم والقيام بحقوقهم عليكم بعد هفوة كانت منكم أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه فانه كان للأوابين بعد الزلة والتائبين بعد الهفوة غفورا لهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي وعمي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير ربكم أعلم بما في نفوسكم قال البادرة تكون من الرجل الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فقال ربكم أعلم بما

أي ستنتهي إلى حالة تحمد الله وتشكره على أن اكتفى منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد وقال سعيد ابن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده أي بمعرفته وطاعته لأن التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد * وقال آخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لأنهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) عن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب وقت البعث وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزول عنهم هول العذاب في ذلك الوقت وقيل أراد استقصار لبثهم في عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم أمر المؤمنين بالرفق والتدريج عند ايراد الحجة على المخالفين فقال (وقل لعبادي) أي المؤمنين لأن لفظ العباد يختص بهم في أكثر القرآن فبشر عبادي الذين يستمعون القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلي في عبادي (يقولوا) الكلمة أو الحجة (التي هي أحسن) وألين وهي أن لا تكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي بين الفريقين جميعا فيزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) أيها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة ومن ايذائهم (أو ان يشأ يعذبكم) بتسليطهم عليكم (وما أرسلناك) يا محمد عليهم وكيلا أي حافظا موكولا اليك أمرهم انما أنت بشير ونذير

فى نفوسكم حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنى أبى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن حبيب بن أبى ثابت فى قوله انه كان للأوابين غفورا قال هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه وفى نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فانه كان للأوابين غفورا فقال بعضهم هم المسبحون ذكر من قال ذلك حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة وحدثنى ابن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فانه كان للأوابين غفورا قال المسبحين حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا أبو خيثمة زهير قال ثنا أبو اسحق عن أبى ميسرة عن عمرو بن شرحبيل قال الأواب المسبح * وقال آخرون هم المطيعون المحسنون ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فانه كان للأوابين غفورا يقول للمطيعين المحسنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانه كان للأوابين غفورا قال هم المطيعون وأهل الصلاة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فانه كان للأوابين غفورا قال للمطيعين المصلين * وقال آخرون بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن أبى صخر حميد بن زياد عن ابن المنكدر يرفعه فانه كان للأوابين غفورا قال الصلاة بين المغرب والعشاء * وقال آخرون هم الذين يصلون الضحى ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنى رباح أبو سليمن الرقاء قال سمعت عونا العقيلى يقول فى هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال الذين يصلون صلاة الضحى * وقال آخرون بل هو الراجع من ذنبه التائب منه ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد ابن الوليد القرشى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال فى هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال الذى يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب حدثنا ابن المثنى قال ثنا سليمن بن داود عن شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب فى هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يسئل عن هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى جرير بن حازم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن سعيد بن المسيب بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فانه كان للأوابين غفورا قال هو العبد يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول فذكر مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب قال الأواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب

والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التى هى أحسن مفسرة بقوله ربكم أعلم بكم الى آخره أى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار أى قل لعبادى الذين أقروا بكونهم عبادا لى يقولوا الكلمة التى هى أحسن وهى كلمة التوحيد والبراءة من الشركاء والاضداد لان ذلك أحسن بالبديهة من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر أحسن من وصفه بالعجز عنه والحامل على مثل هذه العقائد هو الشيطان المعادى ثم قال لهم (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بتوفيق الهداية وان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر الا أن تلك المشيئة غائبة عنكم فلا تقصروا فى الجد والطلب ثم قال لرسوله (وما أرسلناك عليهم وكيلا) حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة وهذا قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وحين قال ربكم أعلم بكم عمم الحكم فقال (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) يعنى أن علمه غير مقصور عليكم ولا على أحوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وفيه رد على أهل مكة فى انكارهم أن يكون يتيم أبى طالب مفضلا على الخلائق ونبيا دون صناديد قريش وأكابرهم وانما ختم الآية بقوله (وآتينا داود زبورا) ليعلم أن التفضيل ليس بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه الا معززا بايتاء الكتاب وفيه أيضا اشارة الى أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وأمته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون أى محمد وأمته ومعنى التنكير فى زبورا أنه

ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال الراجعين الى الخير حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو جميعا عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير فانه كان للأوابين غفورا قال الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد قال الأواب الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال في هذه الآية انه كان للأوابين غفورا قال الذي يذكر ذنبه ثم يتوب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله جل ثناؤه للأوابين غفورا قال الاوابون الراجعون التائبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير قوله فانه كان للأوابين غفورا قال الذي يتذكر ذنوبه فيستغفر الله لها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن شريح عن عقبة بن مسلم عن عطاء بن يسار أنه قال في قوله فانه كان للأوابين غفورا يذنب العبد ثم يتوب فيتوب الله عليه ثم يذنب فيتوب فيتوب الله عليه ثم يذنب الثالثة فان تاب تاب الله عليه توبة لا تمحى * وقد روى عن عبيد بن عمير غير القول الذي ذكرنا عن مجاهد وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله فانه كان للأوابين غفورا قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال الأواب هو التائب من الذنب الراجع من معصية الله الى طاعته ومما يكرهه الى ما يرضاه لان الأواب انما هو فعال من قول القائل آب فلان من كذا اما من سفره الى منزله أو من حال الى حال كما قال عبيد ابن الأبرص

وكل ذي غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

فهو يؤب أوبا وهو رجل آئب من سفره وأواب من ذنوبه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله وآت ذا القربى فقال بعضهم عنى به قرابة الميت من قبل أبيه وأمه أمر الله جل ثناؤه عباده بصلتها ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا حبيب المعلم قال سأل رجل الحسن قال أعطي قرابتي زكاة مالي فقال ان لهم في ذلك لحقا سوى الزكاة ثم تلا هذه الآية وآت ذا القربى حقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وآت ذا القربى حقه قال صلته التي تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله اليه حدثني محمد بن سعد قال

كامل في كونه كتابا والزبور وزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن أو المراد بعض الزبر والزبور كما يسمى بعض القرآن قرآنا وقيل ان كفار قريش ما كانوا أهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات وكانت اليهود تقول انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على أنها صور الملائكة أو على طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال (قل ادع الذين زعمتم من دونه) وقيل أراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا وانما خصصت الآية باحدى هؤلاء الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب وتقرير الرد أن المعبود الحق هو الذي قدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال أو مكان الى مكان وهذه التي زعمتم أنها آلهة لا تقدر على شئ من ذلك فوجب القطع بأنها ليست بآلهة * سؤال ما الدليل على أن الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر فان قلتم لأنا نرى أولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا تحصل الاجابة قلنا ان المسلمين أيضا يتضرعون الى الله ولا يجابون وبتقدير الاجابة في بعض الاوقات فالكفار أيضا يحصل مطلوبهم أحيانا فيقولون انه من الملائكة جوابه أن الملائكة مقرون بأن الاله الاعظم خالق العالم فكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه أن قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله قليلة حقيرة واذا كان كذلك وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم أولى وأحذر أخذا بالمعلوم المتيقن دون المظنون الموهوم على أن أهل السنة قاطعون بأنه لا تأثير لشئ في الوجود الا لله تعالى يقول مؤلف هذه

ثنى

ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتحسن الى ابن السبيل * وقال آخرون بل عنى به قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزنى عن السدى عن أبى الديلم قال قال على بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام أقرأت القرآن قال نعم قال أفما قرأت فى بنى اسرائيل وآت ذا القربى حقه قال وانكم للقرابة التى أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه قال نعم * وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبل آبائهم وأمهاتهم وذلك أن الله عز وجل عقب ذلك عقيب حضه عباده على بر الآباء والأمهات فالواجب أن يكون ذلك حضا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التى لم يجر لها ذكر واذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك اياه وبرك به والعطف عليه وخرج ذلك مخرج الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله يدل على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جل ثناؤه وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما فوجه الخطاب بقوله وقضى ربك الى نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا تعبدوا الا اياه فرجع بالخطاب به الى الجميع ثم صرف الخطاب بقوله اما يبلغن عندك الى افراده به والمعنى بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أو عم به هو وجميع أمته وقوله والمسكين وهو ذو الذلة من أهل الحاجة وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وابن السبيل يعنى المسافر المنقطع به يقول تعالى وصل قرابتك فاعطه حقه من صلتك اياه والمسكين ذا الحاجة والمجتاز بك المنقطع به فأعنه وقوه على قطع سفره وقد قيل انما عنى بالامر باتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام والقول الاول عندى أولى بالصواب لان الله تعالى لم يخصص من حقوقه شيأ دون شئ فى كتابه ولا على لسان رسوله فذلك عام فى كل حق له أن يعطاه من ضيافة أو حمولة أو معونة على سفره وقوله ولا تبذر تبذيرا يقول ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال فى معصيته تفريقا وأصل التبذير التفريق فى السرف ومنه قول الشاعر

أناس أجاروناف كان جوارهم * أعاصير من فسق العراق المبذر

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن أبى العبيدين قال قال عبد الله فى قوله ولا تبذر تبذيرا قال التبذير فى غير الحق وهو الاسراف حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبى العبيدين قال سئل عبد الله عن المبذر فقال الانفاق فى غير حق حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن أبى العبيدين ضرير البصر أنه سئل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تبذر تبذيرا قال انفاق المال فى غير حقه حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين عن عبد الله مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا شعبة عن الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين كان ضرير البصر سأل ابن مسعود فقال ما التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه حدثنا خلاد بن أسلم قال

التفسير أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم اليه الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابورى نظم الله أحواله فى أولاه وأخراه رأيت فى بعض الكتب مرويا عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه من وقع فى ملمة وطلب كفاية مهمهم فليسجد فى خلوة وليقل فى سجدته الهى أنت الذى قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف ما بى فانه اذا قال ذلك كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جرب فوجد كذلك ثم انه تعالى أكد عدم اقتدار معبوديهم ببيان غاية افتقارهم الى الله تعالى فى جذب المنافع ودفع المضار فقال (أولئك) وهو مبتدأ و (الذين يدعون) صفته و (يبتغون) خبره يعنى أن أولئك المعبودين يطلبون (الى ربهم الوسيلة) أى القربة فى الحوائج و (أيهم) بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف أى يبتغى من هو أقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الأقرب والدليل على هذا الافتقار اقرار جميع الكفار بامكانهم الذاتى وجوز فى الكشاف أن يضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من العباد وقيل أولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله ولقد فضلنا بعض النبيين أى الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون للامم الى الله لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فأنتم أحق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بأن الله تعالى قال (يخافون عذابه) والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون عذابه وأجيب بأنهم يخافون عذابه لو أقدموا على الذنب لقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم (ان عذاب ربك كان محذورا) أى حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج من كونه واجب الحذر ثم بين مآل حال الدنيا وأهلها فقال

أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا المسعودى قال أخبرنا سلمة بن كهيل عن أبى العبيدين وكانت به زمانة وكان عبد الله يعرف له ذلك فقال يا أبا عبد الرحمن ما التبذير فذكر مثله حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو الجواب عن عمار بن رزيق عن أبى اسحق عن حارثة بن مضرب عن أبى العبيدين عن عبد الله بن مسعود قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن التبذير النفقة فى غير حقه حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن كثير العنبرى قال ثنا شعبة قال كنت أمشى مع أبى اسحق فى طريق الكوفة فأتى على دار تبنى بجص وآجر فقال هذا التبذير فى قول عبد الله انفاق المال فى غير حقه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تبذر تبذيرا قال المبذر المنفق فى غير حق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال المبذر المنفق فى غير حقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال لا تنفق فى الباطل فان المبذر هو المسرف فى غير حق قال ابن جريج وقال مجاهد لو أنفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تبذر تبذيرا قال التبذير النفقة فى معصية الله وفى غير الحق وفى الفساد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال بدأ بالوالدين قبل هذا فلما فرغ من الوالدين وحقهما ذكر هؤلاء وقال لا تبذر تبذيرا لا تعط فى معاصى الله وأما قوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فانه يعنى ان المفرقين أموالهم فى معاصى الله المنفقيها فى غير طاعته أولياء الشياطين وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم وتابع أثرهم هو أخوهم وكان الشيطان لربه كفورا يقول وكان الشيطان لنعمة ربه التى أنعمها عليه جحودا لا يشكره عليها ولكنه يكفرها بترك طاعة الله وركوبه معصيته فكذلك اخوانه من بنى آدم المبذرون أموالهم فى معاصى الله لا يشكرون الله على نعمه عليهم ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الاموال التى خولهموها جل وعز سنته من ترك الشكر عليها وتلقيها بالكفران كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان المبذرين ان المنفقين فى معاصى الله كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا﴾ يقول تعالى ذكره وان تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم اذا وجدت اليها السبيل بوجهك عند مسألتهم اياك ما لا تجد اليه سبيلا حياء منهم ورحمة لهم ابتغاء رحمة من ربك يقول انتظار رزق تنتظره من عند ربك وترجو تيسير الله اياه لك فلا تؤيسهم ولكن قل لهم قولا ميسورا يقول ولكن عدهم وعدا جميلا بأن تقول سيرزق الله فأعطيكم وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ كما قال جل ثناؤه وأما السائل فلا تنهر ۞ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال انتظار الرزق فقل لهم قولا ميسورا قال لينا تعدهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس ابتغاء رحمة من ربك قال رزق أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم حدثنا

(وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب كالسبى والاغتنام وقيل الهلاك للصالحة والتعذيب للطالحة (كان ذلك فى (٥٤) الكتاب) وهو اللوح المحفوظ (مسطورا) فلا يوجد له تبديل قط ثم ذكر نوعا آخر من سننه فقال (وما منعنا) استعار المنع للترك من أجل لزوم خلاف الحكمة والمشيئة عن سعيد بن جبير أن كفار قريش اقترحوا منه آيات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس أنهم سألوا الرسول أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضى فطلب النبى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت لكنهم ان كفروا بعد ذلك أهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا أريد ذلك وأنزل الله الآية والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات (الا أن كذب بها) الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك واستوجبوا عذاب الاستئصال على ما أجرى الله تعالى به عادته والحاصل أن المانع من ارسال الآيات التى اقترحوها هو أن الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلى وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعث اليهم الى يوم القيامة ويحتمل أن يراد أنهم مقلدون لآبائهم فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمنوا فيكون ارسال الآيات ضائعا ثم استشهد على ما ذكر بقصة صالح وناقته لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله (مبصرة) أو المراد حال كون الناقة آية بينة يبصر المتأمل بها رشده (فظلموا) أنفسهم بقتلها أو فكفروا (بها) يعنى أنهم جحدوا كونها من الله قاله ابن قتيبة (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل يعنى أن من أنكرها وقع عليه أو المراد وما نرسل بآيات القرآن وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الآخرة على المعنى المذكور وحين امتنع من ارسال الآيات المقترحة على رسوله

عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عمارة عن عكرمة فى قوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال انتظار رزق من الله يأتيك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال ان سألوك فلم يجدوا عندك ما تعطيهم ابتغاء رحمة قال رزق تنتظره ترجوه فقل لهم قولا ميسورا قال عدهم عدة حسنة اذا كان ذلك اذا جاءنا ذلك فعلنا أعطينا كم فهو القول الميسور قال ابن جريج قال مجاهد ان سألوك فلم يكن عندك ما تعطيهم فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة قال رزق تنتظره فقل لهم قولا ميسورا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ابتغاء رحمة من ربك قال انتظار رزق الله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن عبيدة فى قوله ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال ابتغاء الرزق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال أى رزق تنتظره فقل لهم قولا ميسورا أى معروفا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فقل لهم قولا ميسورا قال عدهم خيرا وقال الحسن قل لهم قولا لينا سهلا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واما تعرضن عنهم يقول لا تجد شيأ تعطيهم ابتغاء رحمة من ربك يقول انتظار الرزق من ربك نزلت فيمن كان يسأل النبى صلى الله عليه وسلم من المساكين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنى عمارة عن عكرمة فى قول الله فقل لهم قولا ميسورا قال الرفق وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واما تعرضن عنهم عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اذا خشيت ان أعطيتهم أن يتقووا بها على معاصى الله عز وجل ويستعينوا بها عليها فرأيت أن تمنعهم خيرا فاذا سألوك فقل لهم قولا ميسورا قولا جميلا رزقك الله بارك الله فيك وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل فى تأويل هذه الآية بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهرها وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فأمره أن يقول اذا كان اعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه قولا ميسورا وذلك الاعراض ابتغاء الرحمة لن يخلو من أحد أمرين اما أن يكون اعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه فيكون معنى الكلام كما قلناه وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم وخلاف قوله أو يكون اعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه فى معاصى الله فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أعطى من نفقة ليتقوى بها على طاعة الله فى معاصيه أخوف من رجاء رحمته له وذلك أن رحمة الله انما ترجى لاهل طاعته لا لاهل معاصيه الا أن يكون أراد توجيه ذلك الى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أمر بمنعهم ما سألوه لينيبوا من معاصى الله ويتوبوا بمنعه اياهم ما سألوه فيكون ذلك وجها يحتمله تأويل الآية وان كان لقول أهل التأويل مخالفا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) وهذا مثل

للصارف المذكورة قوى قلبه بوعد النصر بالغلبة فقال (واذ قلنا لك ان ربك) أى واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك (أحاط بالناس) أى انهم فى قبضته وقدرته فلا يقدرون على خلاف ارادته فينصرك ويقويك حتى تبلغ الرسالة عن الحسن حال بينهم وبينه أن يقتلوه كما قال والله يعصمك من الناس وقيل أراد بالناس أهل مكة وأحاط فى معنى الاستقبال الا أن خبر الله تعالى لما كان واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضى وعد نبيه بأنه سيهلك قريشا فى وقعة بدر أما قوله (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) ففيه أقوال الاول أنه تعالى أراه فى المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يأتى الارض و يقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثانى أنه رؤياه التى رأى أن يدخل مكة وبذلك أخبر أصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لأبى بكر قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت فنطوف به فقال أبو بكر انه لم يخبر أنا نفعل ذلك فى هذه السنة فسنفعل ذلك فى سنة أخرى فلما جاء العام القابل دخلها وأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب وابن عباس فى رواية عطاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو قول أكثر المفسرين أن المراد بهذه الرؤيا هى حديث الاسراء ثم اختلفوا فالأكثرون على أن الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رأيت بعينى رؤية ورؤيا وسماها رؤيا على قول المكذبين حين قالوا لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك والأقلون على أن الاسراء كان فى المنام وقدمر هذا البحث فى أول السورة قوله (والشجرة) فيه تقديم وتأخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التى أريناك والشجرة الملعونة فى القرآن الا فتنة للناس قال الاكثرون انها شجرة

الزقوم لعنت في القرآن حيث لعن طاعموها قال عز من قائل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم أو وصفت باللعن لأنه الابعاد وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أو العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون والفتنة فيها أن أبا جهل وغيره قالوا زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر ثم يقول ينبت فيها الشجر فأنزل الله تعالى هذه الآية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو أمية وعنه هي الكشوث التي تتلوى بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل اليهود * سؤال أي تعلق لحديث الرؤيا والشجرة الى ما قبله من الكلام جوابه كأنه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في أنك لست بصادق في دعوى النبوة الا أن وقوع هذه الشبهة لا ينبغي أن يكون سببا في توهين أمرك ألا ترى أن ذكر تلك الرؤيا والشجرة صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها ما أوجبت ضعفا في أمرك ولا فتورا في اجتماع المحققين عليك ثم ذكر سببا آخر في أنه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال (ونخوفهم) بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) متماديا ﴿التأويل﴾ لابتغوا الى ذي العرش سبيلا يشتمل معنيين لأنهم ان كانوا أكبر منه أو أمثالا له طلبوا طريقا الى ازعاج صاحب العرش ونزع الملك منه قهرا وان كانوا أدون منه طلبوا اليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على أن الناقص لا يصلح للالهية وهذا قريب من التفسير وان من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الآخرة والآخرة حيوان لا جماد لقوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعها وحمدا له

ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الانفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال فجعله كالمشدودة يده الى عنقه الذي لا يقدر على الأخذ بها والاعطاء وانما معنى الكلام ولا تمسك يا محمد يدك بخلا عن النفقة في حقوق الله فلا تنفق فيها شيأ امساك المغلولة يده الى عنقه الذي لا يستطيع بسطها ولا تبسطها كل البسط يقول ولا تبسطها بالعطية كل البسط فتبقى لا شيء عندك ولا تجد اذا سئلت شيأ تعطيه سائلك فتقعد ملوما محسورا يقول فتقعد يلومك سائلوك اذا لم تعطهم حين سألوك وتلومك نفسك على الاسراع في مالك وذهابه محسورا يقول معييا قد انقطع بك لا شيء عندك تنفقه وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقطع سيرها وكلت ورزحت من السير بأنه حسير يقال منه حسرت الدابة فأنا أحسرها وأحسرها حسرا وذلك اذا أنضيته بالسير وحسرته بالمسألة اذا سألته فألحفت وحسر البصر فهو يحسر وذلك اذا بلغ أقصى المنظر فكل ومنه قوله عز وجل ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وكذلك ذلك في كل شيء كل وأزحف حتى يضنى * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال لا تجعلها مغلولة عن النفقة ولا تبسطها تبذر بسرف حدثنا ابن حميد قال ثنا يوسف بن بهز قال ثنا حوشب قال كان الحسن اذا تلا هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول لا تطفف برزقي عن غير رضاي ولا تضعه في سخطي فأسلبك ما في يديك فتكون حسيرا ليس في يديك منه شيء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول هذا في النفقة يقول لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يقول لا تبسطها بالخير ولا تبسطها كل البسط يعني التبذير فتقعد ملوما يقول يلوم نفسه على ما فات من ماله محسورا يعني ذهب ماله كله فهو محسور حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني بذلك البخل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسكها عن طاعة الله ولا عن حقه ولا تبسطها كل البسط يقول لا تنفقها في معصية الله ولا فيما لا يصلح لك ولا ينبغي لك وهو الاسراف قوله فتقعد ملوما محسورا قال ملوما في عباد الله محسورا على ما سلف من دهره وفرط حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال في النفقة يقول لا تمسك عن النفقة ولا تبسطها كل البسط يقول لا تبذر تبذيرا فتقعد ملوما في عباد الله محسورا يقول نادما على ما فرط منك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهيتك فتقعد ملوما قال مذنبا محسورا قال منقطعا بك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال مغلولة لا تبسطها بخير ولا بعطية ولا تبسطها كل البسط في الحق والباطل فينفد ما معك وما في يديك فيأتيك من يريد أن تعطيه فيحسر بك فيلومك حين أعطيت هؤلاء ولم تعطهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا)﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده فيوسع عليه ويقدر على من يشاء

يقول و يقتر على من يشاء منهم فيضيق عليه انه كان بعباده خبيرا يقول ان ربك ذو خبرة بعباده ومن الذى تصلحه السعة فى الرزق وتفسده ومن الذى يصلحه الاقتار والضيق ويهلكه بصيرا يقول هوذو بصر بتدبيرهم وسياستهم يقول فانته يا محمد الى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه وفيمن تبسطها له ومن كفها عمن تكفها عنه وتكفها فيه فنحن أعلم بمصالح العباد منك ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر قال يقدر يقل وكل شئ فى القرآن يقدر كذلك ثم أخبر عباده أنه لا يرزؤه ولا يؤوده أن لو بسط عليهم ولكن نظرا لهم منه فقال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير قال والعرب اذا كان الخصب و بسط عليهم أشروا وقتل بعضهم بعضا وجاء الفساد فاذا كان السنة شغلوا عن ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقضى ربك يا محمد ألا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق فوضع تقتلوا نصب عطفا على ألا تعبدوا و يعنى بقوله خشية املاق خوف اقتار وفقر وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى وذكرنا الرواية فيه وانما قال جل ثناؤه ذلك للعرب لانهم كانوا يقتلون الاناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالانفاق عليهن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق أى خشية الفاقة وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة فوعظهم الله فى ذلك وأخبرهم أن رزقهم و رزق أولادهم على الله فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة خشية املاق قال كانوا يقتلون البنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق قال الفاقة والفقر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله خشية املاق يقول الفقر وأما قوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق ان قتلهم كان خطأ كبيرا بكسر الخاء من الخطأ وسكون الطاء واذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان من التأويل أحدهما أن يكون اسما من قول القائل خطئت فأنا أخطأ بمعنى أذنبت وأثمت ويحكى عن العرب خطئت اذا أذنبت عمدا وأخطأت اذا وقع منك الذنب خطأ على غير عمد منك له والثانى أن يكون بمعنى خطأ بفتح الخاء والطاء ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء كما قيل قتب وقتب وحذر وحذر ونجس ونجس والخطء بالكسر اسم والخطأ بفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم خطئ الرجل وقد يكون اسما من قولهم أخطأ فأما المصدر منه فالاخطاء وقد قيل خطئ بمعنى أخطأ كما قال الشاعر ۞ يالهف هند اذ خطئن كاهلا ۞ بمعنى أخطأن وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة ان قتلهم كان خطأ بفتح الخاء والطاء مقصورا على توجيهه الى أنه اسم من قولهم أخطأ فلان خطأ وقرأه بعض قراء أهل مكة ان قتلهم كان خطاء بفتح الخاء والطاء ومد الخطاء بنحو معنى من قرأه خطأ بفتح الخاء والطاء غير أنه يخالفه فى مد الحرف وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة و بعض البصريين منهم يرون أن الخطء والخطأ بمعنى واحد الا أن بعضهم زعم أن الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء فى القراءة أكثر وأن الخطأ

على ما أولاه من نعمه وبهذا اللسان ينطق الحصى فى كف النبى صلى الله عليه وسلم و به تنطق الارض يوم القيامة يومئذ تحدث أخبارها و به تنطق الجوارح أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ و به نطق السموات والارض (٥٧) قالتا أتينا طائعين انه كان حليما فى الازل اذ أخرج من العدم من يكفر به و يجحده غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرأت القرآن فيه اشارة الى أن من قرأ القرآن بتمامه وصل الى أعلى معارج القدس وأقصى مدارج الانس كما جاء فى الحديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق قال أبو سليمان الخطابى جاء فى الاثر أن عدد آى القرآن على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع آى القرآن استولى على أقصى درجات الجنة قال المحققون استيفاء جميع آى القرآن هو أن يتخلق بأخلاقه وصفاته بل بأخلاق الله وصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا لم يقل ساترا لأن الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولوا على أدبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يقبلون الغذاء الصالح فالحلاوة فى مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من ظلمهم لانهم وضعوا المسحور مكان المبعوث أى خلقا مما يكبر فى صدوركم أى لو كان قلوبكم التى فى صدوركم أشد من الحجارة والحديد فالله قادر على احيائه وتليينه فى قيام قيامة العشق يقولوا التى هى أحسن من شرف من عبيده فبتشريف الاضافة يظهر منه القول الأحسن وهو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الأحسن وهو أن يكون متأدبا بآداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن وهو أن يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم و يتجاوز عن سيئاتهم و يعيش فيهم بالنصيحة يأمرهم بالمعروف بلا عنف و ينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم

بفتح الخاء والطاء في كلام الناس آفشي وأنه لم يسمع الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء في شيء من كلامهم وأشعارهم الا في بيت أنشده لبعض الشعراء

الخطء فاحشة والبر نافلة * كعجوة غرست في الارض تؤتبر

وقد ذكرت الفرق بين الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء وفتحهما وأولى القراآت في ذلك عندنا بالصواب القراءة التي عليها قراء أهل العراق وعامة أهل الحجاز لاجماع الحجة من القراء عليها وشذوذ ما عداها وأن معنى ذلك كان اثما وخطيئة لا خطأ من الفعل لأنهم انما كانوا يقتلونهم عمدا لا خطأ وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم وتقدم اليهم بالنهي عنه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خطأ كبيرا قال أي خطيئة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال خطيئة قال ابن جريج وقال ابن عباس خطأ أي خطيئة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره وقضى أيضا أن لا تقربوا أيها الناس الزنا انه كان فاحشة يقول ان الزنا كان فاحشة وساء سبيلا يقول وساء طريق الزنا طريقا لأنه طريق أهل معصية الله والمخالفين أمره فأسوئ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا﴾ يقول جل ثناؤه وقضى أيضا أن لا تقتلوا أيها الناس النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وحقها أن لا تقتل الا بكفر بعد اسلام أو زنا بعد احصان أو قود بنفس وان كانت كافرة لم يتقدم كفرها اسلام فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وانا والله ما نعلم يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الا رجلا قتل متعمدا فعليه القود أو زنى بعد احصانه فعليه الرجم أو كفر بعد اسلامه فعليه القتل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن الزهري عن عروة أو غيره قال قيل لابي بكر أتقتل من يرى أن لا يؤدي الزكاة قال لو منعوني شيأ مما أقروا به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فقيل لابي بكر أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر هذا من حقها حدثني موسى بن سهل قال ثنا عمرو بن هاشم قال ثنا سليمن بن حيان عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس فيقتل بها وقوله ومن قتل مظلوما يقول ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه اذا قتل بها كان قتلا بحق فقد جعلنا لوليه سلطانا يقول فقد جعلنا لولي المقتول ظلما سلطانا على قاتل وليه فان شاء استقاد منه فقتله بوليه وان شاء عفا عنه وان شاء أخذ الدية وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جعل لولي المقتول فقال بعضهم في ذلك نحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال

بعثوا بالنصيحة وآتينا داود زبورا فيه أن فضل النبي صلى الله عليه وسلم على داود كفضل القرآن على الزبور وان من قرية من قرى قالب الانسان الا نحن مهلكوها بموت قلبه وروحه قبل موت قالبه فمن مات فقد قامت قيامته أو معذبوها بأنواع الرياضات والمجاهدات في السير الى الله ذوبان الافعال وفي السير بالله ذوبان الصفات وفي السير في الله ذوبان الذات أحاط بالناس علم مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي أريناك كان الوحي يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم في مبدا أمره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار الناس فمن وقته يظهر الموافق من المنافق والصديق من الزنديق وهكذا كان في شجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن للمحيط بأحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله أعلم بالصواب ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا

ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴿ القراآت أخرتنى بالياء فى الحالين ابن كثير غير الهاشمى عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فى الوصل الباقون بالحذف ورجالك بكسر الجيم حفص وأبو زيد عن المفضل الآخرون بسكونها أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وأبو عمرو والباقون على الغيبة الا يعقوب ويزيد فانهما قرآ فتغرقكم بالتاء الفوقانية على أن الضمير للريح من الرياح على الجمع يزيد هذه أعمى بالامالة أعمى بالتفخيم أبو عمرو ونصير والبرجمى وورويس وقرأ حمزة وعلى غير نصير وخلف ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم ﴿ الوقوف ابليس ط طينا ه لاتحاد فاعل فعل قبله وفعل بعده بلا حرف عطف على نز لحق القسم المحذوف مع اتحاد الكلام قليلا ه موفورا ه وعدهم ط للعدول غرورا ه سلطان ط وكيلا ه من فضله ط رحيما ه الا اياه ج أعرضتم ط كفورا ه وكيلا ه لا للعطف تبيعا ه تفضيلا ه بامامهم ج فتيلا ه سبيلا ه ﴿ التفسير قال أهل النظم انه لما ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان من قومه فى بلية عظيمة ومحنة شديدة أراد أن يبين أن جميع الانبياء كانوا كذلك حتى آدم عليه السلام وأيضا ان القوم كان منشأ نزاعهم واقتراحاتهم الفاسدة أمرين الكبر والحسد فبين الله سبحانه أن هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنة الله عليه وأيضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف أراد أن يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لأحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى فى سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله (طينا) حال اما من الموصول والعامل فيه أسجد معناه أأسجد له وهو طين فى الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره أأسجد لمن كان

ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قال بينة من الله عز وجل أنزلها يطلبها ولى المقتول العقل أو القود وذلك السلطان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك بن مزاحم فى قوله فقد جعلنا لوليه سلطانا قال ان شاء عفا وان شاء أخذ الدية * وقال آخرون بل ذلك السلطان هو القتل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وهو القود الذى جعله الله تعالى * وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من تأول ذلك أن السلطان الذى ذكر الله تعالى فى هذا الموضع ما قاله ابن عباس من أن لولى القتيل القتل ان شاء وان شاء أخذ الدية وان شاء العفو لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة ألا ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين بين أن يقتل أو يأخذ الدية وقد بينت الحكم فى ذلك فى كتابنا كتاب الجراح وقوله فلا يسرف فى القتل اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة فلا تسرف بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به هو والأئمة من بعده يقول فلا تقتل بالمقتول ظلما غير قاتله وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك اذا قتل رجل رجلا عمد ولى القتيل الى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل فنهى الله عز وجل عن ذلك عباده وقال لرسوله عليه السلام قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف فلا تقتل به غير قاتله وان قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثل به وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة فلا يسرف بالياء بمعنى فلا يسرف ولى المقتول فيقتل غير قاتل وليه وقد قيل عنى به فلا يسرف القاتل الاول لا ولى المقتول * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهى فى أحكام الدين قضاء منه بذلك على جميع عباده وكذلك أمره ونهيه بعضهم أمر منه ونهى جميعهم الا فيما دل فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض واذا كان ذلك كذلك بما قد بينا فى كتابنا كتاب البيان عن أصول الأحكام فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله فلا تسرف فى القتل نبيه صلى الله عليه وسلم وان كان موجها اليه أنه معنى به جميع عباده فكذلك نهيه ولى المقتول أو القاتل عن الاسراف فى القتل والتعدى فيه نهى لجميعهم فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة فى ذلك وقد اختلف أهل التأويل فى تأويلهم ذلك نحو اختلاف القراء فى قراءتهم اياه ذكر من تأول ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طلق بن حبيب فى قوله فلا تسرف فى القتل قال لا تقتل غير قاتله ولا تمثل به حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن طلق بن حبيب بنحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن خصيف عن سعيد بن جبير فى قوله فلا تسرف فى القتل قال لا تقتل اثنين بواحد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلا تسرف فى القتل انه كان منصورا كان هذا بمكة ونبى الله صلى الله عليه وسلم بها وهو أول شئ نزل من القرآن فى شأن القتل كان المشركون يغتالون أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تبارك وتعالى من قتلكم من المشركين فلا يحملنكم قتله اياكم على أن تقتلوا له أبا أو أخا أو أحدا من عشيرته وان كانوا مشركين فلا تقتلوا الا قاتلكم وهذا قبل أن تنزل براءة وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين

فذلك قوله فلا تسرف فى القتل يقول لا تقتل غير قاتلك وهى اليوم على ذلك الوضع من المسلمين لا يحل لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم * ذكر من قال عنى به ولى المقتول حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو رجاء عن الحسن فى قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قال كان الرجل يقتل فيقول وليه لا أرضى حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشراف قبيلته حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلا تسرف فى القتل قال لا تقتل غير قاتلك ولا تمثل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يسرف فى القتل قال لا يقتل غير قاتله من قتل بحديدة قتل بحديدة ومن قتل بخشبة قتل بخشبة ومن قتل بحجر قتل بحجر ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان من أعتى الناس على الله جل ثناؤه ثلاثة رجل قتل غير قاتله أو قتل بذحن الجاهلية أو قتل فى حرم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعنى ابن زيد يقول فى قول الله جل ثناؤه ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قال ان العرب كانت اذا قتل منهم قتيل لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم حتى يقتلوا أشرف من الذى قتله فقال الله جل ثناؤه فقد جعلنا لوليه سلطانا ينصره و ينتصف من حقه فلا يسرف فى القتل بقتل بريأ * ذكر من قال عنى به القاتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فلا يسرف فى القتل قال لا يسرف القاتل فى القتل وقد ذكرنا الصواب من القراءة فى ذلك عندنا واذا كان كلا وجهى القراءة عندنا صوابا فكذلك جميع أوجه تأويله التى ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب لاحتمال الكلام ذلك وان فى نهى الله جل ثناؤه بعض خلقه عن الاسراف فى القتل نهى منه جميعهم عنه وأما قوله انه كان منصورا فان أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى بالهاء التى فى قوله انه وعلى ما هى عائدة فقال بعضهم هى عائدة على ولى المقتول وهو المعنى بها وهو المنصور على القاتل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انه كان منصورا قال هو دفع الامام اليه يعنى الى الولى فان شاء قتل وان شاء عفا * وقال آخرون بل عنى بها المقتول فعلى هذا القول هى عائدة على من فى قوله ومن قتل مظلوما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد انه كان منصورا ان المقتول كان منصورا * وقال آخرون عنى بها دم المقتول وقالوا معنى الكلام ان دم القتيل كان منصورا على القاتل وأشبه ذلك بالصواب عندى قول من قال عنى بها الولى وعليه عادت لانه هو المظلوم و وليه المقتول وهى الى ذكره أقرب من ذكر المقتول وهو المنصور أيضا لان الله جل ثناؤه قضى فى كتابه المنزل أن سلطه على قاتل وليه وحكمه فيه بأن جعل اليه قتله ان شاء واستبقاءه على الدية ان أحب والعفو عنه ان رأى وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه فلذلك قلنا هو المعنى بالهاء التى فى قوله انه كان منصورا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا﴾ يقول تعالى ذكره وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل اسرافا وبدارا أن يكبروا ولكن اقربوه بالفعلة التى هى أحسن والخلة التى هى أجمل وذلك أن تتصرفوا فيه له بالتثمير والاصلاح والحيطة وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار أمر الأشرف على زعمه بخدمة الأدون ولذلك (قال أرأيتك) أى أخبرنى عن (هذا الذى كرمت) ه أى فضلته (على) لم كرمته وأنا خير منه (٦٠) فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن أن يقال هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر معناه أخبرنى أهذا الذى كرمته على والاشارة ههنا تفيد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول أرأيت لان الكاف لمجرد الخطاب كأنه قال على وجه التعجب والانكار أبصرت أو علمت هذا يعنى لو أبصرته أو علمته لكان يجب أن لا يكرم على ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه (لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه أحنك الشاتين أى آكلهما وقال أبو مسلم هو افتعال من الحنك يقال منه حنكت الدابة بحنكها اذا جعل فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به كأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس بهم ذلك لأنه سمع قول الملائكة فى حقهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر اليه فتوسم أنه خلق شهوانى الى غير ذلك من قواه السبعية والوهمية والبهيمية أو قاس ذرية آدم عليه حين عمل وسوسته فيه وضعفه جار الله بأن الظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (قال) أى الله تعالى (اذهب) ليس المراد منه نقيض المجىء وانما المراد امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية وايها الاثم رتب على الامهال قوله (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أراد جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغائب لأنه الاصل فى المعاصى وغيره تبع له ويجوز فى الكشاف أن يكون الخطاب لتابعيه على طريقة الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر أو المدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم أو على الحال الموطئة والموفور الموفر من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وقيل هو بمعنى الوافر ثم أكد الامهال والخذلان بقوله فكانوا

(واستفزز من استطعت منهم بصوتك) أفزه الخوف واستفزه أزعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله وقيل الغناء واللهو واللعب (وأجلب
عليهم بخيلك ورجلك) قال الفراء وأبو عبيدة أجلب من الجلبة والصياح أي صح عليهم وقال الزجاج أي اجمع عليهم كل ما تقدر

فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره فأنزل الله تبارك وتعالى وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح فكانت هذه لهم فيها رخصة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن قال كانوا لا يخالطونهم في مال ولا مأكل ولا مركب حتى نزلت وان تخالطوهم فاخوانكم وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن قال الأكل بالمعروف أن تأكل معه اذا احتجت اليه كان أبي يقول ذلك وقوله حتى يبلغ أشده يقول حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل وتدبير ماله وصلاح حاله في دينه وأوفوا بالعهد يقول وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والاسلام وفيما بينكم أيضا والبيوع والاشربة والاجارات وغير ذلك من العقود ان العهد كان مسؤلا يقول ان الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه اياه يقول فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك وانما عنى بذلك ان العهد كان مطلوبا يقال في الكلام ليسئلن فلان عهد فلان

القول في تأويل قوله تعالى (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) يقول تعالى ذكره وقضى أن أوفوا الكيل للناس اذا كلتم لهم حقوقهم قبلكم ولا تبخسوهم وزنوا بالقسطاس المستقيم يقول وقضى أن زنوا أيضا اذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه ولا دغل ولا خديعة * وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس فقال بعضهم هو القبان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا الحسن بن ذكوان عن الحسن وزنوا بالقسطاس المستقيم قال القبان * وقال آخرون هو العدل بالرومية ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد القسطاس العدل بالرومية * وقال آخرون هو الميزان صغر أو كبر وفيه لغتان القسطاس بكسر القاف والقسطاس بضمها مثل القرطاس والقرطاس وبالكسر يقرأ عامة قراء أهل الكوفة وبالضم يقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وقد قرأ به أيضا بعض قراء الكوفيين وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لأنهما لغتان مشهورتان وقراءتان مستفيضتان في قراء الامصار وقوله ذلك خير يقول ايفاؤكم أيها الناس من تكيلون له الكيل ووزنكم بالعدل لمن توفون له خير لكم من بخسكم اياهم ذلك وظلمكموهم فيه وقوله وأحسن تأويلا يقول وأحسن مردودا عليكم وأولى اليه فيه فعلكم ذلك لان الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم فيحسن لكم عليه الجزاء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا أي خير ثوابا وعاقبة وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول يا معشر الموالي انكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا مخافة الله الا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأحسن تأويلا قال عاقبة وثوابا

القول في تأويل قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فقال بعضهم معناه ولا تقل ما ليس لك به علم ذكر من قال ذلك

عليه من مكايدك والاجلاب الجمع والباء في بخيلك زائدة وقال ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وعلى الافراس جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا مثل ندس وندس وحذر وحذر عن ابن عباس كل راكب وراجل في معصية الله فهو من خيل ابليس وجنوده وقيل يحتمل أن يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب وبعضها راجل والاقرب أن هذا كلام ورد تمثيلا فقد يقال للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك قال في الكشاف مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استأصلهم أما المشاركة في الاموال فهي كل تصرف في المال لا على وجه الشرع سواء كان أخذا من غير عوض أو وضعا في غير حق كالربا والغصب والسرقة وقيل هي تبتيك آذان الانعام وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنا أو تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى أو تربيتهم لا كما ينبغي حتى ينشؤا غير راشدين ولا مؤدبين ولا متدينين بدين الحق (وعدهم) بتزيين المعاصي في أعينهم وترغيبهم فيها وتثقيل الطاعات والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما يخصصه المفسرون فعن بعضهم أن المراد وعدهم بأنه لا جنة ولا نار وقيل تسويف التوبة وقيل بالكرامة على الله بالانساب والاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل

على الآجل ثم نفى أن يكون لوعد الشيطان عاقبة حميدة فقال (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) لانه انما يدعو الى اللذات البهيمية أو السبعية أو الخيالية وأكثرها مع الآلام وكلها لا أصل لها ولادوام ومن أراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالي رحمه الله ولما قال للشيطان على سبيل الوعيد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط جأش سائر المكلفين بقوله (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) قال الجبائي المراد كل عباده لانه استثنى متبعه في غير هذا الموضع قائلا الا من تبعك وقال أهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية جانب المكلف بختم الآية بقوله (وكفى بربك وكيلا) فهو يدفع كيد الشيطان ويعصمهم من اغوائه ثم عدد على بني آدم بعض ما أنعم به عليهم ليكون تذكيرا لهم وتحذيرا فقال (ربكم الذي يزجي لكم) أي يسير لأجلكم (الفلك في البحر) والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال (لتبتغوا من فضله) الربح بالتجارة (انه كان بكم رحيما) فلذلك هداكم الى مصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد (واذا مسكم الضر) أي خوف الغرق (في البحر ضل من تدعون) ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم تعتقدون برحمته رجاءكم أو المراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله هو الذي ترجونه وحده فكان الاستثناء منقطعا (فلما نجاكم) من ذلك الضر وأخرجكم (الى البر أعرضتم) عن الاخلاص (وكان الانسان كفورا) لنعمة الله لانه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفي الرخاء يعرض عنه ثم أنكر عليهم سوء معاملتهم قائلا (أفأمنتم) تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف) أصله دخول الشيء في الشيء ومنه عين خاسفة للتي غارت حدقتها في الرأس وخسف القمر دخل تحت الحجاب وهو دائرة الظل عند الحكماء (بكم) حال وانما قال (جانب البر) لانه ذكر البحر في الآية

حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا تقل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع فان الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولا تقف ما ليس لك به علم قال لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم حدثت عن محمد بن ربيعة عن اسمعيل الأزرق عن أبي عمر البزار عن ابن الحنفية قال شهادة الزور * وقال آخرون بل معناه ولا ترم أحدا بما ليس لك به علم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا ترم أحدا بما ليس لك به علم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تقف ولا ترم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وهذان التأويلان متقاربا المعنى لان القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور ورمي الناس بالباطل وادعاء سماع ما لم يسمعه ورؤية ما لم يره وأصل القفو العضه والبهت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا وكان بعض البصريين ينشد في ذلك بيتا

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا

يعني بالتقافي التقاذف ويزعم أن معنى قوله لا تقف لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يزعم أن أصله القيافة وهي اتباع الاثر واذ كان كما ذكروا وجب أن تكون القراءة ولا تقف بضم القاف وسكون الفاء مثل ولا تقل قال والعرب تقول قفوت أثره وقفت أثره فتقدم أحيانا الواو على الفاء وتؤخرها أحيانا بعدها كما قيل قاع الجمل الناقة اذا ركبها وقعا وعاث وعثى وأنشد سماعا من العرب

ولو أني رميتك من قريب * لعاقك من دعاء الذئب عاق

يعني عائق ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به فترميهم بالباطل وتشهد عليهم بغير الحق فذلك هو القفو وانما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه وأما قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فان معناه ان الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها من أنه سمع أو أبصر أو علم تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق وقال أولئك ولم يقل تلك كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

وانما قيل أولئك لان أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث وهذه وتلك للجمع الكثير فالتذكير للقليل من باب أن كان التذكير في الاسماء قبل التأنيث لك التذكير للجمع الأول والتأنيث للجمع الثاني وهو الجمع الكثير لان العرب تجعل الجمع على مثال الاسماء

القول في تأويل قوله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال

طولا

طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تمش فى الارض مختالا مستكبرا انك لن تخرق الأرض يقول انك لن تقطع الأرض باختيالك كما قال رؤبة

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق * يعنى بالمخترق المقطع ولن تبلغ الجبال طولا بفخرك وكبرك وانما هذا نهى من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء وتقدم منه اليهم فيه معرّفهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيأ يقصر عنه غيرهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا يعنى بكبرك ومرحك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولا تمش فى الارض مرحا قال لا تمش فى الارض فخرا وكبرا فان ذلك لا يبلغ بك الجبال ولا تخرق الارض بكبرك وفخرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا تمش فى الارض قال لا تفخر وقيل ولا تمش مرحا ولم يقل مرحا لأنه لم يرد بالكلام لا تكن مرحا فيجعله من نعت الماشى وانما أريد لا تمرح فى الارض مرحا ففسر المعنى المراد من قوله ولا تمش كما قال الراجز

يعجبه السخون والعصيد * والتمر حبا ماله مزيد

فقال حبالأن فى قوله يعجبه معنى يحب فأخرج قوله حبا من معناه دون لفظه وقوله كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها فان القراء اختلفت فيه فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها على الاضافة بمعنى كل هذا الذى ذكرنا من هذه الأمور التى عددنا من مبتدإ قولنا وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الى قولنا ولا تمش فى الأرض مرحا كان سيئه يقول سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروها وقال قارئو هذه القراءة انما قيل كل ذلك كان سيئه بالاضافة لان فيما عددنا من قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه أمورا هى أمر بالجميل كقوله وبالوالدين احسانا وقوله وآت ذا القربى حقه وما أشبه ذلك قالوا فليس كل ما فيه نهيا عن سيئة بل فيه نهى عن سيئة وأمر بحسنات فلذلك قرأنا سيئه وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة كل ذلك كان سيئة وقالوا انما عنى بذلك كل ما عددنا من قولنا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ولم يدخل فيه ما قبل ذلك قالوا وكل ما عددنا من ذلك الموضع الى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه فالصواب قراءته بالتنوين ومن قرأ هذه القراءة فانه ينبغى أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقدما على السيئة وأن يكون معنى الكلام عنده كل ذلك كان مكروها سيئة لانه ان جعل قوله مكروها بعد السيئة من نعت السيئة لزمه أن تكون القراءة كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة وذلك خلاف ما فى مصاحف المسلمين وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ كل ذلك كان سيئه على اضافة السيئ الى الهاء بمعنى كل ذلك الذى عددنا من وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه كان سيئه لأن فى ذلك أمورا منهيا عنها وأمورا مأمورا بها وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله ولا تقتلوا أولادكم انما هو عطف على ما تقدم من قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه فاذ كان ذلك كذلك فقراءته باضافة السيئ الى الهاء أولى وأحق من قراءته سيئة بالتنوين بمعنى السيئة الواحدة فتأويل الكلام اذا كل هذا الذى ذكرنا لك من الامور التى عددناها عليك كان سيئه مكروها عند ربك يا محمد يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه فاتق مواقعته والعمل به ۞ القول

الأولى وهو جانب والبر جانب وخسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه فالخسف تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فهو أنكم نجوتم من هول البحر فهل أمنتم من هول البر فانه قادر على تسليط آفات البر عليكم اما من جانب التحت بالخسوف واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك أن (يرسل عليكم) حاصبا وهى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء وقال الزجاج الحاصب التراب الذى فيه حصباء فالحاصب ذو الحصباء كاللابن والتامر ولا يخفى أن هذين العذابين أشد من غرق البحر (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى) بأن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر (فيرسل عليكم قاصفا) ريحا لها قصيف أى صوت شديد أو القاصف الكاسر وقوله (من الريح) بيان له (فيغرقكم بما كفرتم) بسبب كفركم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بالانكار ما نزل بكم أو انصرفه عنكم فهو كقوله ولا يخاف عقباها ثم أجمل ذكر النعمة بقوله (ولقد كرمنا بنى آدم) وقد ذكر المفسرون فى تكريمه وجوها منها الخط فبه يقدر الانسان على ايداع العلوم التى استنبطها هو أو غيره الدفاتر فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن الانطماس اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ومنها الصورة الحسنة وصوركم فأحسن صوركم ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ومنها أن كل شئ يأكل بفيه الا ابن آدم يحكى عن الرشيد أنه حضر لديه طعام فأحضرت الملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس أن هذا التكريم هو أنه جعل لهم أصابع يأكلون بها فرد الملاعق وأكل بأصابعه ومنها ما قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات ويدخل الاخرس فى هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة أو الكتابة ويخرج الببغاء ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها

تسليطهم على ما في الارض وتسخيرها لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي لهم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع به في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحياة ولولا هبوب الرياح لاستولى

في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي بيناك يا محمد من الأخلاق الجميلة التي أمرناك بجميلها ونهيناك عن قبيحها مما أوحى اليك ربك من الحكمة يقول من الحكمة التي أوحيناها اليك في كتابنا هذا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة قال القرآن وقد بينا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً يقول ولا تجعل مع الله شريكاً في عبادتك فتلقى في جهنم ملوماً تلومك نفسك وعارفوك من الناس مدحوراً يقول مبعداً مقصياً في النار ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار فتنجو من عذابه * وبنحو الذي قلنا في قوله ملوماً مدحوراً قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ملوماً مدحوراً يقول مطروداً حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ملوماً مدحوراً قال ملوماً في عبادة(٣) الله مدحوراً في النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب الملائكة بنات الله أفأصفاكم أيها الناس ربكم بالبنين يقول أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد واتخذ من الملائكة اناثاً وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم بل تئدونهن وتقتلونهن فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم انكم لتقولون قولاً عظيماً يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا انكم أيها الناس لتقولون بقيلكم الملائكة بنات الله قولاً عظيماً وتفترون على الله فرية منكم وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتخذ من الملائكة اناثاً قال قالت اليهود الملائكة بنات الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفوراً﴾ يقول تعالى ذكره ولقد صرفنا لهؤلاء المشركين المفترين على الله في هذا القرآن العبر والآيات والحجج وضربنا لهم فيه الأمثال وحذرناهم فيه وأنذرناهم ليذكروا يقول ليتذكروا تلك الحجج عليهم فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ويعتبروا بالعبر فيتعظوا بها وينيبوا من جهالتهم فما يعتبرون بها ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر وما يزيدهم تذكيرنا اياهم الا نفوراً يقول الا ذهاباً عن الحق وبعداً منه وهرباً والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم نفر فلان من هذا الأمر ينفر منه نفراً ونفوراً ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله الهاً آخر لو كان الامر كما تقولون من أن معه آلهة وليس ذلك كما تقولون اذاً لابتغت تلك الآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم والتمست الزلفة اليه والمرتبة منه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً يقول لو كان معه آلهة اذاً لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم فابتغوا ما يقربهم اليه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً قال لابتغوا القرب اليه مع أنه ليس

النتن على المعمورة والنار ينتفع بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة فهذا العالم بأسره كقرية معمورة أو خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فأي تكريم يكون أزيد من هذا ولا شك أن الانسان لكونه مستجمعاً للقوة العقلية القدسية والقوتين الشهوية البهيمية والغضبية السبعية وقوتي الحس والحركة الارادية والقوى النباتية وهي الاغتذاء والنمو والتوليد يكون أشرف عالم يستجمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو أنه تعالى خلق آدم بيده وأبدع غيره بواسطة كن يروى عن زيد بن أسلم أن الملائكة قالت ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض أنواع التكريم بالذكر فقال (وحملناهم في البر والبحر) قال ابن عباس في البر أي على الخيل والبغال والحمير وفي البحر أي على السفن (ورزقناهم من الطيبات) من كل غذاء نباتي أو حيواني ألطفه وألذه واعلم أن التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم زيد لا ينافي تكريم غيره بأزيد من ذلك ولذلك ختم التكريم بقوله (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فسر بعض الاشاعرة الكثير ههنا بمعنى الجميع فشنع عليه جار الله بأنه شجى في الحلق وقذى في العين كما

لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف أن كون الكثير مفيداً لمعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع لانه لا يلزم

كما يقولون ﴿ القول في تأو ير قوله تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا﴾ يهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون الجاعلون معه آلهة غيره المضيفون اليه البنات فقال تنزيها لله وعلوا له عما تقولون أيها القوم من الفرية والكذب فان ما تضيفون اليه من هذه الامور ليس من صفته ولا ينبغي أن يكون له صفة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا يسبح نفسه اذ قيل عليه البهتان وقال تعالى عما يقولون علوا ولم يقل تعاليا كما قال وتبتل اليه تبتيلا كما قال الشاعر

أنت الفداء لكعبة هدّمتها * ونقرتها بيديك كل منقر

منع الحمام مقيله من سقفها * ومن الحطيم فطار كل مطير

وقوله تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يقول تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به اعظاما له واجلالا السموات السبع والارض ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والانس والجن وأنتم مع انعامه عليكم وجميل أياديه عندكم تفترون عليه عما تفترون وقوله وان من شئ الا يسبح بحمده يقول جل ثناؤه وما من شئ من خلقه الا يسبح بحمده كما حدثني به نصر ابن عبد الرحمن الأودي قال ثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشئ أمر به نوح ابنه ان نوحا قال لابنه يا بني آمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها ترزق الخلق قال الله وان من شئ إلا يسبح بحمده حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى ابن عبـــد قال سمعت عكرمة يقول لا يعيبن أحدكم دابته ولا ثوبه فان كل شئ يسبح بحمده حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة وان من شئ الا يسبح بحمده قال الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالا ثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان فقال كان يسبح مرة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ويونس عن الحسن أنهما قالا في قوله وان من شئ الا يسبح بحمده قالا كل شئ فيه الروح حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال الطعام يسبح حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان من شئ الا يسبح بحمده قال كل شئ فيه الروح يسبح من شجر أو شئ فيه الروح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبد الله بن أبي عن عبد الله بن عمرو أن الرجل اذا قال لا اله الا الله فهي كلمة الاخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها فاذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها فاذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والارض فاذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدا من خلقه الا نوره بالصلاة والتسبيح فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم يقول تعالى ذكره ولكن

من افادة اللفظ معنى لفظ آخر ير عنى أنه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام أو بحكم العرف أن يوضع ذلك اللفظ موضعه و ينطق به على أن التفسير لا يقوم مقام المفسر البتة لان هذا مجوزدون ذلك فكيف يبقى الذوق بحاله وأيضا فالحاصل هو قولنا على جميع من خلقنا الا على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هو أن كثيرا من الشئ أقيم مقام كل ذلك الشئ لا كل من ذلك الشئ حتى تلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظي الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو اجراء الكلام على ظاهره وان الآية تدل على أنه حصل في مخلوقات الله شئ لا يكون للانسان تفضيل عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يقع من الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض وكل من أثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة فلزم القول بأن كل الانسان ليس أفضل من كل الملائكة بل بعض الملك أفضل من أكثر الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو أفضل من عوام الملائكة بل من خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط وأما أن كل الملائكة أفضل من كل البشر على ما زعم جار الله وأمثاله فانه تحكم محض ولما ذكر أنواع كرامات الانسان في الدنيا شرح أحوال درجاته في الآخرة فقال (يوم ندعو) وهو منصوب باضمار اذكر أو بقوله فضلناهم على عادة الله في الاخبار أي ونفضلهم في هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكريم في الدنيا والتفضيل في الآخرة ولا وقف على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين والباء في قوله (بإمامهم) للالصاق كما تقول أدعوك باسمك عن أبي هريرة مرفوعا أنه ينادي يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء

لا تفقهون تسبيح ماعدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم انه كان حليما يقول ان الله كان حليما لا يعجل على خلقه الذين يخالفون أمره و يكفرون به لولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والانداد بالعقوبة غفورا يقول ساترا عليهم ذنوبهم اذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان حليما عن خلقه فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض غفورا لهم اذا تابوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا﴾ يقول تعالى ذكره واذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث ولا يقرون بالثواب والعقاب جعلنا بينك و بينهم حجابا يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم فينتفعوا به عقوبة منا لهم على كفرهم والحجاب ههنا هو الساتر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حجابا مستورا قال هي الأكنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا قال قال أبي لا يفقهونه وقرأ قلوبهم في أكنة وفي آذانهم وقر فهم لا يخلص ذلك اليهم وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول معنى قوله حجابا مستورا حجابا ساترا ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول كما يقال انك مشؤم علينا وميمون وانما هو شائم و يامن لانه من شأمهم ويمنهم قال والحجاب ههنا هو الساتر وقال مستورا وكان غيره من أهل العربية يقول معنى ذلك حجابا مستورا عن العباد فلا يرونه وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب فيكون معناه أن الله ستره عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم وان كان للقول الاول وجه مفهوم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة وهي جمع كنان وذلك ما يتغشاها من خذلان الله اياها عن فهم ما يتلى عليهم وفي آذانهم وقرا يقول وجعلنا في آذانهم وقرا عن سماعه وصمما والوقر بالفتح في الاذن الثقل والوقر بالكسر الحمل وقوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده يقول واذا قلت لا اله الا الله في القرآن وأنت تتلوه ولوا على أدبارهم نفورا يقول انفضوا فذهبوا عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحد الله تعالى وبما قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم فصافها ابليس وجنوده فأبى الله الا أن يمضيها وينصرها و يفلجها و يظهرها على من ناواها انها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر انما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل و يسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا قال بغضا لما تكلم به لئلا يسمعوه كما كان قوم نوح يجعلون

أصابعهم

فيأخذون كتبهم بأعمالهم ثم ينادى يا أتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر و يجوز أن يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو كل أناس متلبسين (٦٦) بامامهم أي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروى الضحاك وابن زيد أنه ينادي في القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير و يا أصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وأبي العالية أيضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم والحكمة في ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام وأن لا يفتضح أولاد الزنا ثم قال وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بيان حكمته وقال في التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم أو قبيح كأضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن كالامام له وكالمنبع والمنشا ويوم القيامة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق (فمن أوتي) هو في معنى الجمع ولذلك قيل في جزائه (فأولئك يقرؤن) وخص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة أصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم فيه من الحياء والخجل والتتعتع (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى) لا خلاف أن المراد بهذا العمى عمى القلب وأما قوله (فهو في الآخرة أعمى) فيحتمل أن يراد به عمى البصر كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل أن يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان أعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الآخرة التي لم يره ولم يعاين أعمى بالطريق الاولى لان الضلال عن معرفة احوال الآخرة أقرب وقوعا فعلى هذا يكون الأعمى في الموضعين في الدنيا ومثله ماروى أبو روق عن

أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة ويستغشون ثيابهم قال يلتفون بثيابهم ويجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا ولا ينظر اليهم * وقال آخرون انما عنى بقوله ولوا على أدبارهم نفورا الشياطين وانها تهرب من قراءة القرآن وذكر الله ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن محمد الذارع قال ثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبى قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا هم الشياطين والقول الذى قلنا فى ذلك أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فأن يكون ذلك خبرا عنهم أولى اذ كان بخبرهم متصلا من أن يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر وأما النفور فانها جمع نافر كالقعود جمع قاعد والجلوس جمع جالس وجائز أن يكون مصدرا أخرج من غير لفظه اذ كان قوله ولوا بمعنى نفروا فيكون معنى الكلام نفروا نفورا كما قال امرؤ القيس

ورضت فذلت صعبة أى اذلال * اذ كان رضت بمعنى أذللت

فأخرج الاذلال من معناه لا من لفظه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ يقول تعالى ذكره نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركى قومك اذ يستمعون اليك وأنت تقرأ كتاب الله واذ هم نجوى وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول النجوى فعلهم فجعلهم هم النجوى كما يقول هم قوم رضا وانما رضا فعلهم وقوله اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا يقول حين يقول المشركون بالله ما تتبعون الا رجلا مسحورا وعنى فيما ذكر بالنجوى الذين تشاوروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ يستمعون اليك قال هى مثل قيل الوليد بن المغيرة ومن معه فى دار الندوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون الآية ونجواهم أن زعموا أنه مجنون وأنه ساحر وقالوا أساطير الأولين وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا الى معنى ما تتبعون الا رجلا له سحر أى له رئة والعرب تسمى الرئة سحرا والمسحر من قولهم للرجل اذا جبن قد انتفخ سحره وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمى وغيره مسحور ومسحر كما قال لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

* وقال آخرون وتسحر بالطعام والشراب أى تغذى بهما فكأن معناه عنده كان ان تتبعون الا رجلا له رئة يأكل الطعام ويشرب الشراب لا ملكا لا حاجة به الى الطعام والشراب والذى قال من ذلك غير بعيد من الصواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثلوا لك الأمثال وشبهوا لك الأشباه بقولهم هو مسحور وهو شاعر وهو مجنون فضلوا يقول فجاروا عن

الضلال من كان فى الدنيا أعمى عما يرى من قدرته فى خلق السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن أمر الآخرة وتحصيل العلم به أعمى قال المفسرون لا يبعد أن يكون أعمى على هذا التفسير أفعل التفضيل ودليله قراءة أبى عمرو بامالة الاول وتفخيم الثانى لان الاول ألفه واقعة فى الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثانى فان تمامه عن فكانت ألفه فى حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابى على الفارسى وأقول فى هذا الوجه نظر لان الامالة ليست مختصة بآخر الكلمة مثل شآن والكافرين ونحوهما ولهذا قرئ بامالة كليهما مع قيام هذا الاحتمال فى الثانى ولعل من لم يمل الثانى راعى المشاكلة بينه وبين أضل والله أعلم قال الحسن فى الآخرة أى فى الدار الآخرة وذلك أنه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لا تقبل وقيل المراد بالعمى فى الآخرة انه لا يهتدى الى طريق الجنة والى طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن أن يراد بها الجهل بالله لان أهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة ﴿ التأويل من استطعت منهم بصوتك أى بكلمات المبتدعة ومقالات أهل الطبيعة ان عبادى ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوصية العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين وكفى بربك وكيلا فى تربيتهم وتهيئة صلاح أحوالهم ربكم الذى يزجى لكم فلك الشريعة فى بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما نجاكم الى بر الوصول والوصال أعرضتم بحجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا من مطر القهر قاصفا من ريح الابتلاء بليات البدع والاهواء فيغرقكم فى بحر الشهوات ولقد كرمنا بنى آدم بالكرامات البدنية العامة للمؤمن والكافر وهى تخمير طينته بيده وتصويره فى الرحم بنفسه وبالكرامات الروحانية العامة وهى أن نفخ فيه من روحه وشرفه بخطاب ألست بربكم وأنطقه بجواب بلى وأولده على الفطرة وأرسل الرسل وأنزل الكتب وبالكرامات الروحانية

قصد السبيل بقيلهم ما قالوا فلا يستطيعون سبيلا يقول فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبعدهم منه وأن الله قد خذلهم عن اصابته فهم لا يقدرون على المخرج مما هم فيه من كفرهم بتوفيقهم الى الايمان به كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخرجا الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا مخرجا الوليد بن المغيرة وأصحابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش وقالوا بعنتهم أئذا كنا عظاما لم تحطم ولم تتكسر بعد مماتنا وبلانا ورفاتا يعني ترابا في قبورنا كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يقول الله رفاتا قال ترابا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا يقول غبارا ولا واحد للرفات وهو بمنزلة الدقاق والحطام يقال منه رفت يرفت رفتا فهو مرفوت اذا صير كالحطام والرضاض وقوله أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قالوا انكارا منهم للبعث بعد الموت انا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير محطمة ورفاتا محطمة وقد بلينا فصرنا فيها ترابا خلقا منشأ كما كنا قبل الممات جديدا نعاد كما بدئنا فأجابهم جل جلاله يعرفهم قدرته على بعثه اياهم بعد مماتهم وانشائه لهم كما كانوا قبل بلائهم خلقا جديدا على أي حال كانوا من الاحوال عظاما أو رفاتا أو حجارة أو حديدا أو غير ذلك مما يعظم عندهم أن يحدث مثله خلقا أمثالهم أحياء قل يا محمد كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمكذبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا كونوا ان عجبتم من انشاء الله اياكم واعادته أجسامكم خلقا جديدا بعد بلاكم في التراب ومصيركم رفاتا وأنكرتم ذلك من قدرته حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ان قدرتم على ذلك فاني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أول مرة واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم فقال بعضهم عني به الموت وأريد به أو كونوا الموت فانكم ان كنتموه أمتكم ثم بعثتكم بعد ذلك يوم البعث ذكر من قال ذلك **حدثنا** زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية عن ابن عمر أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال الموت قال لو كنتم موتى لأحييتكم **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني الموت يقول ان كنتم الموت أحييتكم **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي قال

الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر أي عبرناهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب (٦٨). ونوال الكشوف وفضلناهم على كثير أي على الملائكة لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان تفضيله حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالأمانة في قوله انا عرضنا الامانة ندعو كل أناس بامامهم من الدنيا والآخرة وغيرهما فيقال يا أهل الدنيا ويا أهل الآخرة ويا أهل الله فمن أوتي كتابه بيمينه فيه اشارة الى أن اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون حسابهم وأهل الشمال يؤتون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمي والقراءة تحتاج الى الابصار بالأبصار وبالبصائر والله أعلم ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك

قال

قال ثنا أبو مالك الجنبي قال ثنا ابن أبي خالد عن أبي صالح في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال الموت حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا سليمن أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال سعيد بن جبير في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم كونوا الموت ان استطعتم فان الموت سيموت قال وليس شئ أكبر في نفس ابن آدم من الموت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغني عن سعيد بن جبير قال هو الموت حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن عبد الله ابن عمر أنه كان يقول يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يجعل بين الجنة والنار فينادي مناد يسمع أهل الجنة وأهل النار فيقول هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني الموت يقول لو كنتم الموت لأمتكم وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان الله يجيء بالموت يوم القيامة وقد صار أهل الجنة وأهل النار الى منازلهم كأنه كبش أملح فيقف بين الجنة والنار فينادي أهل الجنة وأهل النار هذا الموت ونحن ذابحوه فأيقنوا بالخلود * وقال آخرون عني بذلك السماء والارض والجبال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال السماء والارض والجبال * وقال آخرون بل أريد بذلك كونوا ما شئتم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله كما كنتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال من خلق الله فان الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقا جديدا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره قال أو خلقا مما يكبر في صدوركم وجائز أن يكون عني به الموت لانه عظيم في صدور بني آدم وجائز أن يكون أراد به السماء والارض وجائز أن يكون أراد به غير ذلك ولا بيان في ذلك أبين مما بين جل ثناؤه وهو كل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه لانه لم يخصص منه شيأ دون شئ وأما قوله فسيقولون من يعيدنا فانه يقول فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من يعيدنا خلقا جديدا ان كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا فقل لهم يعيدكم الذي فطركم أول مرة يقول يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا انسا أحياء الذي خلقكم انسا من غير شئ أول مرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل الذي فطركم أول مرة أي خلقكم فسينغضون اليك رؤسهم يقول فانك اذا قلت لهم ذلك فسيهزون اليك رؤسهم برفع وخفض وكذلك النغض في كلام العرب انما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض أو انخفاض ثم ارتفاع ولذلك سمي الظليم نغضا لانه اذا عجل المشي ارتفع وانخفض وحرك رأسه كما قال الشاعر

* أسك نغضا لا ينى مستهدجا * ويقال نغضت سنه اذا تحركت وارتفعت من أصلها

ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا ۞ القراآت خلفك (٦٩) ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وأبو بكر وحماد الآخرون خلافك بكسر الخاء وبالالف وتنزل من مخففا أبو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد وياء تحتانية ونأى بجانبه مثل نأى يزيد وابن ذكوان ونأى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيي وعباس وأبو شعيب ونصير مثله ولكن بكسر النون على (٣) غير نصير وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كرمى ۞ الوقوف خليلا ○ قليلا ○ لا لتعلق اذا نصيرا ○ قليلا ○ تحويلا ○ وقرآن الفجر ط مشهودا ○ نافلة لك قف والوصل أولى لان عسى وعد على التهجد محمودا ○ نصيرا ○ وزهق الباطل ط زهوقا ○ للمؤمنين ○ لا لان ما بعده من صلتها خسارا ○ بجانبه ج لعطف جملتي الظرف يؤسا ○ شاكلته ط سبيلا ○ عن الروح ط قليلا ○ وكيلا ○ لا من ربك ط كبيرا ○ ظهيرا ○ مثل ز لعطف المتفقين معنى المختلفين لفظا كفورا ○ ۞ التفسير لما عدد في الآيات المتقدمة أقسام نعمه على بني آدم وشرح أحوال السعداء أردفه بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء أن وفد ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر أي لا تؤخذ عشور أموالنا ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا أي لا نسجد وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله

ومنه قول الراجز * ونغضت من هرم أسنانها * وقول الآخر * لما رأتني أنغضت لي الرأسا *
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فسينغضون اليك رؤسهم أي يحركون رؤسهم تكذيبا واستهزاء
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسينغضون اليك رؤسهم قال
يحركون رؤسهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس قوله فسينغضون اليك رؤسهم يقول سيحركونها اليك استهزاء حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فسينغضون
اليك رؤسهم قال يحركون رؤسهم يستهزؤن ويقولون متى هو حدثني علي قال ثنا عبد الله
قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فسينغضون اليك رؤسهم يقول يهزؤن
وقوله ويقولون متى هو يقول جل ثناؤه ويقولون متى البعث وفي أي حال ووقت يعيدنا خلقا
جديدا كما كنا أول مرة قال الله عز وجل لنبيه قل لهم يا محمد اذا قالوا لك متى هو ومتى هذا البعث الذي
تعدنا عسى أن يكون قريبا وانما معناه هو قريب لان عسى من الله واجب ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى لان الله تعالى كان قد أعلمه أنه
قريب مجيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان
لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا﴾ يقول تعالى ذكره قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا ذلك يوم
يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم الى موقف القيامة فتستجيبون بحمده اختلف أهل التأويل
في معنى قوله فتستجيبون بحمده فقال بعضهم فتستجيبون بأمره ذكر من قال ذلك حدثني
علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده يقول بأمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج
فتستجيبون بحمده قال بأمره * وقال آخرون معنى ذلك فتستجيبون بمعرفته وطاعته ذكر
من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده أي بمعرفته وطاعته * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال معناه فتستجيبون لله من
قبوركم بقدرته ودعائه اياكم ولله الحمد في كل حال كما يقول القائل فعلت ذلك الفعل بحمد الله
يعني ولله الحمد على كل ما فعلته وكما قال الشاعر

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

يعني فاني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست وقوله وتظنون ان لبثتم الا قليلا يقول وتحسبون عند
موافاتكم القيامة من هول ما تعاينون فيها ما لبثتم في الارض الا قليلا كما قال جل ثناؤه قال كم لبثتم
في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
وتظنون ان لبثتم الا قليلا أي في الدنيا تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلت حين عاينوا يوم القيامة
وقوله وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل
يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة كما حدثنا خلاد بن أسلم قال

لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر
ابن الخطاب فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا وقال
عمر أما ترون رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمسك عن الكلام
كراهية لما تذكرونه فأنزل الله
الآية وهذه القصة وقعت بعد
الهجرة فلهذا قال المفسرون انها
ليست بمكية وروى أن قريشا قالوا
له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية
عذاب آية رحمة فنزلت وقال الحسن
ان الكفار أخذوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة
فقالوا كف يا محمد عن ذم آلهتنا
وشتمها ولو كان ذلك حقا كان
فلان وفلان بهذا الامر أحق منك
فوقع في قلب رسول الله أن يكف
عن شتم آلهتهم وعن سعيد بن
جبير أنه صلى الله عليه وسلم كان
يستلم الحجر فتمنعه قريش ويقولون
لا ندعك حتى تستلم بآلهتنا فوقع في
نفسه أن يفعل ذلك مع كراهية فنزلت
قال القفال من المعلوم أن المشركين
كانوا يسعون في ابطال أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بأقصى
ما يقدرون عليه فتارة كانوا
يقولون لو عبدت آلهتنا عبدنا
الهك فنزلت قل يا أيها الكافرون
لا أعبد ما تعبدون وقوله ودوا لو
تدهن فيدهنون وتارة عرضوا عليه
الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة
ليترك ادعاء النبوة فنزل ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا وأخرى دعوه
الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد
الذين يدعون ربهم وكل ذلك دليل
على أنهم قصدوا أن يفتنوه عن
دينه ويزيلوه عن منهجه فلولم
يكن شيء من الروايات المذكورة
موجودا لكان للآية محمل صحيح
والمعنى وان الشأن قاربوا أن
يخدعوك فاتنين وأصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من أزال الشيء عن حده
وجهته وذلك أن في اعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك (واذا لاتخذوك) أي ولو اتبعت

قال ثنا النضر قال أخبرنا المبارك عن الحسن في هذه الآية وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن قال التي هي أحسن لا يقول له مثل قوله يقول له يرحمك الله يغفر الله لك وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم يقول ان الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزغ بينهم يقول يفسد بينهم يهيج بينهم الشر ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا يقول ان الشيطان كان لآدم وذريته عدوا قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد وغروره اياه حتى أخرجه من الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ربكم أيها القوم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم فيتوب عليكم برحمته حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر وان يشأ يعذبكم بأن يخذلكم عن الايمان فتموتوا على شرككم فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن عبد الملك بن جريج قوله ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم قال فتؤمنوا أو ان يشأ يعذبكم فتموتوا على الشرك كما أنتم وقوله وما أرسلناك عليهم وكيلا يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك اليه لتدعوه الى طاعتنا ربا ولا رقيبا انما أرسلناك اليهم لتبلغهم رسالاتنا وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم فان شئنا رحمناهم وان شئنا عذبناهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وربك أعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وربك يا محمد أعلم بمن في السموات والارض وما يصلحهم فانه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم وهو أعلم بمن هو أهل التوبة والرحمة ومن هو أهل للعذاب أهدى للحق من سبق له مني الرحمة والسعادة وأضل من سبق له مني الشقاء والخذلان يقول فلا يكبرن ذلك عليك فان ذلك من فعلي بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض بارسال بعضهم الى بعض الخلق وبعضهم الى الجميع ورفعي بعضهم على بعض درجات كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وربك أعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبورا كنا نحدث دعاء علمه داود تحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض قال كلم الله موسى وأرسل محمدا الى الناس كافة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم الى غيركم فتدعوهم آلهة فانهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه وانما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم وقيل ان الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن

مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) لولا تثبيتنا وعصمتنا لك (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مرادهم (شيأ قليلا) أي ركونا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك أشد الوعيد فقال (اذا لأذقناك) أي لو قاربت أن تركن اليهم أدنى ركون لأذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن ضم الشئ الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد عذاب الممات وهو عذاب القبر وعذاب الحياة وهو عذاب حياة الآخرة أي عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار يعني مضاعفا فكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت الصفة كاضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام أنك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب أن أقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء أكثر فكانت ذنوبهم وكذا عقوباتهم أعظم نظيره يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل الخطاب لا حجة فيه فقد يرتقي الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يعني لو أذقناك ذلك لم تجد أحدا يخلصك من عذابنا واعلم أن القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل على

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة وعزيرا وهم الذين يدعون يعني الملائكة والمسيح وعزيرا

القول في تأويل قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا يبتغون الى ربهم الوسيلة يقول يبتغي المدعوون أربابا الى ربهم القربة والزلفة لانهم أهل ايمان به والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله أيهم أقرب أيهم بصالح أعماله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ويرجون بأفعالهم تلك رحمته ويخافون بخلافهم أمره عذابه ان عذاب ربك يا محمد كان محذورا متقى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا في المدعوين فقال بعضهم هم نفر من الجن ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله في قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال كان ناس من الانس يعبدون قوما من الجن فأسلم الجن وبقي الانس على كفرهم فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة يعني الجن حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي قال ثنا شعبة عن سليمن عن ابراهيم عن أبي معمر قال قال عبد الله في هذه الآية أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب قال قبيل من الجن كانوا يعبدون فأسلموا حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثني الحسين عن قتادة عن معبد بن عبد الله الزماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم فأنزلت الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عمه عبد الله بن مسعود قال نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قوم عبدوا الجن فأسلم أولئك الجن فقال الله تعالى ذكره أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال كان نفر من الانس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك الانس بعبادتهم فقال أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر قال قال عبد الله كان ناس يعبدون نفرا من الجن فأسلم أولئك الجنيون وثبتت الانس على عبادتهم فقال الله تبارك وتعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب قال كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجن فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا فكانوا يبتغون

الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنه لا عصمة من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الألطاف الصارفة عن ذلك وهي ما أخطر الله بباله من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده وأجيب بأنه لو لم يوجد المقتضى للاقدام على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضى الا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا داعية أخرى معارضة للداعي الاول قد أوجدها الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر طرفا آخر من مكايدهم فقال (وان كادوا ليستفزونك) ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة كما في الآية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في قوله واستفزز والارض اما أرض مكة كما قال قتادة ومجاهد ويرد عليه أن كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ويمكن أن يقال انهم هموا باخراجه ولكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بأمر ربه فأطلق الاخراج على ارادة الاخراج تجوزا ويؤيده قوله (واذا لا يلبثون) وهو معطوف على يستفزونك أي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا أي لو أخرجوك لاستؤصلوا لكنه لم يقع الاستئصال فدل ذلك على عدم وقوع الاخراج ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث أنهم أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل واما أرض المدينة على ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم وقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة أو بذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج

أيهم

أيهم أقرب * وقال آخرون بل هم الملائكة **حدثني** الحسين بن على الصدائى قال ثنا يحيى ابن السكن قال أخبرنا أبو العوام قال أخبرنا قتادة عن عبد الله بن معبد الزمانى عن عبد الله بن مسعود قال كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن ويقولون هم بنات الله فأنزل الله عز وجل أولئك الذين يدعون معشر العرب يبتغون الى ربهم الوسيلة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال الذين يدعون الملائكة تبتغى الى ربها الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته حتى بلغ ان عذاب ربك كان محذورا قال وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين * وقال آخرون بل هم عزير وعيسى وأمه ذكر من قال ذلك **حدثني** يحيى بن جعفر قال أخبرنا يحيى بن السكن قال أخبرنا شعبة عن اسمعيل السدى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال عيسى وأمه وعزير **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى قال ثنا شعبة عن اسمعيل السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال عيسى بن مريم وأمه وعزير فى هذه الآية أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يبتغون الى ربهم الوسيلة قال عيسى بن مريم وعزير والملائكة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال كان ابن عباس يقول فى قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال هو عزير والمسيح والشمس والقمر * وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذى رويناه عن أبى معمر عنه وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون الى ربهم الوسيلة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن عزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه السلام فيبتغى الى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رفع وانما يبتغى الى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله ويتقرب اليه بالصالح من الأعمال فأما من كان لا سبيل له الى العمل فبم يبتغى الى ربه الوسيلة فاذ كان لا معنى لهذا القول فلا قول فى ذلك الا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل أو قول من قال هم الملائكة وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل وأما الوسيلة فقد بينا أنها القربة والزلفة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الوسيلة القربة **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الوسيلة قال القربة والزلفى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا﴾ يقول تعالى ذكره وما من قرية من القرى الا نحن مهلكو أهلها بالفناء فمبيدوهم استئصالا قبل يوم القيامة أو معذبوها اما ببلاء من قتل بالسيف أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة فمبيدوها أو معذبوها بالقتل والبلاء قال كل قرية

الى الشأم لحرصه على دخول الناس فى دين الله فنزلت الآية فرجع وعلى هذا القول تكون هذه الآية أيضا مدنيه والخلاف فى معنى الخلف كما مر فى قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ واذا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال اذن فتكون الجملة برأسها معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين أن عادته تعالى جارية بأن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم (فقال سنة من قد أرسلنا) وهو منصوب على المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنتنا تحويلا) لان الأسباب الكلية فى الازل اقتضت توزع كل من أجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فتبديل احدى الحوادث وتحويلها الى وقت آخر يقتضى تغيير الأسباب عن أوضاعها وهو محال عقلا وعادة قال أهل النظم لما قرر الالهيات والمعاد والجزاء أردفها بذكر أشرف الطاعات وهى الصلاة وأيضا لما قال وان كادوا ليستفزونك أمره بالاشتغال بعبادته تفويضا للأمور الى الله وتعويلا على فضله فى دفع شر أعدائه نظيره قوله فى سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابن قتيبة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس أن دلوك الشمس هو غروبها وعلى هذا لا تشمل الآية صلاتى الظهر والعصر وأكثر الصحابة والتابعين على أن دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذ ينظر اليها وهى فى كبد السماء وعلى هذا التفسير تشمل الآية جميع الصلوات الخمس وحمل كلام الله على ما هو أكثر فائدة أولى واللام بمعنى الوقت أو للتعليل أى أدم الصلاة فى هذا الوقت أو لاجل دخول هذا الوقت

في الارض سيصيبها بعض هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال سيصيبها هذا أو بعضه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بد اما أن يهلكها بموت واما أن يهلكها بعذاب مستأصل اذا تركوا أمره وكذبوا رسله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان من قرية الا نحن مهلكوها قال مبيدوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال اذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها وقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا يعني في الكتاب الذي كتب فيه كل ما هو كائن وذلك اللوح المحفوظ كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كان ذلك في الكتاب مسطورا قال في أم الكتاب وقرأ لولا كتاب من الله سبق ويعني بقوله مسطورا مكتوبا مبينا ومنه قول العجاج

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر ❊ في الكتب الاولى التي كان سطر

❊ أمرك هذا فاحتفظ فيه النهر ❊

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون﴾ يقول تعالى ذكره وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألها قومك الا أن من كان قبلهم من الامم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم فلما أتاهم ما سألوا منه كذبوا رسلهم فلم يصدقوا مع مجيء الآيات فعوجلوا فلم نرسل الى قومك بالآيات لانا لو أرسلنا بها اليها فكذبوا بها سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا فقيل له ان شئت أن نستأني بهم لعلنا نجتبي منهم وان شئت أن نؤتيهم الذي سألوا فان كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم قال بل تستأني بهم فأنزل الله وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة حدثني اسحق بن وهب قال ثنا أبو عامر قال ثنا مسعود بن عباد عن مالك بن دينار عن الحسن في قول الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون قال رحمة لكم أيتها الأمة انا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها أصابكم ما أصاب من قبلكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم يا محمد انك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فان سرك أن نؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا فأوحى الله اليه اني قد سمعت الذي قالوا فان شئت أن نفعل الذي قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة وان شئت أن تستأني قومك استأنيت بهم قال يا رب أستأني حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون قال قال أهل مكة لنبي الله صلى الله عليه وسلم ان كان ما تقول حقا ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبا فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال ان شئت كان

(الى غسق الليل) أي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا أي أظلم والاسم الغسق بفتح السين والتركيب يدور على السيلان ومنه يقال غسقت العين اذا هملت وكأن الظلام انهمل على الدنيا وتراكم وهذا عند سيبويه الشفق الابيض فاستدل به بعض الشافعية على أن أول وقت العشاء الآخرة يدخل بغروب الشفق الأحمر لان المحدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على أن الغاية لا تدخل في ذي الغاية وعلى أن الآية يجب أن تشمل جميع الصلوات وللخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين أجمعوا على أن المراد بقرآن الفجر هو صلاة الصبح تسمية للشئ ببعض أجزائه ومثله تسمية الصلاة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن قلت أجزاء الصلاة أعم من أركانها ولهذا قسمت الفقهاء الصلاة الى أركان وأبعاض وهيآت فلا يتم هذا الاعتراض ❊ وفي الآية مسائل الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا وأجيب بأن الآية مخصوصة بفعل الرسول أو بقوله صلوا كما رأيتموني أصلي ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الأصلي ❊ الثانية استدل بعض الشافعية بها على أن التغليس في صلاة الصبح أفضل من التنوير لوجوه منها أنه أضاف القرآن الى الفجر والتقدير أقم قرآن الفجر وظاهر الآية للوجوب فلا أقل من الندب حتى لا تكثر مخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل فيلزم أن تكون اقامة الفجر في أول الوقت أفضل ومنها أنه خص الفجر باضافة القراءة اليه فدل ذلك على أن طول القراءة في هذه الصلاة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع في ادائه في أول الوقت ومنها أنه وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا فقيل أي

يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال أكثر المفسرين معناه أن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح تنزل هؤلاء وتصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار وقيل انهم يجتمعون

الذى سألك قومك ولكنه ان كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا وان شئت استأنيت بقومك قال بل أستأني بقومي فأنزل الله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وأنزل الله عز وجل ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أنهم سألوا أن يحوّل الصفا ذهبا قال الله وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأوّلون قال ابن جريج لم يأت قرية بآية فيكذبوا بها الا عذبوا فلو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا عذبوا وأن الأولى التى مع منعنا في موضع نصب بوقوع منعنا عليها وأن الثانية رفع لان معنى الكلام وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الأوّلين من الأمم فالفعل لأن الثانية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا﴾ يقول تعالى ذكره وقد سأل الآيات يا محمد من قبل قومك ثمود فآتيناها ما سألت وجعلنا تلك الآية ناقة مبصرة جعل الابصار للناقة كما تقول للشجة موضحة وهذه حجة مبينة وانما عنى بالمبصرة المضيئة البينة التى من يراها كانوا أهل بصر بها أنها لله حجة كما قيل والنهار مبصرا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتينا ثمود الناقة مبصرة أى بينة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز ذكره الناقة مبصرة قال آية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فظلموا بها يقول عز وجل فكان بها ظلمهم وذلك أنهم قتلوها وعقروها فكان ظلمهم بعقرها وقتلها وقد قيل معنى ذلك فكفروا بها ولا وجه لذلك الا أن يكون قائله أراد فكفروا بالله بقتلها فيكون ذلك وجها وأما قوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا فانه يقول وما نرسل بالعبر والذكر الا تخويفا للعباد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا وان الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون أو يذكرون أو يرجعون ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال يا أيها الناس ان ربكم يستعتبكم فأعتبوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا نوح بن قيس عن أبي رجاء عن الحسن وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال الموت الذريع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا﴾ وهذا حض من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على تبليغ رسالته واعلام منه أنه قد تقدم منه اليه القول بأنه سيمنعه من كل من بغاه سوأ وهلاكا يقول جل ثناؤه واذكر يا محمد اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس قدرة فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ونحن مانعوك منهم فلا تتهيب منهم أحدا وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول أحاط بالناس عصمك من الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر الهذلى عن الحسن واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس قال يقول أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف أنه لا يقتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أحاط بالناس

خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة الصبح قبل أن تعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا لقينا عبادك وهم يصلون فيقول الله للملائكة اشهدوا فاني قد غفرت لهم والغرض أن المكلف اذا شرع في صلاة الصبح في آخر الظلمة الذى هو أول الفجر كانت ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكل أو بالأكثر وحضرت ملائكة النهار وهذا المعنى لا يحصل اذا ابتدئ بها وقت التنوير قال أهل التحقيق اذا شرع في صلاة الصبح في أول وقتها شاهد في أثنائها انقلاب العالم من الظلمة التى هي نظيرة الموت الى الضياء الذى هو نظير الحياة فانه ينبعث عقله من هذه الحالة الى عجيب صنع الخلاق المدبر للانفس والآفاق فيزداد بصيرة وايقانا ومعرفة وايمانا وتنفتح عليه أبواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة المتعاكسة أضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورية وبهاء فيحتمل أن يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب أنه اذا شرع في الصلاة أول انتباهه من النوم قبل أن يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية الدنية كان أولى فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) قال أبو عبيدة وابن الاعرابي هذا من

قال فهم فى قبضته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير قوله أحاط بالناس قال منعك من الناس قال معمر قال قتادة مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس قال منعك من الناس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس أى منعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك وقوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم هو رؤيا عين وهى ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم لما أسرى به من مكة الى بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وليست برؤيا منام حدثنا ابن وكيع قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس سئل عن قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال كان ذلك ليلة أسرى به الى بيت المقدس فرأى ما رأى فكذبه المشركون حين أخبرهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال أسرى به عشاء الى بيت المقدس فصلى فيه وأراه الله ما أراه من الآيات ثم أصبح بمكة فأخبرهم أنه أسرى به الى بيت المقدس فقالوا له يا محمد ما شأنك أمسيت فيه ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس فعجبوا من ذلك حتى ارتد بعضهم عن الاسلام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال قال كفار أهل مكة أليس من كذب ابن أبى كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين فى ليلة حدثنى أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال مسيره الى بيت المقدس حدثنى أبو السائب ويعقوب قالا ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبد الله عن أبى الضحى عن مسروق فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال حين أسرى به حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال ليلة أسرى به حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال الرؤيا التى أريناك فى بيت المقدس حين أسرى به فكانت تلك فتنة الكافر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس يقول أراه الله من الآيات والعبر فى مسيره الى بيت المقدس ذكر لنا أن ناسا ارتدوا بعد اسلامهم حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيره أنكروا ذلك وكذبوا به وعجبوا منه وقالوا تحدثنا أنك سرت مسيرة شهرين فى ليلة واحدة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى

قال

الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد أيضا اذا صلى من الليل وبوسط الازهرى فقال الهجود فى الاصل هو النوم بالليل ولكن تاء التفعل فيه لاجل التجنب ومنه تأثم وتحرج اذا ألقى الاثم والحرج عن نفسه فكأن به المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجه آخر لما كان غرض المصلى بالليل أن يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمى بذلك الاعتبار متهجدا وربما يقال سمى تهجدا لان الأصل فيه أن يرقد ثم يصلى ثم يرقد ثم يصلى فهو صلاة بعد رقاد كما كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولداود كما جاء فى الحديث أفضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه ثم ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به وقال فى التفسير الكبير تقديره وأقم الصلاة فى بعض الليل فتهجد به أى بالقرآن ومعنى نافلة زائدة كما مر فى أول الانفال ثم من ذهب الى أن صلاة الليل كانت واجبة على النبى صلى الله عليه وسلم زعم أن معناها كونها فريضة له زائدة على الصلوات الخمس أو المراد أن فرضيتها نسخت عنك فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ويرد عليه أن الامر ظاهره الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض على قول من يقول ان صلاة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن أن يجاب عنه بأن قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد والسدى ان كل طاعة يأتى بها النبى سوى المكتوبة فان تأثيرها لا يكون فى كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وانما تكون مؤثرة فى زيادة الدرجات وكثرة الثواب ولا كذلك حال الامة فكأنه قيل للنبى ان هذه الطاعات زوائد ونوافل فى حقك لا فى حق غيرك لان غيرك يحتاج اليها فى تكفير السيئات ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم أن قوله أقم الصلاة عام له ولكل أمته وان كان ظاهره خطابا معه ثم وعده على اقامة الفرائض والنوافل بقوله (عسى أن يبعثك ربك) ولا ريب أن عسى

قال ثنى على قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال هو ما أرى فى بيت المقدس ليلة أسرى به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وما جعلنا الرؤيا التى أريناك قال أراه الله من الآيات فى طريق بيت المقدس حين أسرى به نزلت فريضة الصلاة ليلة أسرى به قبل أن يهاجر بسنة (١) وتسع سنين من العشر التى مكثها بمكة ثم رجع من ليلته فقالت قريش تعشى فينا وأصبح فينا ثم زعم أنه جاء الشام فى ليلة ثم رجع وايم الله ان الحدأة لتجيئها شهرين شهرا مقبلة وشهرا مدبرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال هذا حين أسرى به الى بيت المقدس افتتن فيها ناس فقالوا يذهب الى بيت المقدس ويرجع فى ليلة وقال لما أتانى جبرئيل عليه السلام بالبراق ليحملنى عليها صرت بأذنيها وانقبض بعضها الى بعض فنظر اليها جبرئيل فقال والذى بعثنى بالحق من عنده ما ركبك أحد من ولد آدم خير منه قال فصرت بأذنيها وارفضت عرقا حتى سال ما تحتها وكان منتهى خطوها عند منتهى طرفها فلما أتاهم بذلك قالوا ما كان محمد لينتهى حتى يأتى بكذبة تخرج من أقطارها فأتوا أبا بكر رضى الله عنه فقالوا هذا صاحبك يقول كذا وكذا فقال وقد قال ذلك قالوا نعم فقال ان كان قد قال ذلك فقد صدق فقالوا تصدقه ان قال ذهب الى بيت المقدس ورجع فى ليلة فقال أبو بكر اى نزع الله عقولكم أصدقه بخبر السماء والسماء أبعد من بيت المقدس ولا أصدقه بخبر بيت المقدس قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا فلما قالوا ذلك رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه فجعل يقول هو كذا وفيه كذا فقال بعضهم وأبيكم ان أخطأ منه حرفا فقالوا هذا رجل ساحر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس يعنى ليلة أسرى به الى بيت المقدس ثم رجع من ليلته فكانت فتنة لهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الرؤيا التى أريناك قال حين أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * وقال آخرون هى رؤياه التى رأى أنه يدخل مكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أنه دخل مكة هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة فعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى مكة قبل الأجل فرده المشركون فقالت أناس قد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان حدثنا أنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم * وقال آخرون ممن قال هى رؤيا منام انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه قوما يعلون منبره ذكر من قال ذلك حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة قال ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد قال ثنى أبى عن جدى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله عز وجل فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى به رؤيا

(١) لعله ولتسع سنين أى ولمضى تسع الخ تأمل كتبه مصححه

من الكريم اطماع وايجاب قال فى الكشاف انتصب (مقاما محمودا) على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك أو هو حال أى يبعثك ذا مقام محمود وقيل انه مطلق فى كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات والاولى أن يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء انعام ولا انعام للنبى على أمته فى الآخرة الا انعام الشفاعة أولا انعام أجل منها لان السعى فى تخليص الغير من العقاب أهم من السعى فى ايصال الثواب اليه ويؤيده رواية أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وأما ما روى عن حذيفة أن المقام المحمود هو أن يجمع الناس فى صعيد واحد ولا تتكلم نفس فأول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فليس بقوى لان هذا القول من محمد لا يوجب حمدا له من أمته الا أن يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل أراد مقاما تحمد عاقبته وروى الواحدى عن ابن مسعود أن ذلك حين يقعد محمد معه على العرش وزيف بلزوم التحيز له تعالى قوله مدخل صدق ومخرج صدق مصدران بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود أى ادخالا يستأهل أن يسمى ادخالا ولا يرى فيه ما يكره قال الحسن وقتادة نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب اليه فكأنه قيل له المعبود واحد فى كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلاة وارجع الى مقرك ومسكنك (وقل رب أدخلنى) فى المدينة (مدخل صدق وأخرجنى) منها الى مكة (مخرج صدق) أى افتحها لى فعلى هذين القولين يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة فى قوله

وان كادوا ليستفزونك والاولى أن يقال انه عام فى كل ما يدخل فيه و يلابسه ثم يتركه من أمر ومكان وقيل أراد ادخاله مكة ظاهرا
عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر فى طريقه الى بيت المقدس و بيت المقدس ليلة أسرى به وقد ذكرنا بعض ذلك فى أول هذه السورة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية انما نزلت فى ذلك واياه عنى الله عز وجل بها فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام وما جعلنا الرؤيا التى أريناك ليلة أسرينا بك من مكة الى بيت المقدس الا فتنة للناس يقول الابلاء للناس الذين ارتدوا عن الاسلام لما أخبروا بالرؤيا التى رآها عليه الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا فى غيهم وكفرا الى كفرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا فتنة للناس (١) وأما قوله والشجرة الملعونة فى القرآن فان أهل التأويل اختلفوا فيها فقال بعضهم هى شجرة الزقوم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا أبو عبيدة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس والشجرة الملعونة فى القرآن قال شجرة الزقوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والشجرة الملعونة فى القرآن قال هى شجرة الزقوم قال أبو جهل أيخوفنى ابن أبى كبشة بشجرة الزقوم ثم دعا بتمر وزبد فجعل يقول زقمنى فأنزل الله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين وأنزل ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا حدثنى أبو السائب و يعقوب قالا ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن أبى الضحى عن مسروق والشجرة الملعونة فى القرآن قال شجرة الزقوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن أبى الضحى عن مسروق مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله والشجرة الملعونة فى القرآن فان قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد و يقولون تزقموا هذا الزقوم قال أبو رجاء فحدثنى عبد القدوس عن الحسن قال فوصفها الله لهم فى الصافات حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن قال قال أبو جهل وكفار أهل مكة أليس من كذب ابن أبى كبشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة و يزعم أنه ينبت فيها شجرة والشجرة الملعونة فى القرآن قال هى شجرة الزقوم حدثنى عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية والشجرة الملعونة فى القرآن قال شجرة الزقوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك قال فى قوله والشجرة الملعونة فى القرآن قال هى شجرة الزقوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن رجل يقال له بدر عن عكرمة قال شجرة الزقوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سئل سعيد بن جبير عن الشجرة الملعونة قال شجرة الزقوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن عبد الملك العرزمى عن سعيد بن جبير الشجرة الملعونة قال شجرة الزقوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنى الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والشجرة الملعونة فى القرآن قال الزقوم حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

(١) اختصر المتن اكتفاء بما سبق قريبا فتنبه كتبه مصححه

النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل أراد رب أدخلنى الصلاة وأخرجنى منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الحضور أو أدخلنى فى مجارى دلائل التوحيد وأخرجنى من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف أدخلنى القبر ادخالا مرضيا وأخرجنى منه عند البعث ملقى بالكرامة يدل على هذا التفسير ذكره على أثر ذكر البعث (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة ظاهرة تنصرنى بها على جميع من خالفنى أو ملكا وعزا ناصرا للاسلام وذويه ثم شرفه باستجابة دعائه بقوله (وقل جاء الحق) أى الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه اذا خرجت (ان الباطل كان زهوقا) غير ثابت فى كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة كانت كنار العرفج عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لقبائل العرب صنم كل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون و يقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله
(وننزل من القرآن) من للبيان كقوله من الاوثان أو للتبعيض أى ننزل ما هو شفاء وهو هذا القرآن أو
بعض هذا الجنس وقيل زائدة ولما كانت ازالة المرض مقدمة على السعى فى تكميل موجبات الصحة ذكر كون القرآن شفاء من الامراض

حجاج

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبي المحجل عن أبي معشر عن ابراهيم أنه كان يحلف ما يستثني أن الشجرة الملعونة شجرة الزقوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سألت سعيد ابن جبير عن الشجرة الملعونة في القرآن قال شجرة الزقوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال هي الزقوم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا وهي شجرة الزقوم خوف الله بها عباده فافتتنوا بذلك حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر وانا والله ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد فتزقموا فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين اني خلقتها من النار وعذبت بها من شئت من عبادي حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والشجرة الملعونة في القرآن قال الزقوم وذلك أن المشركين قالوا يخبرنا هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر حتى لا تدع منه شيأ وذلك فتنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله والشجرة الملعونة في القرآن قال شجرة الزقوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والشجرة الملعونة في القرآن الزقوم التي سألوا الله أن يملأ بيوتهم منها وقال هي الصرفان بالزبد تتزقمه والصرفان صنف من التمر قال وقال أبو جهل هي الصرفان بالزبد وافتتنوا بها * وقال آخرون هي الكشوث ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن مولى بني هاشم حدثه أن عبد الله بن الحرث بن نوفل أرسله الى ابن عباس يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن قال هي هذه الشجرة التي تلوى على الشجرة وتجعل في الماء يعني الكشوث * وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال عني بها شجرة الزقوم لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ونصبت الشجرة الملعونة عطفا بها على الرؤيا فتأويل الكلام اذا وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد وتمادي أهل الشرك في شركهم حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أراه الله في مسيره الى بيت المقدس ليلة أسري به وكانت فتنتهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها وقوله ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا يقول ونخوف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال فما يزيدهم تخويفنا الا طغيانا كبيرا يقول الا تماديا وغيا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خوفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد وقالوا تزقموا من هذا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك وقد تقدم ذكر بعض من قال ذلك ونذكر بعض من بقي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج الشجرة الملعونة قال طلعها كأنه رؤس الشياطين والشياطين ملعونون قال والشجرة الملعونة في القرآن لما ذكرها زادهم افتتانا وطغيانا قال الله تبارك وتعالى ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال

الروحانية كالعقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية أيضا لما في قراءته من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرض كما قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ثم بين أنه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والأخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان الى جوار الملائكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم (لا يزيد) القرآن (الظالمين) الذي وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الايقان والاطمئنان (الاخسارا) لان البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا فلا يزال سماع القرآن يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى أن يدفع الله مكرهم ونكرهم ثم ذكر قبح شيمة الانسان الذي جبل عليه فقال (واذا أنعمنا على الانسان) أي على هذا الجنس بالصحة والغنى وعن ابن عباس أنه الوليد بن المغيرة وفي التخصيص نظر الا أن يكون سبب النزول (أعرض ونأى بجانبه) النأي البعد والباء للتعدية أو للمصاحبة وهو تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء هو أن يوليه عرض وجهه أي ناحيته والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان هذا الفعل من شأن المستكبرين ومن قرأ ناء فاما من النوء بمعنى النهوض مستثقلا واما مقلوب كقولهم راء في رأى (واذا مسه الشر) من مرض أو فقر (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله والحاصل أنه ان فاز بالمطلوب الدنيوي وظفر بالمقصود الدني نسي المنعم الحقيقي وان فاته شيء من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف أو يدنف وكلتا الخصلتين مذمومة ولا مقتضى لهما الا العجز والطيش وكل يقدر كما قال (قل كل يعمل على شاكلته) أي كل واحد من الخلائق انما يقدر له أن يعمل على سيرته وطريقته التي تشاكل

حاله التي جبل عليها من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) لأنه الذي خلق كل شيء وربّاه وهو عالم بناصية كل نفس وبمقتضى جوهرها المشرق أو المظلم سواء قلنا ان النفوس مختلفة

أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوا على ربهم بتخويفه اياهم تحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له حسدا واستكبارا لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا وكيف صدقوا ظنه فيهم وخالفوا أمر ربهم وطاعته واتبعوا أمر عدوهم وعدو والدهم ويعني بقوله واذ قلنا للملائكة واذكر اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس فانه استكبر وقال أأسجد لمن خلقت طينا يقول لمن خلقته من طين فلما حذفت من تعلق به قوله خلقت فنصب يفتخر عليه الجاهل بأنه خلق من نار وخلق آدم من طين كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث رب العزة تبارك وتعالى ابليس فأخذ من أديم الارض من عذبها وملحها فخلق منه آدم فكل شيء خلق من عذبها فهو صائر الى السعادة وان كان ابن كافرين وكل شيء خلقه من ملحها فهو صائر الى الشقاوة وان كان ابن نبيين ومن ثم قال ابليس أأسجد لمن خلقت طينا أي هذه الطينة أنا جئت بها ومن ثم سمي آدم لأنه خلق من أديم الارض وقوله أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ يقول تعالى ذكره أرأيت هذا الذي كرمته عليّ فأمرتني بالسجود له ويعني بذلك آدم لئن أخرتني أقسم عدو الله فقال لربه لئن أخرت اهلاكي الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا يقول لأستولين عليهم ولأستأصلنهم ولأستميلنهم يقال منه احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ومنه قول الشاعر

نشكو اليك سنة قد أجحفت ۞ جهدا الى جهد بنا فأضعفت

* واحتنكت أموالنا وجلفت ۞

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى لأحتنكن ذريته الا قليلا قال لأحتوينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لأحتنكن ذريته الا قليلا يقول لأستولين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لأحتنكن ذريته الا قليلا قال لأضلنهم وهذه الالفاظ وان اختلفت فانها متقاربات المعنى لان الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد واذا استولى عليهم فقد أضلهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) يقول تعالى ذكره قال الله لابليس اذ قال له لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا اذهب فقد أخرتك فمن تبعك منهم يعني من ذرية آدم عليه السلام فأطاعك فان جهنم جزاؤك وجزاؤهم يقول ثوابك على دعائك اياهم على معصيتي وثوابهم على اتباعهم اياك وخلافهم أمري جزاء موفورا يقول ثوابا مكثورا مكملا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا عذاب جهنم جزاؤهم ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا قال وافرا حدثني محمد بن

عمرو

بالماهيات أو هي متساوية الحقائق واختلاف أحوالها لاختلاف أمزجة أبدانها كما أن الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال (ويسألونك عن الروح) ذكر المفسرون في سبب نزوله أن اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا عن ثلاث عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عن الاولين وأبهم الثالثة فهو نبي لان ذكر الروح مبهم في التوراة وان أجاب عن الكل أو سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح اذ قال (قل الروح من أمر ربي) أي مما استأثر الله بعلمه فندموا على سؤالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها أن الروح ليس أعلى شأنا من الله تعالى واذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فما المانع من معرفة الروح ومنها أن هذه المسألة تعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول اني لا أعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما روي عن ابن أبي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح ومنها أن جعل الحكاية دليلا على النبوة غير معقول ونحن نتقصى عن المسألة فنقول السؤال عن الروح اما أن يكون عن حقيقته أو عن حال من أحواله ككونه متحيزا أو غير متحيز أو قديما أو حادثا أو باقيا بعد البدن أو فانيا أو على تقدير البقاء ما سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح ليس

فيه ما يدل على تعيين شئ من هذه المسائل فالاولى أن يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشئ أهم وأقدم من معرفة
حال من أحواله فيكون قوله قل الروح من أمر ربي رمزا الى أن الروح جوهر بسيط (٨١) مجرد حصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون
لان الآية دلت على أن الروح من أمر الرب وقال في آخر سورة يس انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ينتج أن الروح اذا أراده فانما يقول له كن فيكون ومنه يعلم أنه شئ مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة وللاعراض الموقوفة على الاجسام وأنه بسيط محض والا لتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من كون الروح كذلك كونه مشاركا للبارى تعالى في الحقيقة فان الاشتراك في اللوازم لا يقتضى الاشتراك في الملزومات وليس في الآية دلالة على حدوث الروح الا بحسب الذات بل لمستدل أن يستدل بها على قدمه بالزمان اذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر والمفروض خلافه ولما كان أمر الروح مشتبها على الناس كلهم أو جلهم ختم الآية بقوله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وذلك أن الانسان وان كثر علمه وكثرت معرفته بحقائق الاشياء ودقائقها فان ما علم يكون أقل مما لم يعلم فاذا نسب معلومه الى معلومات الله المشار اليها بقوله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي كان كلا شئ فانه لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي أصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وذكر الامام فخر الدين الرازي أن قوله قل الروح من أمر ربي يدل على أن الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما أمر فرعون برشيد أي فعله وقال ولما جاء أمرنا أي فعلنا واذا

عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد موفورا قال وافرا * القول في تأويل قوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) يعني تعالى ذكره بقوله واستفزز واستخفف واستجهل من قولهم استفزه لا كذا وكذا فهو يستفزه من استطعت منهم بصوتك اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناه جل ثناؤه بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك فقال بعضهم عنى به صوت الغناء واللعب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد في قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال باللهو والغناء حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد في قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال اللعب واللهو * وقال آخرون عنى به واستفزز من استطعت منهم بدعائك اياه الى طاعتك ومعصية الله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال صوته كل داع دعا الى معصية الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال بدعائك * وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال ان الله تبارك وتعالى قال لابليس واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت فكل صوت كان دعاء اليه والى عمله وطاعته وخلافا للدعاء الى طاعة الله فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له واستفزز من استطعت منهم بصوتك وقوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك يقول وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء الى طاعتك والصرف عن طاعتي يقال منه أجلب فلان على فلان اجلابا اذا صاح عليه والجلبة الصوت وربما قيل ما هذا الجلب كما يقال الغلبة والغلب والشفقة والشفق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد في قوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال كل راكب وماش في معاصي الله تعالى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس وهم الذين يطيعونه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الرجال المشاة حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال خيله كل راكب في معصية الله ورجله كل راجل في معصية الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال ابليس والرجل جمع راجل كما التجر جمع تاجر والصحب جمع صاحب وأما قوله وشاركهم في الأموال والأولاد فان أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله وشاركهم في الأموال والأولاد فقال بعضهم هو أمره اياهم بانفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وشاركهم

في الأموال التي أصابوها من غير حلها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وشاركهم في الأموال قال ما أكل من مال بغير طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح قال الشرك في أموال الربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله وشاركهم في الأموال والأولاد قال قد والله شاركهم في أموالهم وأعطاهم الله أموالا فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حق الله تبارك اسمه وهو قول قتادة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الحسن شاركهم في الأموال مرهم أن يكسبوها من خبيث وينفقوها في حرام حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وشاركهم في الاموال والاولاد قال كل مال في معصية الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وشاركهم في الاموال والأولاد قال مشاركته اياهم في الاموال والاولاد مازين لهم فيهما من معاصي الله حتى ركبوها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد وشاركهم في الأموال كل ما أنفقوا في غير حقه * وقال آخرون بل عني بذلك كل ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرمون من الانعام كالبحائر والسوائب ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وشاركهم في الاموال والاولاد قال الاموال ما كانوا يحرمون من أنعامهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى عن عمران بن سليمن عن أبي صالح عن ابن عباس قال مشاركته في الاموال أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وشاركهم في الاموال فانه قد فعل ذلك أما في الاموال فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما (قال أبو جعفر الصواب حاميا) * وقال آخرون بل عني به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول وشاركهم في الاموال والاولاد يعني ما كانوا يذبحون لآلهتهم * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك كل مال عصي الله فيه بانفاق في حرام أو اكتساب من حرام أو ذبح للآلهة أو تسييب أو بحر للشيطان وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه وذلك أن الله قال وشاركهم في الاموال فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصي الله فيه فقد شارك فاعل ذلك فيه ابليس فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض وقوله والاولاد اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم فقال بعضهم شركته اياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وشاركهم في الاموال والاولاد قال أولاد الزنا حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وشاركهم في الاموال والأولاد قال أولاد الزنا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وشاركهم في الاموال والاولاد قال أولاد الزنا حدثنا القاسم

قال

حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا عين النزاع فان الخصم لا يسلم أن كل ما هو من فعل الله بايجاده فانه حادث ثم ذكر حجة أخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما أوتيتم من العلم الا قليلا ووجه تقريرها أن الانسان بل روحه في مبدا الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير من النقصان الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على أن حمل وقت قلة العلم على أول الفطرة تخصيص من غير دليل مع أن ظاهر الآية يدل على أن الانسان وان أوتي حظا من العلم وافرا فانه قليل بالاضافة الى علم عالم الذات وقيل الروح المذكور في الآية هو القرآن الذي تسبب لحياة الروح كأن القوم استعظموا أمره فسألوا انه من جنس الشعر أو من جنس الكهانة فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه وتنزيله وقيل هو ملك في غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا ونقل عن علي عليه السلام أن له سبعين ألف وجه ولكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة يوم القيامة ولم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش ولو شاء الله أن يبتلع السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل وأمثال هذه الروايات مسرحة الى بقعة الامكان ولا وجه للاعتراض عقلا عليه وقال الحسن وقتادة هذا الروح جبرئيل كأنهم سألوا الرسول كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فأمر بأن يقول الروح من أمر ربي أي نزوله بأمر الرب كقوله وما نتنزل الا بأمر ربك وقال مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤس يأكلون كما يأكل الناس وليسوا

قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أولاد الزنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول وشاركهم فى الاموال والاولاد قال أولاد الزنا يعنى بذلك أهل الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال الاولاد أولاد الزنا * وقال آخرون عنى بذلك وأدهم أولادهم وقتلهموهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وشاركهم فى الاموال والاولاد قال ما قتلوا من أولادهم وأتوا فيهم الحرام * وقال آخرون بل عنى بذلك صبغهم اياهم فى الكفر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قد والله شاركهم فى أموالهم وأولادهم فمجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الاسلام وجزؤا من أموالهم جزأ للشيطان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قد فعل ذلك أما فى الاولاد فانهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم * وقال آخرون بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد شمس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى بن يونس عن عمران بن سليمن عن أبى صالح عن ابن عباس وشاركهم فى الأموال والأولاد قال مشاركته اياهم فى الأولاد سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله أو بادخاله فى غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو قتله و وأده أو غير ذلك من الامور التى يعصى الله بها بفعله به أو فيه فقد دخل فى مشاركة ابليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه لان الله لم يخصص بقوله وشاركهم فى الأموال والأولاد معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أو به وأطيع به الشيطان أو فيه فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به ابليس فيه * وقوله وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يقول تعالى ذكره لابليس وعد أتباعك من ذرية آدم النصرة على من أرادهم بسوء يقول الله وما يعدهم الشيطان الا غرورا لأنه لا يغنى عنهم من عقاب الله اذا نزل بهم شيأ فهم من عداته فى باطل وخديعة كما قال لهم عدو الله حين حصحص الحق ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون من قبل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره لابليس ان عبادى الذين أطاعونى فاتبعوا أمرى وعصوك يا ابليس ليس لك عليهم حجة وقوله وكفى بربك وكيلا يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكفاك يا محمد ربك حفيظا وقيما بأمرك فانقد لأمره وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين ولا تخف أحدا فانه قد توكل بحفظك ونصرتك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وعباده المؤمنون وقال الله فى آية أخرى انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به ربكم أيها القوم هو الذى يسير لكم السفن فى البحر فيحملكم فيها لتبتغوا من فضله لتوصلوا

بالناس وزيفت هذه الاقوال بأن صرف السؤال عن الروح الانسانى الذى تتوفر دواعى العقلاء على معرفته الى أشياء مجهولة الوجود مستنكر واعلم أن للعقلاء فى حقيقة الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم بأقرب الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو الأبعد ولنذكر بعض تلك المذاهب فلعل الحق يلوح فى تضاعيف ذلك فنقول العلم الضرورى حاصل بوجود شئ يشير اليه كل واحد بقوله أنا فذلك المشار اليه اما أن يكون جوهرا مفارقا أو جسما هو هذه البنية أو جسما داخلا فيها أو خارجا عنها أو عرضا أما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى أن الانسان هو هذا الهيكل المحسوس وزيف بأن البدن دائما فى التغير والتبدل والمشار اليه بأنا واحد من أول العمر الى آخره وبأن الانسان غير غافل عن نفسه حين ما يكون ذاهلا عن أجزاء بدنه وبأن النصوص الواردة فى القرآن والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وكقوله صلى الله عليه وسلم أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله فى خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا أهلى ويا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله وغير حله فالهناء لغيرى والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى توجب مغايرة النفس للبدن وبأن جميع فرق الدنيا من أرباب الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير وبأن الميت قد يرى فى المنام فيخبر عن أمور غائبة وتكون كما أخبر وبأن الانسان قد يقطع عضو من أعضائه ويعلم يقينا أنه هو الذى كان قبل ذلك وبثبوت المسخ فى حق طائفة من أهل الكتاب وليس المسخ الا تغيير البنية مع بقاء الحقيقة وبأن جبرئيل قد رؤى فى صورة دحية وابليس رؤى فى صورة الشيخ

بالركوب فيها الى أماكن تجاراتكم ومطالبكم ومعايشكم وتلتمسون من رزقه انه كان بكم رحيما يقول ان الله كان بكم رحيما حين أجرى لكم الفلك فى البحر تسهيلا منه بذلك عليكم التصرف فى طلب فضله فى البلاد النائية التى لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول اليها ✻ وبنحو ماقلنا فى قوله يزجى لكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر يقول يجرى الفلك **حدثنى** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر قال يسيرها فى البحر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر قال يجرى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر قال يجريها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا﴾ يقول تعالى ذكره واذا نالتكم الشدة والجهد فى البحر ضل من تدعون يقول فقدتم من تدعون من دون الله من الانداد والآلهة وجار عن طريقكم فلم يغثكم ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه فلما دعوتموه وأغاثكم وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه فى البحر أعرضتم عما دعاكم اليه ربكم من خلع الانداد والبراءة من الآلهة وافراده بالالوهة كفرا منكم بنعمته وكان الانسان كفورا يقول وكان الانسان ذا جحد لنعم ربه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره أفأمنتم أيها الناس من ربكم وقد كفرتم نعمته بتنجيته اياكم من هول ما كنتم فيه فى البحر وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك فلما نجاكم وصرتم الى البر كفرتم وأشركتم فى عبادته غيره أن يخسف بكم جانب البر يعنى ناحية البر أو يرسل عليكم حاصبا يقول أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم كما فعل بقوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا يقول ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه ✻ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا يقول حجارة من السماء ثم لا تجدوا لكم وكيلا أى منعة ولا ناصرا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا قال مطر الحجارة اذا خرجتم من البحر وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله أو يرسل عليكم حاصبا الى أو يرسل عليكم ريحا عاصفا تحصب ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

مستقبلين شمال الشام يضربنا ✻ بحاصب كنديف القطن منثور

وأصل الحاصب الريح تحصب بالحصباء والحصباء الارض فيها الرمل والحصى الصغار يقال فى الكلام حصب فلان فلانا اذا رماه بالحصباء وانما وصفت الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك كما قال الاخطل

ولقد علمت اذا العشار تروحت ✻ هدج الرئال تكبهن شمالا

ترمى العضاه بحاصب من ثلجها ✻ حتى يبيت على العضاه جفالا

النجدى فعلم أن لا عبرة بالبنية وبأن الزانى يزنى بفرجه فيضرب على ظهره فعلم أن المتلذذ والمتألم شئ آخر سوى العضوين وبأنا نعلم ضرورة أن العالم الفاهم للخطاب انما هو فى ناحية القلب ليس بجملة البدن ولا شيأ من الاعضاء أما ان قيل الانسان جسم هو فى داخل البدن فاعلم ان أحدا من العقلاء لم يقل بأن الانسان عبارة عن الاعضاء الكثيفة الصلبة التى غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذى غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة أعنى الدم بدليل أنه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذى غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح الذى فى القلب أو جزء لا يتجزأ فى الدماغ ومنهم من يقول اختلطت بهذه الارواح القلبية والدماغية أجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية وهى الانسان ومنهم من قال اذا تكون بدن الانسان وتم استعداده نفذت فيه أجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس غير قابلة للتبديل والتحويل ولا للتفرق والتمزق نفوذا يشبه نفوذ النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد وهذا النفوذ هو المراد بقوله ونفخت فيه من روحى ثم اذا تولد فى البدن أخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن فحينئذ يعرض الموت للجوهر قال الامام فخر الدين الرازى هذا ما ذهب اليه ثابت ابن قرة وغيره وهو مذهب قوى شريف يجب التأمل فيه فانه شديد المطابقة لما فى الكتب الالهية من أحوال الحياة والموت قلت أما نفوذ الجوهر النورى فى البدن كنفوذ الدهن فى السمسم فسلم وأما أنه أجرام أو أجسام ففيه نظر واعلم أنه لم يذهب أحد الى أن الانسان جسم خارج عن البدن ولا الى أنه عرض حال فى البدن الا ما نقل عن الاطباء وعن أبى الحسين البصرى من المعتزلة أن الانسانية عبارة عن امتزاجات اجزاء العناصر

۞ القول

بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخص هذا الصنف ومن شيوخ المعتزلة من قال الانسان عبارة عن أجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة بأعراض مخصوصة هي الحياة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه ممتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ يقول تعالى ذكره أم أمنتم أيها القوم من ربكم وقد كفرتم به بعد انعامه عليكم النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى يقول مرة أخرى والهاء التي في قوله فيه من ذكر البحر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن يعيدكم فيه تارة أخرى أي في البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه وتدقه من قولهم قصف فلان ظهر فلان اذا كسره فيغرقكم بما كفرتم يقول فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم يقول بكفركم به ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يقول ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم ولا ثائرا يثأرنا بإهلاكنا كم وقيل تبيعا في موضع التابع كما قيل عليم في موضع عالم والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره تبيع ومنه قول الشاعر

عدوا وعدت غزلانهم فكأنها ❊ ضوامن غرم لزهن تبيع

وبنحو الذي قلنا في القاصف والتبيع قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فيرسل عليكم قاصفا من الريح يقول عاصفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قاصفا التي تغرق حدثني علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يقول نصيرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال محمد ثائرا وقال الحرث نصيرا ثائرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال ثائرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي لا نخاف أن نتبع بشيء من ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يقول لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك والتارة جمعه تارات وتير وفعلت منه أترت ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد كرمنا بني آدم بتسليطنا اياهم على غيرهم من الخلق وتسخيرنا سائر الخلق لهم وحملناهم في البر على ظهور الدواب والمراكب وفي البحر في الفلك التي سخرناها لهم ورزقناهم من الطيبات يقول من طيبات المطاعم والمشارب وهي حلالها ولذيذاتها وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها الى أفواههم وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولقد كرمنا بني آدم الآية قال وفضلناهم في اليدين يأكل بهما ويعمل بهما وما سوى الانس يأكل بغير ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم في قوله ولقد كرمنا بني آدم قال قالت الملائكة يا ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ❊ القول في تأويل قوله تعالى

والصحيح من المذاهب عند أكثر علماء الاسلام كالشيخ أبي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ أبي حامد الغزالي ومن قدماء المعتزلة معمر ابن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد رضي الله عنه ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة الالهيين كلهم أن الروح الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما أن اله العالم لا تعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن بقي البدن معطلا ميتا واستدلوا على هذا المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازي وهي لو كان الانسان جوهرا متحيزا لكان كونه متحيزا عين ذاته المخصوصة اذ لو كان صفة قائمة بها لزم كون الشيء الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين وأيضا لم يكن جعل أحدهما ذاتا والآخر صفة أولى من العكس وأيضا التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان التحيز عين ذاته لزم أنه متى عرف ذاته عرف تحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلاث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم منتف وعورض بأنه لو كان الانسان جوهرا مجردا لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك وأجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ومنها أن الشيء الذي يشير اليه كل أحد بقوله أنا واحد بالبديهة ولان الغضب مثلا حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المنافي مشروطا بالشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لابد أن يكون بعينه مدركا ولان اشتغال

﴿يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الامام الذى ذكر الله جل ثناؤه أنه يدعو كل أناس به فقال بعضهم هو نبيه ومن كان يقتدى به فى الدنيا ويأتم به ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن ليث عن مجاهد يوم ندعو كل أناس بامامهم قال نبيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد يوم ندعو كل أناس بامامهم قال نبيهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بامامهم قال نبيهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كل أناس بامامهم قال نبيهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله ❊ وقال آخرون بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يوم ندعو كل أناس بامامهم قال الامام ما عمل وأملى فكتب عليه فمن بعث متقيا لله جعل كتابه بيمينه فقرأه واستبشر ولم يظلم فتيلا وهو مثل قوله وانهما لبامام مبين والامام ما أملى وعمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن يوم ندعو كل أناس بامامهم قال بأعمالهم حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن بكتابهم الذى فيه أعمالهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم ندعو كل أناس بامامهم يقول بكتابهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال بأعمالهم ❊ وقال آخرون بل معناه يوم ندعو كل أناس بكتابهم الذى أنزلت عليهم فيه أمرى ونهيى ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت يحيى بن زيد فى قول الله عز وجل يوم ندعو كل أناس بامامهم قال بكتابهم الذى أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه والذى عليه يحاسبون وقرأ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال الشرعة الدين والمنهاج السنة وقرأ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال فنوح أولهم وأنت آخرهم حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم ندعو كل أناس بامامهم بكتابهم ❊ وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك يوم ندعو كل أناس بامامهم الذى كانوا يقتدون به ويأتمون به فى الدنيا لأن الأغلب من استعمال العرب الامام فيما ائتم واقتدى به وتوجيه معانى كلام الله الى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها وقوله فمن أوتى كتابه بيمينه يقول فمن أعطى كتاب عمله بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ولا يظلمون فتيلا يقول تعالى ذكره ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلا وهو المنفتل الذى فى شق بطن النواة وقد مضى البيان عن الفتيل عما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولا يظلمون فتيلا قال الذى فى شق النواة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أشير اليه بقوله هذه فقال بعضهم أشير بذلك الى النعم التى عددها تعالى ذكره بقوله ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم

الانسان بالغضب وانصبابه اليه يمنعه من الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا أنهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما مبدأ مستقل لم يكن اشتغال أحدهما بفعله مانعا للآخر وأيضا اذا أدركنا شيأ فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا للغضب فعلمنا أن صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وأيضا النفس لا يمكنها أن تتحرك بالارادة الا عند حصول الداعى ولا معنى للداعى الا الشعور بخير يرغب فى جذبه أو بشر يرغب فى دفعه وهذا يقتضى أن المتحرك بالارادة هو بعينه المدرك للخير والشر واللذيذ والمؤذى والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمشتهى والغاضب بوساطة آلات مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل أثر واحد ولو كانت جزأ من أجزاء البدن كانت قوة سارية فى جميع أجزاء البدن والوجود بخلاف الكل فحصل اليقين بأن النفس شئ مغاير لكل البدن ولكل جزء من أجزائه ومنها أن الاستقراء يدل على أن أحوال النفس بالضد من أحوال الجسد لان الجسم اذا قبل شكل التثليث مثلا امتنع أن يقبل حينئذ شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة يعينها على ادراك ما عداها ولذلك يزداد الانسان فهما وذكاء بازدياد العلوم وأيضا كثرة الافكار توجب قوة للنفس وتستدعى استيلاء النفس على الدماغ وقد تصير أبدان أرباب الرياضة فى غاية النحافة والهزال وتقوى نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى السلاطين وأصحاب الشوكة والقوة ومما يختص بهذه الآية التى نحن فى تفسيرها أن الروح لو كان جسما منتقلا من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن فى كونه متولدا من أجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح كان الأنسب أن يقول انه جسم كان كذا ثم

وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فقال ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبى موسى قال سئل عن هذه الآية ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا فقال قال ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قال من عمى عن شكر هذه النعم فى الدنيا فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن كان فى هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه فهو فى الآخرة أعمى ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومن كان فى هذه أعمى يقول من عمى عن قدرة الله فى الدنيا فهو فى الآخرة أعمى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى هذه أعمى قال الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى يقول من كان فى هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن كان فى هذه أعمى فى الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والارض والجبال والنجوم فهو فى الآخرة الغائبة التى لم يرها أعمى وأضل سبيلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسئل عن قول الله تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا فقرأ ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون وقرأ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وقرأ حتى بلغ وله من فى السموات والارض كل له قانتون قال كل له مطيعون الا ابن آدم قال فمن كان فى هذه الآيات التى يعرف أنها منا ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى فهو فى الآخرة التى لم يرها أعمى وأضل سبيلا * وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك ومن كان فى هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها وتصريف ما فيها فهو فى أمر الآخرة التى لم يرها ولم يعاينها وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلا يقول وأضل طريقا منه فى أمر الدنيا التى قد عاينها ورآها وانما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب لأن الله تعالى ذكره لم يخصص فى قوله ومن كان فى هذه الدنيا أعمى عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض فيوجه ذلك الى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بنى آدم وحمله اياهم فى البر والبحر وما عدد فى الآية التى ذكر فيها نعمه عليهم بل عم بالخبر عن عماه فى الدنيا فهم كما عم تعالى ذكره واختلفت القراء فى قراءة قوله فهو فى الآخرة أعمى فكسرت القراء جميعا الحرف الاول أعنى قوله ومن كان فى هذه أعمى وأما قوله فهو فى الآخرة أعمى فان عامة قراء الكوفيين أمالت أيضا قوله فهو فى الآخرة أعمى وأما بعض قراء البصرة فانه فتحه وتأوله بمعنى فهو فى الآخرة أشد عمى واستشهد لصحة قراءته بقوله وأضل سبيلا وهذه القراءة هى أولى القراءتين فى ذلك بالصواب للشاهد الذى ذكرنا عن قارئه كذلك وانما كره من كره قراءته كذلك ظنا منه أن ذلك مقصود به قصد عمى العينين الذى لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى

صار كذا وكذا كما ذكر فى كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة الى آخره والاحاديث الواردة فى أن الارواح مخلوقة قبل الاجساد تؤكد ذلك الرأى الذى ادعيناه من أن النفس شئ مغاير للبدن ولأجزائه والله (٨٧) أعلم بحقائق الامور قال أهل النظم لما بين أنه ما آتاهم من العلم الا القليل أراد أن يبين أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) قلت فى نسبة علم القرآن الى القلة خروج من الادب فالاولى فى وجه النظم أن يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسألة الروح وبين أن ذلك من العلوم الالهية التى لا نهاية لها الا من العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان أراد أن يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان أيضا فبين أنه قادر على ذهاب القرآن ونحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك فى آخر الزمان كما جاء فى الروايات ثم لا تجد النبى الذى هو أكمل أنواع الانسان من يتوكل عليه باسترداده فضلا عن غيره (الا رحمة من ربك) استثناء متصل أى الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو منقطع معناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به (ان فضله) بايحاء القرآن اليك ثم ابقائه عليك أو بهذا وبسائر الخصائص والمزايا (كان عليك كبيرا) وفيه أن نعمة القرآن وبقاءه محفوظا فى الصدور مسطورا فى الدفاتر من أجل النعم وأشرفها فعلى كل ذى علم أن لا يغفل عن شكرها والقيام بمواجبها جعلنا الله ممن يراعى حق القرآن ويعمل بمقتضاه واحتج الكعبى بالآية على أن القرآن مخلوق لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل أن يكون قديما وأجيب بأن ازالة العلم به عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه فى المصاحف لا يوجب حدوث الكلام النفسى الذى هو محل النزاع ثم دل على أن الذى أوحى اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن) الآية وتقدم وجه اعجاز القرآن فى أوائل سورة البقرة

اذ كان عمى البصر لا يتفاوت فيكون أحدهما أزيد عمى من آخر الا بادخال أشد أو أبين فليس الامر في ذلك كذلك وانما قلنا ذلك من عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت فانما عنى به عمى قلوب الكفار عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم فلذلك جاز ذلك وحسن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهو في الآخرة أعمى قال أعمى عن حجته في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا﴾ اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عن الذي أوحى الله اليه الى غيره فقال بعضهم ذلك الالمام بالآلهة لان المشركين دعوه الى ذلك فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعه حتى يلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر والله يعلم أني لها كاره فأبى الله فأنزل الله وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسوّدونه ويقاربونه وكان في قولهم أن قالوا انك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس وأنت سيدنا وابن سيدنا فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقاربهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك فقال ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتفتري علينا غيره قال أطافوا به ليلة فقالوا أنت سيدنا وابن سيدنا فأرادوه على بعض ما يريدون فهمّ أن يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمه الله فذلك قوله لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا الذي أرادوا فهمّ أن يقاربهم فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قالوا له ائت آلهتنا فامسسها فذلك قوله شيأ قليلا * وقال آخرون انما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم همّ أن ينظر قوما باسلامهم الى مدة سألوه الانظار اليها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا فاذا قبضنا الذي يهدى لآلهتنا أخذناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم وأن يؤجلهم فقال الله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله اليه ليعمل بغيره وذلك هو الافتراء على الله وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه الى أن يمس آلهتهم ويلم بها وجائز أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف ومسألتهم اياه ما سألوه مما ذكرنا وجائز أن يكون غير ذلك ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا فلا شيء فيه أصوب من الايمان بظاهره حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عنى بذلك منه وقوله واذا لاتخذوك خليلا يقول تعالى ذكره ولو فعلت ما دعوك اليه من الفتنة

فان قيل هب أنه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف يعرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز أن يقال ان الجن أعانوه على هذا التأليف سعيا في اضلال الخلق واخبار محمد بأنه ليس من (٨٨) كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد أن يقول ان الجن ليسوا بفصحاء فكيف يعقل أن يكون القرآن كلامهم لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب أن عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه أخبر أن الجن أيضا عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن فسقط السؤال بالكلية على أنه سبحانه قد أجاب عنه في آخر سورة الشعراء بقوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجيء تفسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدي بالقديم محال وأجيب بمثل ما مر أن محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ التي يقع التحدي بها وبفصاحتها ثم بين أنهم مع ظهور عجزهم بقوا مصرين على كفرهم فقال (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد والنبوة والمعاد وكالقصص اللائقة وغيرها من المواعظ والنصائح (فأبى أكثر الناس) فيه معنى النفي كأنه قيل فلم يرضوا (الا كفورا) وجحودا قال أهل البرهان انما لم يذكر الناس في أوائل السورة حين قال ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا التقدم ذكرهم في السورة وذكرهم في الكهف اذ لم يجر ذكرهم وذكر الناس ههنا وان جرى ذكرهم دفعا للالتباس لان ذكر الجن أيضا قد جرى وقدم للناس على قوله في هذا القرآن كما قدمه في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وأما في الكهف فعكس الترتيب لان اليهود سألته عن قصة أصحاب الكهف وغيرها وقد عن
أوحاها الله تعالى اليه في القرآن فكانت العناية بالقرآن أكثر فكان تقديمه أجدر ۞ التأويل وان كادوا ليفتنونك أي من عمى قلوبهم ولولا

عن الذى أوحينا اليك لاتخذوك اذا لأنسهم خليلا وكنت لهم وكانوا لك أولياء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن ثبتناك يامحمد بعصمتنا اياك عما دعاك اليه هؤلاء المشركون من الفتنة لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا يقول لقد كدت تميل اليهم وتطمئن شيأ قليلا وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به من أن يفعل بعض الذى كانوا سألوه فعله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة فى قوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لو ركنت الى هؤلاء المشركين يا محمد شيأ قليلا فيما سألوك اذا لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يعنى ضعف عذاب الدنيا والآخرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ضعف الحياة قال عذابها وضعف الممات قال عذاب الآخرة حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى عذاب الدنيا والآخرة حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ضعف الحياة وضعف الممات قال عذاب الدنيا وعذاب الآخرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ضعف الحياة وضعف الممات يعنى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى قوله اذا لأذقناك ضعف الحياة مختصر كقولك ضعف عذاب الحياة وضعف الممات فهما عذابان عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة وقوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا يقول ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك الى هؤلاء المشركين لو ركنت اليهم عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيرا ينصرك علينا ويمنعك من عذابك وينقذك مما نالك منا من عقوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا﴾ يقول عز وجل وان كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الارض يقول ليستخفونك من الارض التى أنت بها ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا يقول ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها الا قليلا حتى أهلكهم بعذاب عاجل واختلف أهل التأويل فى الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض وفى الارض التى أرادوا أن يخرجوه منها فقال بعضهم الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود والارض التى أرادوا أن يخرجوه منها المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال زعم حضرمى أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان أرض الانبياء أرض

أن ثبتناك بالقول الثابت هو قول لا اله الا الله الى أن بلغت حقيقة لا اله الا الله شيأ قليلا وانما وصفه بالقلة لأن بشريته مغلوبة وروحانيته غالبة ضعف الحياة وضعف الممات أى نحيى نفسك وأذقناك عذاب حياتها واستيلائها على الروح ونميت قلبك وأذقناك عذاب مماته وضعف سير روحانيك وبعده عن الحق سنة من قد أرسلنا أى جرت عادة الله تعالى بأن يجعل لكل نبى عدوا يؤذيه ويمكر به ثم يبين طريق خلاص الانبياء والاولياء عن ورطة الابتلاء فقال أقم الصلاة أى أدّها بالقلب الحاضر نهارا وليلا ان قرآن الفجر كان مشهودا بشواهد الحق بل الحق مشهود له ثم أدخلنى مدخل صدق يعنى السير فى الله بالله وأخرجنى مخرج صدق من حولى وأنانيتى واجعل لى من لدنك لا من لدن غيرك وفيه أن كل ذى مقام فانه لا يصل الى مقامه الا بسعى يلائم الوصول الى ذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها روى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يعرض حاجة فقال صلى الله عليه وسلم ما تريد فقال مرافقتك فى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك فقال الرجل بلى مرافقتك فى الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم فأعنى على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد وتجلى صفات الجمال والجلال وزهق الباطل وهو كل ما خلا الله من الموجودات ومن الخواطر كقوله

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل *

وننزل من القرآن ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب

* ان الاحاديث من سلمى تسلينى *

قل الروح من أمر ربى قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر الذى خلق لا من شئ وعالم الخلق الذى خلق من شئ ويعبر عنهما بالآخرة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن والظاهر والارواح والاجسام وما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله جوهرة وفى رواية درّة فنظر اليها فذابت اول ما خلق الله اللوح أول ما خلق الله روحى وفى رواية نورى وأول

الشام وان هذه ليست بأرض الانبياء فأنزل الله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها
* وقال آخرون بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا والارض مكة ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وقد هم أهل مكة باخراج النبي صلى الله عليه وسلم من
مكة ولو فعلوا ذلك لما توطنوا ولكن الله كفهم عن اخراجه حتى أمره ولقلما مع ذلك لبثوا بعد
خروج نبي الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر حدثني محمد بن
عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ليستفزونك من الارض قال قد فعلوا بعد
ذلك فأهلكهم الله يوم بدر ولم يلبثوا بعده الا قليلا حتى أهلكهم الله يوم بدر وكذلك كانت سنة الله
في الرسل اذا فعل بهم قومهم مثل ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
خلافك الا قليلا قال لو أخرجت قريش محمدا لعذبوا بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول
قتادة ومجاهد وذلك أن قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض في سياق خبر الله عز وجل عن
قريش وذكره اياهم ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله وان كادوا الى أنه خبر عنهم فهو بأن
يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره وأما القليل الذي استثناه الله جل ذكره في قوله واذا
لا يلبثون خلافك الا قليلا فانه فيما قيل ما بين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى أن
قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا يعني
بالقليل يوم أخذهم ببدر فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد حدثت عن الحسين قال سمعت
أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا كان
القليل الذي لبثوا بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم الى بدر فأخذهم بالعذاب يوم
بدر وعني بقوله خلافك بعدك كما قال الشاعر

عقب الرذاذ خلافها فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

يعني بقوله خلافها بعدها وقد حكي عن بعضهم أنه كان يقرؤها خلفك ومعنى ذلك ومعنى الخلاف
في هذا الموضع واحد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد
لسنتنا تحويلا) يقول تعالى ذكره لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك الا قليلا ولأهلكناهم بعذاب من
عندنا سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا فانا كذلك كنا نفعل بالامم اذا أخرجت رسلها من بين
أظهرهم ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله لا يلبثون خلافك الا قليلا لان معنى ذلك
لعذبناهم بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا عما جرت به كما
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا
ولا تجد لسنتنا تحويلا أي سنة الامم والرسل كانت قبلك كذلك اذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم
لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس
الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

ما خلق الله العقل وأول ما خلق الله القلم وما قيل عن بعض السلف ان أول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي فالاسماء مختلفة والمسمى
واحد وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة وباعتبار نورانيته سمي
نورا وباعتبار وفور عقله سمي
عقلا اذ قال له أقبل الى الدنيا رحمة
للعالمين فأقبل ثم قال له أدبر أي
ارجع الى ربك فأدبر عن الدنيا
ورجع الى المعراج ثم قال له وعزتي
وجلالي ما خلقت خلقا أحب الي
منك بك أعرف وبك آخذ يعني
طاعة من أخذ منك الدين والشريعة
وبك أعطي أي بشفاعتك أعطي
الدرجات العالية وبك أعاقب
الكافرين وبك أثيب المؤمنين
وباعتبار جريان الامور على وفق
متابعته والاقتداء به سمي قلما
وباعتبار غلبات صفات الملائكة
عليه سمي ملكا كروبيا ولان كل
الارواح خلقت من روحه كان أم
الارواح وروحها فلهذا قيل له أمي
وقد ورد في الحديث آدم ومن دونه
تحت لوائي يوم القيامة ولما كان
الروح خليفة الله تعالى اتصف
بالازلية دون الابدية ولما كان
الجسد خليفة الروح فبالروح قوامه
وقيامه لم يكن الجسد أزليا ولا أبديا
الا بتبعية الروح ثم أخبر عن عزة
القرآن وغيرة الرحمن بقوله ولئن
شئنا لنذهبن الآية وفيه أنه لا يقدر
على الاتيان والذهاب به الا الله تعالى
لكنه أكد هذا المعنى بقوله قل لئن
اجتمعت الانس والجن والمراد بالجن
كل ما هو مستور عن العيون
فيتناول الملائكة أيضا وفيه أنه
لامثل لصفاته حتى الكلام كما أنه
لامثل لذاته والله تعالى أعلم
بالصواب (وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي
بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت

عليه

الا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد

عليه وسلم أقم الصلاة يا محمد لدلوك الشمس واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس فقال بعضهم هو وقت غروبها والصلاة التي أمر باقامتها حينئذ صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي قال ثنا ابن فضيل عن أبي اسحق يعني الشيباني عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه أنه كان مع عبد الله بن مسعود على سطح حين غربت الشمس فقرأ أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حتى فرغ من الآية ثم قال والذي نفسي بيده ان هذا لحين دلكت الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر أن أبا عبيدة بن عبد الله كتب اليه ان عبد الله بن مسعود كان اذا غربت الشمس صلى المغرب ويفطر عندها ان كان صائما ويقسم عليها يمينا ما يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا اله الا هو إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال هذا دلوك الشمس وهذا غسق الليل وأشار الى المشرق والمغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال قال ابن عباس دلوك الشمس غروبها يقول دلكت براح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي اسحق عن الأسود عن عبد الله أنه قال حين غربت الشمس دلكت براح يعني براح مكانا حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال دلوكها غروبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصليها اذا وجبت وعندها يفطر اذا كان صائما ثم يقسم عليها قسما لا يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا اله الا هو إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ثم يقرأ ويصليها وتصديقها من كتاب الله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال كان أبي يقول دلوكها حين تريد الشمس تغرب الى أن يغسق الليل قال هي المغرب حين يغسق الليل وتدلك الشمس للغروب حدثني سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان بن عيينة سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول كان عبد الله بن مسعود يصلي المغرب حين يغرب حاجب الشمس ويحلف أنه الوقت الذي قال الله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال قال عبد الله حين غربت الشمس هذا والله الذي لا اله غيره وقت هذه الصلاة وقال دلوكها غروبها * وقال آخرون دلوك الشمس ميلها للزوال والصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باقامتها عند دلوكها الظهر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عمارة ابن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال دلوكها ميلها يعني الشمس حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس قال في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال دلوكها زوالها حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا أبو أسامة عن عبد الحميد ابن جعفر عن نافع عن ابن عمر في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال دلوكها ميلها حدثنا

ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لأظنك يافرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا

﴿القراآت﴾ تفجر من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن ذكوان الآخرون من التفجير تكثيرا للفعل وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل بالتخفيف أبو عمرو ويعقوب الآخرون

ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن سيار بن سلامة عن أبي برزة الأسلمي قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال اذا زالت حدثنا ابن حميد مرة أخرى قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد قال ثنا سيار بن سلامة الرياحي قال أتيت أبا برزة فسأله والدي عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا أقم الصلاة لدلوك الشمس حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبي قال ثنا مبارك عن الحسن قال قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال الظهر دلوكها اذا زالت عن بطن السماء وكان لها في الارض فيء حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال دلوكها زوالها حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثل ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن أبي جعفر في أقم الصلاة لدلوك الشمس قال لزوال الشمس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن ابن عباس قال دلوك الشمس زيغها بعد نصف النهار يعني الظل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دلوك الشمس قال حين تزيغ عن بطن السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس أي اذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لدلوك الشمس قال حين تزيغ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال دلوك الشمس حين تزيغ * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني بقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس صلاة الظهر وذلك أن الدلوك في كلام العرب الميل يقال منه دلك فلان الى كذا اذا مال اليه ومنه الخبر الذي روي عن الحسن أن رجلا قال له أيدالك الرجل امرأته يعني بذلك أيميل بها الى المماطلة بحقها ومنه قول الراجز

هذا مقام قدمي رباح * غدوة حتى دلكت براح

ويروى براح بفتح الباء فمن روى ذلك براح بكسر الباء فانه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر ما بقي من غيارها وهذا تفسير أهل الغريب أبي عبيدة والاصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود أنه قال حين غربت الشمس دلكت براح يعني براح مكانا ولست أدري هذا التفسير أعني قوله براح مكانا من كلام من هو من في الاسناد أو من كلام عبد الله فان يكن من كلام عبد الله فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم وأن الصواب في ذلك قوله دون قولهم وان لم يكن من كلام عبد الله فان أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج وهو قوله

والشمس كادت تكون دنفا * أدفعها بالراح كي أبرحلفا

فأخبر أنه يدفع شعاعها لينظر الى مغيبها براحه ومن روى ذلك بفتح الباء فانه جعله اسما للشمس وكسر الحاء لاخراجه اياه على تقدير قطام وحذام ورقاش فاذا كان معنى الدلوك في كلام العرب

أبو جعفر ونافع وأبو عمرو خبت زدناهم بادغام التاء في الزاي أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم علي الآخرون بالفتح على الخطاب قل ادعوا بكسر اللام لساكنين عاصم وحمزة وسهل ويعقوب وعباس الآخرون بضمها للاتباع أو ادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة وسهل الباقون بالضم أياما حمزة ورويس يقفان على أيا ثم يبتدئان ما تدعوا ويسمى هذا الوقف وقف البيان الباقون على كلمة واحدة ۞ الوقوف ينبوعا ○ لا تفجيرا ○ لا قبيلا ○ لا في السماء ط لابتداء النفي بعد طول القصة وقيل الأصح الوصل لان قوله ولن نؤمن لرقيك من كلامهم نقرؤه ط رسولا ○ رسولا ○ رسولا ○ وبينكم ط بصيرا ○ المهتد ج لعطف جملتي الشرط مع التضاد من دونه لا لأن الواو لا تحتمل الاستئناف وصما ○ جهنم ط سعيرا ○ جديدا ○ لاريب فيه ط لتناهي الاستفهام الى الاخبار كفورا ○ الانفاق ط قتورا ○ مسحورا ○ بصائر ط للابتداء بان مع اتحاد القائل مثبورا ○ جميعا ○ لا للعطف لفيفا ○ ط لانقطاع النظم والمعنى نزل ط لابتداء النفي ونذيرا ○ احترازا من ايهام العطف تنزيلا ○ أولا تؤمنوا ط سجدا ○ لا لمفعولا ○ خشوعا ○ الرحمن ط لتصدير الشرط الحسنى ج لانقطاع نظم الشرط الى النهي مع اتحاد المراد سبيلا ○ تكبيرا ○ ۞ التفسير ليس من شرط كون النبي صادقا تواتر المعجزات وتتالي الآيات لان فتح هذا الباب يرجع بنقض المقصود وهو أن لا تثبت نبوته أبدا ولكن المعجز الواحد يكفي في صدق النبي واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتصميمهم على الكفر وقال

هو الميل فلا شك أن الشمس اذا زالت عن كبد السماء فقد مالت للغروب وذلك وقت صلاة الظهر وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان في اسناد بعضه بعض النظر حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنى محمد بن جعفر قال ثنى يحيى بن سعيد قال ثنى أبو بكر بن عمرو بن حزم الانصاري عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبرئيل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد قال ثنى سيار بن سلامة الرياحي قال قال أبو برزة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا أقم الصلاة لدلوك الشمس حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت نبي الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخرج يا أبا بكر قد دلكت الشمس حدثني محمد بن عثمن الرازي قال ثنا سهل بن بكار قال ثنا أبو عوانة عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث ابن حميد فاذا كان صحيحا ما قلنا بالذي به استشهدنا فبين اذا أن معنى قوله جل ثناؤه أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل أن صلاة الظهر والعصر محدودهما مما أوجب الله عليك فيهما الانهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس الى غسق الليل وغسق الليل هو اقباله ودنوه بظلامه كما قال الشاعر * آب هذا الليل اذ غسقا *

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باقامتها عنده فقال بعضهم الصلاة التي أمر باقامتها عنده صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال غسق الليل بدو الليل حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال بدو الليل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال غسق الليل غروب الشمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة غسق الليل صلاة المغرب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى غسق الليل بدو الليل لصلاة المغرب وقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تزال طائفة من أمتي على الفطرة ما صلوا صلاة المغرب قبل أن تبدو النجوم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الى غسق الليل يعني ظلام الليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان أبي يقول غسق الليل ظلمة الليل * وقال آخرون هي صلاة العصر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيان عن أشعث عن جعفر عن أبي جعفر الى غسق الليل قال صلاة العصر * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باقامتها عند غسق الليل هي صلاة

ابن عباس ان رؤساء مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فأتاهم فقالوا يا محمد ان أرض مكة ضيقة فسير جبالها لتتسع وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا فقال لا أقدر عليه فقيل له أو يكون لك بيت من زخرف أي من ذهب فيغنينا عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له فاذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله ابن أمية المخزومي وأمه عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والذي يحلف به لا أومن بك حتى تتخذ سلما فتصعد عليه ونحن ننظر فتأتي بأربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدري أومن بك أم لا فأنزل الله هذه الآيات ولنشرع في تفسير اللغات فقوله ينبوعا أي عينا غزيرة من شأنها النبوع من غير انقطاع والياء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله (أو تكون لك جنة) معناه هب أنك لا تفجر الانهار لأجلنا ففجرها من أجلك وقوله (كما زعمت) اشارة الى قوله سبحانه ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أو اشارة الى ما مر في السورة من قوله أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا أي اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب وأسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد أنك نبي فأسقط السماء علينا وقيل كما زعمت أن ربك ان شاء فعل قال في الكشاف الكسف بسكون السين وفتحها جمع كسفة بالسكون كسدرة وسدر وسدر وقال أبو علي الكسف بالسكون الشيء المقطوع كالطحن للمطحون واشتقاقه على ما قال أبو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كأنه قيل أو تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال في القراءتين ومعنى (قبيلا) كفيلا بما تدعي من صحة النبوة والمراد أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا فاختصر أو المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم

المغرب دون غيرها لان غسق الليل هو ما وصفنا من اقبال الليل وظلامه وذلك لا يكون الا بعد
مغيب الشمس فأما صلاة العصر فانها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس الى غسق الليل لا عند غسق
الليل وأما قوله وقرآن الفجر فان معناه وأقم قرآن الفجر أي ما تقرأ به في صلاة الفجر من
القرآن والقرآن معطوف على الصلاة في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس وكان بعض نحويي
البصرة يقول نصب قوله وقرآن الفجر على الاغراء كأنه قال وعليك قرآن الفجر إن قرآن الفجر
كان مشهودا يقول ان ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا يشهده فيما ذكر
ملائكة الليل وملائكة النهار * وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الآثار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي قال ثني
أبي عن الأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه الآية وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل
وملائكة النهار حدثنا محمد بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا ليث بن سعد وحدثنا محمد
ابن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن
محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل في الساعة الاولى منهن ينظر في الكتاب الذي
لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن وهي داره التي
لم ترها عين ولا تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين
والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل في الساعة الثالثة الى السماء الدنيا
بروحه وملائكته فتنتفض فيقول قومي بعوني ثم يطلع الى عباده فيقول من يستغفرني أغفر له
من يسألني أعطه من يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر فذلك يقول وقرآن الفجر إن قرآن
الفجر كان مشهودا قال موسى في حديثه شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار وقال
ابن عسكر في حديثه فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار حدثنا ابن بشار قال ثنا
ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر قال قال أبو عبيدة بن عبد الله كان
عبد الله يحدث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله ويقرأ هذه الآية وقرآن
الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا وقرآن الفجر صلاة الصبح كنا نحدث أن عندها
يجتمع الحرسان من ملائكة الله حرس الليل وحرس النهار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد
ابن ثور عن معمر عن قتادة وقرآن الفجر صلاة الفجر وأما قوله كان مشهودا فانه يقول ملائكة
الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال
ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية وقرآن الفجر إن
قرآن الفجر كان مشهودا قال تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل حدثني أبو السائب
قال ثنا ابن فضيل عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي عبيدة في قوله وقرآن الفجر
إن قرآن الفجر كان مشهودا قال يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر
حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم في قوله وقرآن الفجر إن
قرآن

يعلموا أنه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظيره قولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وقال ابن عباس أرادوا فوجا بعد فوج وقال
الليث كل جند من الجن والانس قبيل (٩٤) وقد مر في تفسير قوله انه يراكم هو وقبيله قوله (بيت من زخرف) قال مجاهد كنا لا ندري
ما الزخرف حتى رأينا في قراءة
عبد الله أو يكون لك بيت من ذهب
وقال الزجاج هو الزينة ولا شيء في
تحسين البيت وتزيينه كالذهب
(أو ترقى في السماء) أي في معارجها
فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي
الدرجة والمصدر رقي وأصله فعول
كقعود (و) معنى (لن نؤمن لرقيك)
لن نؤمن بك لاجل رقيك (حتى
تنزل علينا كتابا) من السماء فيه
تصديقك قال الرسول متعجبا من
اقتراحاتهم أو تنزيها لله من تحكماتهم
أو من قولهم أو تأتي بالله (سبحان ربي
هل كنت) أي لست (الا بشرا
رسولا) فان طلبتم هذه الاشياء
أن آتي بها من تلقاء نفسي فالبشر
لا يقدر على أمثال ذلك فكيف أقدر
أنا عليها وان أردتم أن أطلب من
الله اظهارها على يدي فالرسول اذا
أتى بمعجز واحد وجب الاكتفاء
به ولا ضرورة الى طلب الزيادة
وأنا عبد مأمور ليس لي أن أتحكم
على الله بما ليس بضروري في الدعوة
ثم حكى عنهم شبهة أخرى فقال (وما
منع الناس أن يؤمنوا) أي الايمان
بالقرآن وبنبوة محمد (اذ جاءهم
الهدى) وهو الوحي المعجز الهادي الى
طريق النجاة (الا أن قالوا) منكرين
(أبعث الله بشرا رسولا) ثم أجاب عن
شبهتهم بقوله (قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون) على الاقدام كما
يمشي الانس (مطمئنين) ساكنين
فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا) لان الرسول لا بد أن يكون
من جنس المرسل اليهم كأنه اعتبر
لتنزيل الرسول من جنس الملائكة
أمرين أحدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران بأجنحتهم
الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من أهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف

قرآن الفجر كان مشهودا قال كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعا ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يعني صلاة الصبح حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقرآن الفجر قال صلاة الصبح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقرآن الفجر صلاة الصبح إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقرآن الفجر يعني صلاة الغداة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرآن الفجر قال صلاة الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال مشهودا من الملائكة فيما يذكرون قال وكان علي بن أبي طالب وأبي بن كعب يقولان الصلاة الوسطى التي حض الله عليها صلاة الصبح قال وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر صلاتا النهار والمغرب والعشاء صلاتا الليل وهي بينهما وهي صلاة نوم ما نعلم صلاة يغفل عنها مثلها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي الورد بن ثمامة عن أبي محمد الحضرمي قال ثنا كعب في هذا المسجد قال والذي نفس كعب بيده ان هذه الآية وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا انها الصلاة الفجر انها المشهودة حدثني الحسن بن علي بن عباس قال ثنا بشر بن شعيب قال أخبرني أبي عن الزهري قال ثني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن نافلة لك خالصة دون أمتك والتهجد التيقظ والسهر بعد نومة من الليل وأما الهجود نفسه فالنوم كما قال الشاعر

ألا طرقتنا والرفاق هجود * فباتت بعلات النوال تجود

(وقال الحطيئة)

ألا طرقت هند الهنود وصحبتي * بحوران حوران الجنود هجود

۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن أبي هلال عن الأعرج أنه قال أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من الانصار أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقال لأنظرن كيف يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ فرفع رأسه الى السماء فتلا أربع آيات من آخر سورة آل عمران ان

أن يكون قوله بشرا ملكا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم أن المعنى له أجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان أحد الصنفين المتقابلين حالا لزم أن يكون الآخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد قائلا (قل كفى بالله) الآية وذلك أن اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على الصدق فاذا لم تسمع هذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضمائر فكيف بظواهرها علم أن هذا مجرد الحسد والعناد من العباد فيجزيهم على حسب ذلك ثم بين أن الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته وتقديره فقال (ومن يهد الله) الآية وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة في مثله في آخر الاعراف وغيره وقوله (فهو المهتد) حمل على اللفظ وقوله (فلن تجد) حمل على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي أو لكل من يستحق الخطاب والاولياء الانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها كما روي أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد أخبر الله تعالى عنهم بأنهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار دعوا هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فأجاب بأنهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطاء أنهم عمي عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على أوليائه وقال مقاتل هذه الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أو بعد أن يحاسبوا فيذهب بهم الى النار وانما جعلوا مؤوفي الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي والتصام عن الحق ومن عدم النطق به (كلما خبت) أي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا

في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى مر بالاربع ثم أهوى الى القربة فأخذ سواكا فاستن به ثم توضأ ثم صلى ثم نام ثم استيقظ فصنع كصنعه أول مرة ويزعمون أنه التهجد الذى أمره الله حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا ثنا سعيد عن أبى اسحق عن محمد بن عبد الرحمن عن علقمة والاسود أنهما قالا التهجد بعد نومة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن الاسود قال التهجد بعد نومة حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنى أبو اسحق عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن علقمة والاسود مثله حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة قال التهجد بعد النوم حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن هشام عن الحسن قال التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة حدثت عن عبد الله بن صالح عن الليث عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج عن كثير بن العباس عن الحجاج بن عمرو قال انما التهجد بعد رقدة وأما قوله نافلة لك فانه يقول نفلا لك عن فرائضك التى فرضتها عليك واختلف فى المعنى الذى من أجله خص بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كون صلاة كل مصل بعد هجوده اذا كان قبل هجوده قد كان أدى فرائضه نافلة نفلا اذ كانت غير واجبة عليه فقال بعضهم معنى خصوصه بذلك هو أنها كانت فريضة عليه وهى لغيره تطوع وقيل له أقمها نافلة لك أى فضلا لك من الفرائض التى فرضتها عليك عما فرضت على غيرك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك يعنى بالنافلة أنها للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة أمر بقيام الليل وكتب عليه * وقال آخرون بل قيل ذلك له عليه السلام لانه لم يكن فعله ذلك يكفر عنه شيأ من الذنوب لان الله تعالى كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان له نافلة فضل فأما غيره فهو له كفارة وليس هو له نافلة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال النافلة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك فى كفارة الذنوب فهى نوافل وزيادة والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم فى كفارتها فليست للناس نوافل * وأولى القولين بالصواب فى ذلك القول الذى ذكرنا عن ابن عباس وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل دون سائر أمته فأما ما ذكر عن مجاهد فى ذلك فقول لا معنى له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه أكثر ما كان استغفارا لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل عليه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية وأنزل عليه اذا جاء نصر الله والفتح عام قبض وقيل له فيها فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان يعد له صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد استغفار مائة مرة ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر الا لما يغفر له باستغفاره ذلك فبين اذا وجه فساد ما قاله مجاهد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن شمر عن عطية عن شهر عن أبى أمامة قال انما كانت النافلة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نافلة لك قال تطوعا وفضيلة لك وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعسى من الله واجبة وانما وجه قول اهل العلم عسى

وأخباها غيرها اى أخمدها (زدناهم سعيرا) قال ابن قتيبة أى تسعرا وهو التلهب ولا ريب أن خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب وأجيب بأنه يحصل (٩٦) لهم فى الحال الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيستمر العذاب أو يقال لما أعظم العذاب صار التفاوت الحاصل فى الوقتين غير مشعور به ويحتمل أن يقال المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان محسوس أو معتد به بين الخبو والتسعر وقال فى الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجرامهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة فى تحسرهم وفى الانتقام منهم ومما يدل على هذا التفسير قوله (ذلك جزاؤهم) الآية ثم أبدى للجاحدين حجة يستبصر المذعن للحق اذا تأمل فقال (أولم يروا) الآية وذلك أن من قدر على خلق السموات والارض كان على اعادة من هو أدون منها أقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من أن الاعادة مثل الابتداء (١) ومن قال أراد أنه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصورتهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أى يبعثهم وحين بين أن البعث أمر ممكن فى نفسه ذكر أن لوقوعه وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم أجلا لبعثهم (أجلا لا ريب فيه) قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله أولم يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل أنه قادر على خلق أمثالهم وجعل لهم وأقول يحتمل أن يكون الواو للاستئناف ووجه النظم كما مر لما طلبوا اجراء الانهار والعيون فى أراضيهم لتتسع معايشهم بين الله تعالى أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهى رزقه وسائر نعمه على خلقه التى لا نهاية لها لبقوا على بخلهم وشحهم فضلا أن يملكوا خزائن هى بصدد الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها أن تدخل على الافعال دون الاسماء لانها حينئذ تكون على معناها الاصلى تفيد انتفاء

من

(١) لعله ومنهم من قال أراد الخ وبمراجعة الفخر تعلم ما أوجده الاختصار فتنبه كتبه مصححه

من الله واجبة لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم اياه ليس من صفته الغرور ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له فى نفعه اذا هو تعاهده ولزمه فان لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه ولا سبب يحول بينه وبين نفعه اياه مع الاطماع الذى تقدم منه لصاحبه على تعاهده اياه ولزومه فانه لصاحبه غارّ بما كان من اخلافه اياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذى قال له واذ كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده صح ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته أو على فعل من الافعال أو أمر أو نهى أمرهم به أو نهاهم عنه فانه موف لهم به وانه منه كالعدة التى لا يخلف الوفاء بها قالوا عسى ولعل من الله واجبة وتأويل الكلام أقم الصلاة المفروضة يا محمد فى هذه الاوقات التى أمرتك باقامتها فيها ومن الليل فتهجد فرضا فرضته عليك لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده وتغبط فيه ثم اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك المقام المحمود فقال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذى هو يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال يجمع الناس فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس الا باذنه ينادى يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت عبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا المقام المحمود الذى ذكره الله تعالى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تكلم نفس فأول ما يدعو محمد النبى صلى الله عليه وسلم فيقول محمد النبى صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك ثم ذكر مثله حدثنا سليمن بن عمرو بن خالد الرقى قال ثنا عيسى بن يونس عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال المقام المحمود مقام الشفاعة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله فى قصة ذكرها قال ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم فيمر الناس بقدر أعمالهم يمر أولهم كالبرق وكمر الريح وكمر الطير وكأسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا ثم مشيا حتى يجىء آخرهم يتلبط على بطنه فيقول رب لما أبطأت بى فيقول انى لم أبطئ بك انما أبطأ بك عملك قال ثم يأذن الله فى الشفاعة فيكون أول شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام روح القدس ثم ابراهيم خليل الرحمن ثم موسى أو عيسى قال أبو الزعراء لا أدرى أيهما قال قال ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعا فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه وهو المقام المحمود الذى ذكر الله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قول الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال المقام المحمود مقام الشفاعة يوم القيامة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى مقاما محمودا قال شفاعة محمد يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

الشئ لانتفاء تفسيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذى يدل على الآثار والاحوال لا الذوات وأيضا انها ههنا بمعنى ان الشرطية وهى مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فأصل الكلام لو تملكون تملكون مرتين فأضمر الاول اضمارا على شريطة التفسير فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وقال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدال على الاختصاص أنهم هم المختصون بالشح المتبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدا والخبر من حيث انه لا يقصد الفعل بل الفاعل كما فى قول حاتم لوذات سوار لطمتنى لا يقصد اللطمة بل اللاطمة أى لو حرة لطمتنى وقوله (خشية الانفاق) أى خوف الفقر من أنفق ماله اذا ذهب وأمسكتم متروك المفعول معناه لبخلتم (وكان الانسان قتورا) أى بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير التقصير فى الانفاق وهذا الخبر لا ينافى ما قد يوجد فى الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس أى هذا الجنس من شأنه الشح اذا كان باقيا على طبعه لانه خلق محتاجا الى ضرورات المسكن والملبس والمطعوم والمنكوح ولا بد له فى تحصيل هذه الاشياء من المال فبه تندفع حاجاته وتتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لأيام الضرورة والفاقة ومن الناس من يحب المال محبة ذاتية لا عرضية فاذا الاصل فى الانسان هو البخل والجود منه انما هو أمر تكلفى أو عرضى طلبا للثناء أو الثواب وقيل المراد بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى أنهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا بها ثم قال (ولقد آتينا موسى تسع آيات) فكأنه أراد انا

معجزات مساوية لهذه الامور التى اقترحتموها بل أقوى منها وأعظم فليس عدم الاستجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة

عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان قال هو الشفاعة يشفعه الله في أمته فهو المقام المحمود حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا عبدا أو ملكا نبيا فأومأ إليه جبرئيل عليه السلام أن تواضع فاختار نبي الله أن يكون عبدا نبيا فأعطي به نبي الله ثنتين انه أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تبارك وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا شفاعة يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة مقاما محمودا قال هي الشفاعة يشفعه الله في أمته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر والثوري عن أبي اسحق عن صلة بن زفر قال سمعت حذيفة يقول في قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه قال فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي اسحق عن صلة بن زفر قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي حفاة عراة كما خلقوا أول مرة ثم يقوم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك ثم ذكر نحوه الا أنه قال هو المقام المحمود * وقال آخرون بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه اياه هو أن يقاعده معه على عرشه ذكر من قال ذلك حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يجلسه معه على عرشه * وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا وكيع عن داود بن يزيد عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا سئل عنها قال هي الشفاعة حدثنا علي بن حرب قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا داود بن يزيد الاودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي حدثنا أبو عتبة الحمصي أحمد بن الفرج قال ثنا بقية بن الوليد عن الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا شعيب بن الليث قال ثني الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام فيقول لست صاحب ذلك ثم بموسى عليه السلام فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا موسى

أو لعدم استتباع الغاية تعلمنا باصراركم والختم على قلوبكم عن ابن عباس أن الآيات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد ابن كعب عنهن فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على أموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا أخرج يا غلام الجراب فأخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله الى موسى أن قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهود فقبلا يديه ورجليه وقالا انك نبي ولولا أنا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هو أجود ما قيل في الآيات التسع وأقول عد الاحكام من الآيات البينات فيه بعد اللهم الا أن يقال النهي عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بتسع وزاد واحدة تختص بهم وروى أبو داود هذا الحديث ولم يذكر ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في أنه صلى الله عليه وسلم قال ولا تقذفوا محصنة أو قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان لموسى آيات أخر كانزال المن والسلوى عليه وعلى قومه وكالآيات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا أن تخصيص العدد بالذكر لا يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الأصوليون ولكن الذوق يأبى أن لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي أن سبب التخصيص هو أن مرجع جميع معجزاته الى تسع أنواع كالسنين ونقص ابن

الثمرات مثلا فانه بانوع واحد وهو القحط وقد يعد رابدا منها به الاشتراك ولكن لا بد عندي من اعتقاد الانحصار في التسع لاجل خبر الصادق أما قوله (فاسئل بني اسرائيل) فالخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والايقان لان الأدلة اذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت والمسؤلون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه وقوله (اذ جاءهم) يتعلق بآتينا أو ينتصب باضمار اذكر أو هو للتعليل والمراد فاسألهم يخبروك لانه جاءهم أي جاء آباءهم ويحتمل أن يكون الخطاب لموسى بتقدير القول أي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني اسرائيل أو سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم أو سلهم عن أن يعاضدوك ويساعدوك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري أن معناه أعطي علم السحر من قرأ علمت بضم التاء فظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والارض فأراد اني لا أشك في أمري بسبب تشكك مكذب مثلك ومن قرأ بفتحها فالمراد تبين أن كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله للآيات هؤلاء كقوله

* والعيش بعد أولئك الايام *

ومعنى (بصائر) بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كأنه أشار بقوله ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض الى أنها أفعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى أن فاعله انما فعله لغرض تصديق المدعي فتم حد المعجز بمجموع القيدين ثم قارع موسى ظن فرعون بظنه فقال (اني لاظنك يافرعون مثبورا) قال الفراء أي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة أي هالكا من الثبور الهلاك ولا ريب أن ظن موسى أصح من ظنه لان انكار ما علم صحته يستعقب لا محالة ويلا وثبورا وحسرة

ابن اسمعيل قال ثنا سعيد بن زيد عن علي بن الحكم قال ثني عثمان عن ابراهيم عن الاسود وعلقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأقوم المقام المحمود فقال رجل يارسول الله وماذلك المقام المحمود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اذا جيء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى ابراهيم عليه السلام فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتي فألبسها فاقوم عن يمينه مقاما لا يقومه غيري يغبطني فيه الاولون والآخرون ثم يفتح نهر من الكوثر الى الحوض حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه قال النبي صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يدعى وجبرئيل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول أي رب ان هذا أخبرني أنك أرسلته الي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع قال فهو المقام المحمود حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة فذكر نحوه وزاد فيه ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك في أطراف الارض وهو المقام المحمود حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا ابراهيم ابن طهمان عن آدم عن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يحشرون يوم القيامة فيجيء مع كل نبي أمته ثم يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الامم هو وأمته فيرقى هو وأمته على كوم فوق الناس فيقول يافلان اشفع ويافلان اشفع ويافلان اشفع فما زال يردها بعضهم على بعض (١) يرجع ذلك اليه وهو المقام المحمود الذي وعده الله اياه حدثنا محمد بن عوف قال ثنا حيوة وربيع قالا ثنا محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وهذا وان كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فان ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه قول غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر وذلك لانه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن التابعين باحالة ذلك فأما من جهة النظر فان جميع من ينتحل الاسلام انما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة فقالت فرقة منهم الله عز وجل بائن من خلقه كان قبل خلقه الاشياء ثم خلق الاشياء فلم يماسها وهو كما لم يزل غير أن الاشياء التي خلقها اذ لم يكن هو لها مماسا وجب أن يكون لها مباينا اذ لا فعال للاشياء الا وهو مماس للاجسام أو مباين لها قالوا فاذ كان ذلك كذلك وكان الله عز وجل فاعل الاشياء ولم يجز في قولهم انه يوصف بأنه مماس للاشياء وجب بزعمهم أنه لها مباين فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه أو على الارض اذ كان من قولهم ان بينونته من عرشه وبينونته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منهما كليهما غير مماس لواحد منهما وقالت فرقة أخرى كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الاشياء لا شيء يماسه ولا شيء يباينه ثم خلق الاشياء فأقامها بقدرته وهو كما لم يزل قبل خلقه الاشياء لا شيء يماسه ولا شيء يباينه فعلى قول هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا

(١) لعله حتى يرجع وحرر كتبه مصححه

وندامة ولهذا قال (فأراد) أى فرعون (أن يستفزهم من الارض) أى يستخف موسى وقومه من بسيط الارض أو من أرض مصر بالقتل والاستئصال أو بالنفى والاخراج والحاصل (١٠٠) أن فرعون عورض بنقيض المقصود فأغرق هو وقومه وأسكن بنو اسرائيل مكانه

صلى الله عليه وسلم على عرشه أو على أرضه اذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه فى أنه لا مماس ولا مباين لهذا كما أنه لا مماس ولا مباين لهذه وقالت فرقة أخرى كان الله عز ذكره قبل خلقه الاشياء لا شئ يماسه ولا شئ يباينه ثم أحدث الاشياء وخلقها فخلق لنفسه عرشا استوى عليه جالسا وصار له مماسا كما أنه قد كان قبل خلقه الاشياء لا شئ يرزقه رزقا ولا شئ يحرمه ذلك ثم خلق الاشياء فرزق هذا وحرم هذا وأعطى هذا ومنع هذا قالوا فكذلك كان قبل خلقه الاشياء لا شئ يماسه ولا يباينه وخلق الاشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه فهو مماس ما شاء من خلقه ومباين ما شاء منه فعلى مذهب هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا على عرشه أو أقعده على منبر من نور اذ كان من قولهم ان جلوس الرب على عرشه ليس بجلوس يشغل جميع العرش ولا فى اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجبا له صفة الربوبية ولا مخرجه من صفة العبودية لربه كما أن مباينة محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مباينا له من الاشياء غير موجبة له صفة الربوبية ولا مخرجته من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مباين كما أن الله عز وجل موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مباين لها هو مباين له قالوا فاذا كان معنى مباين ومباين لا يوجب لمحمد صلى الله عليه وسلم الخروج من صفة العبودة والدخول فى معنى الربوبية فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن فقد تبين اذا بما قلنا أنه غير محال فى قول أحد ممن ينتحل الاسلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى يقعد محمدا على عرشه فان قال قائل فانا لا ننكر اقعاد الله محمدا على عرشه (١) وانما ننكر اقعاده

حدثنى عباس بن عبد العظيم قال ثنا يحيى بن كثير عن الجريرى عن سيف السدوسى عن عبد الله بن سلام قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على كرسى الرب بين يدى الرب تبارك وتعالى وانما ينكر اقعاده اياه معه قيل أفجائز عندك أن يقعده عليه لا معه فان أجاز ذلك صار الى الاقرار بأنه اما معه أو الى أنه يقعده والله للعرش مباين أو لا مماس ولا مباين وبأى ذلك قال كان منه دخولا فى بعض ما كان ينكره وان قال ذلك غير جائز كان منه خروجا من قول جميع الفرق التى حكينا أقوالهم وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الاسلام اذ كان لا قول فى ذلك الا الاقوال الثلاثة التى حكيناها وغير محال فى قول منها ما قال مجاهد فى ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وقل يا محمد يا رب أدخلنى مدخل صدق واختلف أهل التأويل فى معنى مدخل الصدق الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب اليه فى أن يدخله اياه وفى مخرج الصدق الذى أمره أن يرغب اليه فى أن يخرجه اياه فقال بعضهم عنى بمدخل الصدق مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حين هاجر اليها ومخرج الصدق مخرجه من مكة حين خرج منها مهاجرا الى المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق قال كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه وأراد الله قتال أهل مكة فأمره أن يخرج الى المدينة

(١) لعل هذه الجملة زائدة من قلم الناسخ وستأتى فى محلها بعد سطرين فتأمل كتبه مصححه

تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ثم أخبر عن المعاد قائلا (فاذا جاء وعد الآخرة) وهو قيام الساعة (جئنا بكم) يعنى معشر المكلفين كلهم (لفيفا) جماعات من قبائل شتى ذوى أديان ومذاهب مختلفة وذلك لأجل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القرآن وأجاب عن شبهات القوم أراد أن يعظم شأن القرآن ويذكر جلالة قدره فقال (وبالحق أنزلناه) التقديم للتخصيص أى ما أردنا بانزاله الا تقرير الحق فى مركزه وتمكين الصواب فى نصابه قال جار الله أى ما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو ما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين * وقال آخرون الحق هو الثابت كما أن الباطل هو الزاهق ولا ريب أن هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة واقرار النبوات واثبات المعاد وعلى أصول الاديان والملل التى لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور تدل على المعنى المذكور لانها مما تبقى ببقاء الدهور قال أبو على الفارسى الباء فى الموضعين بمعنى مع كما فى قولك خرج بسلاحه أى أنزل القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل أن تكون الباء الثانية بمعنى على كما فى قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد صلى الله عليه وسلم لان القرآن نزل به أى عليه (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار فهو ليس اليك وراء هذين شئ من اكراههم على الدين والاتيان بشئ مما اقترحوه ثم ان القوم كأنهم من تعنتهم طعنوا فى القرآن من جهة أنه لم

فهو الذى قال الله أدخلنى مدخل صدق حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مدخل صدق قال المدينة ومخرج صدق قال مكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق أخرجه الله من مكة الى الهجرة بالمدينة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق قال المدينة حين هاجر اليها ومخرج صدق مكة حين خرج منها مخرج صدق قال ذلك حين خرج مهاجرا * وقال آخرون بل معنى ذلك وقل رب أمتنى اماتة صدق وأخرجنى بعد الممات من قبرى يوم القيامة مخرج صدق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية قال يعنى بالادخال الموت والاخراج الحياة بعد الممات * وقال آخرون بل عنى بذلك أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى منه مخرج صدق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أدخلنى مدخل صدق قال فيما أرسلتنى به من أمرك وأخرجنى مخرج صدق قال كذلك أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * وقال آخرون بل معنى ذلك أدخلنى مدخل صدق الجنة وأخرجنى مخرج صدق من مكة الى المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال الحسن أدخلنى مدخل صدق الجنة ومخرج صدق من مكة الى المدينة * وقال آخرون بل معنى ذلك أدخلنى فى الاسلام مدخل صدق ذكر من قال ذلك حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ثنا ابن نمير عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله رب أدخلنى مدخل صدق قال أدخلنى فى الاسلام مدخل صدق وأخرجنى منه مخرج صدق * وقال آخرون بل معنى ذلك أدخلنى مكة آمنا وأخرجنى منها آمنا ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سلمن قال سمعت الضحاك قال فى قوله رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق يعنى مكة دخل فيها آمنا وخرج منها آمنا * وأشبه هذه الاقوال بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال معنى ذلك وأدخلنى المدينة مدخل صدق وأخرجنى من مكة مخرج صدق وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان ذلك عقيب قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وقد دللنا فيما مضى على أنه عنى بذلك أهل مكة فاذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه عن مكة كان بينا اذ كان الله قد أخرجه منها أن قوله وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق أمر منه له بالرغبة اليه فى أن يخرجه من البلدة التى هم المشركون باخراجه منها مخرج صدق وأن يدخله البلدة التى نقله الله اليها مدخل صدق وقوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك واجعل لى ملكا ناصرا ينصرنى على من ناوأنى وعزا أقيم به دينك وأدفع به عنه من أراده بسوء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله عز وجل واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا يوعده لينزعن

ينزل دفعة واحدة فأجاب عن شبهتهم بقوله (وقرآنا) هو منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس أنه قرأه مشددا وقال انه لم ينزل فى يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة (١٠١) يعنى أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب وقال أبو عبيدة التخفيف أعجب الى لأن تفسيره بيناه وليس التشديد معنى الا أنه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابى أنه قال فرقت أفرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام وأقول ان ابن عباس اعتبر الفصل بين أول نزوله وبين آخره فرأى التشديد أولى ولعل المراد الفصول المتقاربة التى فيما بين المدة بدليل قوله (لتقرأه على الناس على مكث) بضم الميم أى على مهل وتؤدة (وقوله ونزلناه تنزيلا) أى على حسب المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمقترحين (آمنوا به أو لا تؤمنوا) وهو أمر وعيد وتهديد وخذلان قال جار الله قوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) اما أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء الذين قرؤا الكتب من قبل نزول القرآن قال مجاهد هم أناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وفى قوله (يخرون للاذقان سجدا) دون أن يقول يسجدون مبالغة من وجهين أحدهما أنه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن فقال الزجاج لأن الذقن مجتمع اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فأول ما يحاذى به الأرض من وجهه الذقن قلت هذا تصحيح للمعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال غيره المراد تعفير اللحية فى التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما أنه لم يقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكأنهم خصوا أذقانهم بالخرور أو خصوا الخرور بأذقانهم ثم حكى أنهم فى سجودهم أنهم يراعون شرائط التنزيه

والتعظيم قائلين (سبحان ربنا ان كان وعد ربنا) بانزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبنا (لمفعولا) أى منجزا وان مخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام فى خبر كان ثم

ذكر أنهم كما خروا الاذقان فى حال كونهم ساجدين فقد خروا لها حال كونهم باكين

ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له وعز الروم وملك الروم وليجعلنه له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وان نبى الله علم أن لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عز وجل ولحدود الله ولفرائض الله ولاقامة دين الله وان السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده لولا ذلك لاغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم * وقال آخرون بل عنى بذلك حجة بينة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل سلطانا نصيرا قال حجة بينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة اليه فى أن يؤتيه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده وحاول منعه من اقامته فرائض الله فى نفسه وعباده وانما قلت ذلك أولى بالصواب لان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من اخراجه من مكة فأعلمه الله عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب ثم أمره بالرغبة اليه فى اخراجه من بين أظهرهم اخراج صدق يحاوله عليهم ويدخله بلدة غيرها مدخل صدق يحاوله عليهم ولاهلها فى دخوله اليها وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة التى أخرجه أهلها منها وعلى كل من كان لهم شبيها واذا أوتى ذلك فقد أوتى لا شك حجة بينة وأما قوله نصيرا فان ابن زيد كان يقول فيه نحو قولنا الذى قلنا فيه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال ينصرنى وقد قال الله لموسى سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا هذا مقدم ومؤخر انما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون اليكما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾ يقول تعالى ذكره وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزوك من الارض ليخرجوك منها جاء الحق وزهق الباطل واختلف أهل التأويل فى معنى الحق الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم المشركين أنه قد جاء والباطل الذى أمره أن يعلمهم أنه قد زهق فقال بعضهم الحق هو القرآن فى هذا الموضع والباطل هو الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقل جاء الحق قال الحق القرآن وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقل جاء الحق قال القرآن وزهق الباطل قال هلك الباطل وهو الشيطان * وقال آخرون بل عنى بالحق جهاد المشركين وبالباطل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وقل جاء الحق قال دنا القتال وزهق الباطل قال الشرك وما هم فيه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه السلام أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء وهو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة وأن الباطل قد زهق يقول ذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة وذلك أن الحق هو كل ما خالف طاعة ابليس وأن

ويجوز أن يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرير الفعل منهم بدليل قوله (ويزيدهم) أى القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين ثم أراد أن يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء فقال (قل ادعوا) عن ابن عباس سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك أحدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا وأو للتخيير والمعنى على السبب الاول سموه بهذا الاسم أو بهذا وعلى السبب الثانى اذكروا اما هذا واما هذا (أيا ما تدعوا) يعنى أى هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير فى (فله) لا يرجع الى أحد الاسمين ولكن الى مسماهما وكان أصل الكلام أن يقال فهو أى ذلك الاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان ومعنى حسن الاسماء استقلالها بنعوت الجلال والاكرام وقد مر فى آخر الاعراف ثم ذكر كيفية أخرى للدعاء فقال (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بأن الجهر والمخافتة من نعوت الصوت (١) لا الصلاة أفعالها فهو من اطلاق الكل واراد الجزء ومنه يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه أو ضعف وسكن وخفت الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته

(١) لعله أو من اطلاق الصلاة على بعض أفعالها فهو الخ تأمل. مصححه

الباطل هو كل ما وافق طاعته ولم يخصص الله عز ذكره بالخبر عن بعض طاعاته ولا ذهاب بعض معاصيه بل عم الخبر عن مجيء جميع الحق وذهاب جميع الباطل وبذلك جاء القرآن والتنزيل وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله أعني على اقامة جميع الحق وابطال جميع الباطل وأما قوله عز وجل وزهق الباطل فان معناه ذهب الباطل من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت وأزهقتها أنا ومن قولهم أزهق السهم اذا جاوز الغرض فاستمر على جهته يقال منه زهق الباطل يزهق زهوقا وأزهقه الله أي أذهبه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ان الباطل كان زهوقا يقول ذاهبا وقوله عز وجل وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين يقول تعالى ذكره وننزل يا محمد عليك من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به لان المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ويحلون حلاله ويحرمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة وينجيهم من عذابه فهو لهم رحمة ونعمة من الله أنعم بها عليهم ولا يزيد الظالمين الا خسارا يقول ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به الا خسارا يقول اهلاكا لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهي عن شيء كفروا به فلم يأتمروا لامره ولم ينتهوا عما نهاهم عنه فزادهم ذلك خسارا الى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ورجسا الى رجسهم قبل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين به الا خسارا انه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه وان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين * القول في تأويل قوله تعالى (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا) يقول تبارك وتعالى واذا أنعمنا على الانسان فنجيناه من كرب ما هو فيه في البحر وهول ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصوف الريح عليه الى البر وغير ذلك من نعمنا أعرض عن ذكرنا وقد كان بنا مستغيثا دون كل أحد سوانا في حال الشدة التي كان فيها ونأى بجانبه يقول وبعد منا بجانبه يعني بنفسه كأن لم يدعنا الى ضر مسه قبل ذلك كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن مجاهد في قوله ونأى بجانبه قال تباعد منا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والقراءة على تصيير الهمزة في نأى قبل الألف وهي اللغة الفصيحة وبها نقرأ وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك وناء فيصير الهمزة بعد الالف وذلك وان كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع فيه مؤخر وتأخيرهموه في موضع هو مقدم كما قال الشاعر

(١) اعلام يقلل راء رؤيا * فهو يهذي بما رأى في المنام

وكما قال آبار وهي أبآر فقدموا الهمزة فليس ذلك هو اللغة الجودى بل الاخرى هي الفصيحة وقوله عز وجل واذا مسه الشر كان يؤسا يقول واذا مسه الشر والشدة كان قنوطا من الفرج والروح * وبنحو الذي قلنا في اليؤس قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذا مسه الشر كان يؤسا يقول قنطا

(١) هكذا وقع هذا البيت في الأصول وهو غير مستقيم ولم نعثر عليه فحرر كتبه مصححه

بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم (ولا تخافت بها) فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك) الذي ذكر من الجهر والمخافتة (١٠٣) (سبيلا) وسطا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل دور الصحابة فكان أبو بكر يخفي صوته في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وأمر عمر أن يخفض قليلا فنزلت الآية على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وعن عائشة وأبي هريرة ومجاهد أن الصلاة ههنا الدعاء وقد روى هذا مرفوعا قال الحسن لا ترائي بعلانيتها ولا تسيء بسريرتها وأيضا في الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال جار الله ابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القراءة ولما أمر أن لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله (وقل الحمد لله) الآية قال في الكشاف كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد وأجاب بأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وأقول الولد يتولد من جزء من أجزاء الوالد فالوالد مركب وكل مركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وأيضا الولد مبخلة والبخيل لا يستحق الحمد والشركة في الملك انما تتصور لمن لا يستقل بالمالكية فيفتقر الى من يتم عند مشاركته أمور مملكته ومصالح تمدنه وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على الاطلاق وهكذا حكم من كان له ولي من الذل أي اتخذ حبيبا من أجل ذل به

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذا مسه الشر كان يؤسا يقول اذا مسه الشر أيس وقنط ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ يقول عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس كلكم يعمل على شاكلته على ناحيته وطريقته فربكم أعلم بمن هو منكم أهدى سبيلا يقول ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا الى الحق من غيره ❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل كل يعمل على شاكلته يقول على ناحيته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على شاكلته قال على ناحيته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قل كل يعمل على شاكلته قال على طبيعته على حدته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل كل يعمل على شاكلته يقول على ناحيته وعلى ما ينوى ❊ وقال آخرون الشاكلة الدين ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كل يعمل على شاكلته قال على دينه الشاكلة الدين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هى قل لهم الروح من أمر ربى وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم الا قليلا وذكر أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فنزلت هذه الآية بمسألتهم اياه عنها كانوا قوما من اليهود ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة ومعه عسيب يتوكأ عليه فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم اسألوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه فقام متوكئا على عسيبه فقمت خلفه فظننت أنه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض ألم نقل لكم لا تسألوه حدثنا يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال بينا أنا أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرة بالمدينة اذ مررنا على يهود فقال بعضهم سلوه عن الروح فقالوا ما أربكم الى أن تسمعوا ما تكرهون فقاموا اليه فسألوه فقام فعرفت أنه يوحى اليه فقمت مكانى ثم قرأ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا ألم ننهكم أن تسألوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا أتزعم أنا لم نؤت من العلم الا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل حدثنى اسمعيل بن أبى المتوكل قال ثنا الاشجعى أبو عاصم الحمصى قال ثنا اسحق بن عيسى أبو يعقوب قال ثنا القاسم بن معن عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال انى لمع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة اذ أتاه يهودى قال يا أبا القاسم ما الروح فسكت

واستفادة لا من عزة وقوة وافاضة أو الولى بمعنى الناصر أى ناصر من أجل مذلة به ليدفعها عن والاته وأيضا قد نفى عنه الشريك من أصابه الخير الى أوليائه والذى يكون له ولى من الذل يكون محتاجا اليه فيمنع عليه لمن استغنى عنه أما اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وعن أن يكون له ولى ينصره ويلى أمره كان مستوجبا لاعظم أنواع الحمد ومستحقا لاجل أقسام الشكر قال الامام فخر الدين الرازى التكبير أنواع منها تكبير الله فى ذاته وهو أن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه ومنها تكبيره فى صفاته بأن يعتقدها كلها من صفات الجلال والاكرام وفى غاية العظمة ونهاية الكمال وأنها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره فى أفعاله وعند هذا تعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاذ أبا اسحق الاسفراينى كان جالسا فى دار الصاحب بن عباد فدخل القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى فلما رآه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء ومنها تكبير الله فى أحكامه وهو أن يعتقد أن أحكامه كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة وقضية الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية والله أعلم ۞ التأويل وقالوا لن نؤمن لك كانوا أرباب الحس فلم يبصروا شواهد الحق ودلائل النبوة ولم يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتحلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من أرض القلوب لانبات نخل المشاهدات وأعناب المكاشفات فى جنات المواصلات النبى أبعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظنوا أن الملك أعلى حالا من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان الكامل حيث

النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويسئلونك عن الروح لقيت اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فتغشوه وسألوه وقالوا ان كان نبيا علم فسيعلم ذلك فسألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فأنزل الله في كتابه ذلك كله ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعني اليهود حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويسئلونك عن الروح قال يهود تسأل عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويسئلونك عن الروح قال يهود تسأله حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويسئلونك عن الروح الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وانما الروح من الله عز وجل ولم يكن نزل عليه فيه شئ فلم يحر اليهم شيأ فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالوا له من جاءك بهذا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم جاءني به جبريل من عند الله فقالوا والله ما قاله لك الا عدو لنا فأنزل الله تبارك اسمه قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فمررنا بأناس من اليهود فقالوا يا أبا القاسم ما الروح فأسكت فرأيت أنه يوحى اليه قال فتنحيت عنه الى سباطة فنزلت عليه ويسئلونك عن الروح الآية فقالت اليهود هكذا نجده عندنا واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذكر في هذا الموضع ما هي فقال بعضهم هي جبرئيل عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويسئلونك عن الروح قال هو جبرئيل قال قتادة وكان ابن عباس يكتمه ❊ وقال آخرون هي ملك من الملائكة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويسئلونك عن الروح قال الروح ملك حدثني علي قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن علي بن أبي طالب أنه قال في قوله ويسئلونك عن الروح قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة وقد بينا معنى الروح في غير هذا الموضع من كتابنا بما أغنى عن اعادته وأما قوله من أمر ربي فانه يعني أنه من الأمر الذي يعلمه الله عز وجل دونكم فلا تعلمونه ويعلم ما هو وأما قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فان أهل التأويل اختلفوا في المعني بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم عني بذلك الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم ولكن لما ضم غير المخاطب الى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة لان العرب كذلك تفعل اذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب أخرجوا الكلام خطابا بالجمع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال

جعل مسجود الملائكة المقربين وأودع فيه سر الخلافة ما أواهم جهنم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها ازدناهم سعيرا باشتعال طلب شهوة أخرى تسع آيات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين المعروف بداية أراد الآيات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العدو وتحريم المراضع عليه ونحو ذلك وبالحق أنزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي احتاجت في الرجوع الى عالم العلو الى حبل متين هو القرآن كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا وبالحق نزل التميز بين أهل السعادة والشقاوة بالاتباع وعدمه ان الذين أوتوا العلم من قبل نزوله في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب ألست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان في عالم الصورة يبكون فالتواضع والسجود من شأن الارواح والبكاء والخشوع من شأن الاجساد ثم بين أن الارواح انما أرسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله فقال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى أي كل اسم من أسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء وسمعة ولا تخافت بها بأن تخفيها بالكلية فيحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله تعالى أعلم

(سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الآية حروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا كلماتها ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون آياتها مائة واحدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم

نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أفعنيتنا أم قومك قال كلا قد عنيت قالوا فانك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد آتاكم ما ان عملتم به انتفعتم فأنزل الله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام الى قوله ان الله سميع بصير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله عز وجل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال يا محمد والناس أجمعون ❊ وقال آخرون بل عنى بذلك الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعنى اليهود ❊ وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال خرج الكلام خطابا لمن خوطب به والمراد به جميع الخلق لان علم كل أحد سوى الله وان كثر فى علم الله قليل وانما معنى الكلام وما أوتيتم أيها الناس من العلم الا قليلا من كثير مما يعلم الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره ولئن شئنا لنذهبن بالذى آتيناك من العلم الذى أوحينا اليك من هذا القرآن لنذهبن به فلا تعلمه ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلا يعنى قيما يقوم لك فيمنعنا من فعل ذلك بك ولا ناصرا ينصرك فيحول بيننا وبين ما نريد بك قال وكان عبد الله بن مسعود يتأول معنى ذهاب الله عز وجل به رفعه من صدور قارئيه ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد العزيز بن رفيع عن بندار عن معقل قال قلت لعبد الله وذكر أنه يسرى على القرآن كيف وقد أثبتناه فى صدورنا ومصاحفنا قال يسرى عليه ليلا فلا يبقى منه فى مصحف ولا صدر رجل ثم قرأ عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا اسحق بن يحيى عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود قال تطرق الناس ريح حمراء من نحو الشام فلا يبقى فى مصحف رجل ولا قلبه آية قال رجل يا أبا عبد الرحمن انى قد جمعت القرآن قال لا يبقى فى صدرك منه شئ ثم قرأ ابن مسعود ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا﴾ يقول عز وجل ولئن شئنا لنذهبن يا محمد بالذى أوحينا اليك ولكنه لا يشاء ذلك رحمة من ربك وتفضلا منه عليك ان فضله كان عليك كبيرا باصطفائه اياك لرسالته وانزاله عليك كتابه وسائر نعمه عليك التى لا تحصى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ يقول جل ثناؤه قل يا محمد للذين قالوا لك انا نأتى بمثل هذا القرآن لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون أبدا بمثله ولو كان بعضهم لبعض عونا وظهيرا وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه فى القرآن وسألوه أن يأتيهم بآية غيره شاهدة له على نبوته لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان وعمر بن أصان وبحرى بن عمرو وعزير بن أبى عزير وسلام بن مشكم فقالوا أخبرنا يا محمد بهذا الذى جئتنا به حق من عند الله عز وجل فانا لا نراه متناسقا كما تناسق

التوراة

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا

التوراة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤا به فقال عند ذلك وهم جميعا فنحاص وعبد الله بن صوريا وكنانة بن أبي الحقيق وأشيع وكعب بن أسد وسموأل بن زيد وجبل بن عمرو يا محمد ما يعلمك هذا إنس ولا جان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعلمون أنه من عند الله وأني رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل فقالوا يا محمد ان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما شاء ويقدر منه على ما أراد فأنزل علينا كتابا نقرؤه ونعرفه والا جئناك بمثل ما تأتي به فأنزل الله عز وجل فيهم وفيما قالوا ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لئن اجتمعت الانس والجن الى قوله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا قال معينا قال يقول لو برزت الجن وأعانهم الانس فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن وقوله عز وجل لا يأتون بمثله رفع وهو جواب لقوله لئن لان العرب اذا أجابت لئن بلا رفعوا ما بعدها لان لئن كاليمين وجواب اليمين بلا مرفوع وربما جزم لان ان التي يجاب بها زيدت عليها لام كما قال الاعشى

لئن منيت بنا عن غب معركة * لا تلفنا من دماء القوم ننتفل

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا بذلك كله عليهم وتذكيرا لهم وتنبيها على الحق ليتبعوه ويعملوا به فأبى أكثر الناس الا كفورا يقول فأبى أكثر الناس الا جحودا للحق وانكارا لحجج الله وأدلته القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا﴾ يقول تعالى ذكره وقال يا محمد المشركون بالله من قومك لك لن نصدقك حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء وقوله ينبوعا يفعول من قول القائل نبع الماء اذا ظهر وفار ينبع وينبع وهو ما نبع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أي حتى تفجر لنا من الارض عيونا أي ببلدنا هذا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قال عيونا حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ينبوعا قال عيونا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلفت القراء في قراءة قوله تفجر فروى عن ابراهيم النخعي أنه قرأ حتى تفجر لنا خفيفة وقوله فتفجر الانهار خلالها تفجيرا بالتشديد وكذلك كانت قراء الكوفيين يقرؤنها فكأنهم ذهبوا بتخفيفهم الأولى الى معنى حتى تفجر لنا من الارض ماء مرة واحدة وبتشديدهم الثانية الى أنها تفجر في أماكن شتى مرة بعد أخرى اذا كان ذلك تفجر أنهار لا نهر واحد (1) والتخفيف في الاولى والتشديد في الثانية على ما ذكرت من قراءة الكوفيين أعجب الي لما ذكرت من افتراق معنييهما وان لم تكن الاولى مدفوعة صحتها القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال لك يا محمد مشركو

(1) في الكلام سقط ظاهر والحاصل انهم اتفقوا على تشديد فتفجر واختلفوا في حتى تفجر فبعضهم شدد وبعضهم خفف واختار المؤلف التشديد للعلة التي ذكرها فتنبه اه كتبه مصححه

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ اني (١٠٧) فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا﴾ القراآت من لدنه باشمام الدال شيأ بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الآخرون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء ويبشر مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد هيء لنا ويهيء لكم بتليين الهمز فيهما الاأوقية والاعشى في الوقف فاو وابابدال الهمزة ألفا أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الآخرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل تحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء فيه المهتدي كما مر في سبحان ولملئت مشددة للمبالغة أبو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء أبو عمرو وحمزة وحماد وأبو بكر والخزاز عن هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الآخرون بكسر الراء مظهرا ربي أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو أن يهديني وان ترني وأن يؤتيني وأن تعلمني بالياآت في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وافقهم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف

قومك لن نصدقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا تدفق بالماء أو تفور أو يكون لك بستان وهو الجنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها يعني خلال النخيل والكروم ويعني بقوله خلالها تفجيرا بينها في أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله كسفا فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين بمعنى أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وذلك أن الكسف في كلام العرب جمع كسفة وهو جمع الكثير من العدد للجنس كما تجمع السدرة بسدر والتمرة بتمر فحكي عن العرب سماعا أعطني كسفة من هذا الثوب أي قطعة منه يقال منه جاءنا بثريد كسف أي قطع خبز وقد يحتمل اذا قرئ كذلك كسفا بسكون السين أن يكون مرادا به المصدر من كسف فأما الكسف بفتح السين فانه جمع ما بين الثلاث الى العشر يقال كسفة واحدة وثلاث كسف وكذلك الى العشر وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين كسفا بفتح السين بمعنى جمع الكسفة الواحدة من الثلاث الى العشر يعني بذلك قطعا ما بين الثلاث الى العشر ❊ وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بسكون السين لان الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لم يقصدوا في مسئلتهم اياه ذلك أن يكون بحد معلوم من القطع انما سألوا أن يسقط عليهم السماء قطعا وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كسفا قال السماء جميعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير عن مجاهد قوله كما زعمت علينا كسفا قال مرة واحدة والتي في الروم ويجعله كسفا قال قطعا قال ابن جريج كسفا لقول الله ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قال أي قطعا حدثنا علي قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كسفا يقول قطعا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كسفا قال قطعا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعني قطعا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ يقول تعالى ذكره عن قيل المشركين لنبي الله صلى الله عليه وسلم أو تأتي بالله يا محمد والملائكة قبيلا واختلف أهل التأويل في معنى القبيل في هذا الموضع فقال بعضهم معناه حتى يأتي بالله والملائكة كل قبيلة منا قبيلة قبيلة فيعاينونهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والملائكة قبيلا قال على حدتنا كل قبيلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلا قال قبائل على حدتها كل قبيلة ❊ وقال آخرون معنى ذلك أو تأتي بالله والملائكة عيانا نقابلهم مقابلة فنعاينهم معاينة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تأتي بالله والملائكة

قبيلا

الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وزيد الآخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف ۞ الوقوف عوجا ٥ ط لان قيما ليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو أنزل أي أنزله قيما وللوصل جه وهو أن يكون حالا من الكتاب أو العبد وما بينهما اعتراض حسنا ٥ لا أبدا ٥ ولدا ج ٥ لان ما بعده يحتمل الصفة أو ابتداء واخبار والوقف أوضح ليكون ادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لآبائهم ط من أفواههم ط كذبا ٥ أسفا ٥ عملا ٥ جرزا ٥ ط لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجب عجبا ٥ رشدا ٥ عددا ٥ لا للعطف أمدا ٥ بالحق ط هدى ٥ والوصل أولى للعطف شططا ٥ آلهة ط لابتداء التحضيض بين ط كذبا ٥ مرفقا ٥ فجوة منه ط آيات الله ط فهو المهتد ج مرشدا ٥ رقود قف والأولى الوصل على أن ما بعده حال أي رقدوا ونحن نقلبهم الشمال قف والوصل أحسن على أن المعنى نقلبهم وكلبهم باسط بالوصيد ط رعبا ٥ بينهم ط كم لبثتم ط بعض يوم ط أحدا ٥ أبدا ٥ لا ريب فيها ج لان اذ يصلح أن يكون ظرفا للاعثار عليهم وأن يكون منصوبا باضمار اذكر بنيانا ط بهم ط مسجدا ٥ رابعهم كلبهم ج فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين بالغيب ج لوقوع العارض كلبهم ط قليل ٥ ظاهرا ص أحدا ٥ يشاء الله ز لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا ٥ تسعا ٥ لبثوا ج لاحتمال أن ما بعده مفعول قل أو اخبار مستأنف والارض ط لابتداء التعجب وأسمع ط من ولي ط لمن قرأ ولا تشرك على النهي ومن قرأ على الغيبة اخبارا جوز وقفه لاختلاف الجملتين أحدا ٥ ۞ التفسير أصدق الحمد والتكبير المذكورين في آخر السورة المتقدمة بالحمد على أجزل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم قال بعض العلماء نزه نفسه في أول سورة سبحان ... الا ينبغي

وهو إشارة إلى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في أول هذه السورة وهو إشارة إلى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على أن مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه أن الاسراء أول (١٠٩) درجات كماله من حيث إنه يقتضي حصول الكمال له وإنزال الكتاب غاية درجات كماله لأن فيه تكميل الأرواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية إلى أوج الملكية ولا شك أن المنافع المتعدية أفضل من القاصرة كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعمل فذلك يدعى عظيما في السموات وإنزال الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم نعمة عليه وعلينا أما أنه نعمة عليه فلأنه اطلع بواسطته على أسرار التوحيد ونعوت الجلال والإكرام وأحوال الملائكة والأنبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلي بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط أحدهما بالآخر وأما أنه نعمة علينا فلأنا نستفيد منه أيضا مثل ذلك ونعرف منه الأحكام الشرعية المفضية إلى إصلاح المعاش والمعاد وفي انتصاب (قيما) وجوه فاختار صاحب الكشاف أن يكون منصوبا بمضمر أي جعله وأنزله قيما وأبى أن يكون حالا لأن العطف يدل على تمام الكلام وجعله حالا يدل على نقصانه وقال جامع الأصفهاني هما حالان متواليان إلا أن الأولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة هي التأكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخرج عن أدنى عوج في الحقيقة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل أن يراد أنه قيم على سائر الكتب مصدق لها شاهد بصحتها وأنه قيم بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع والأحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا إشارة إلى أنه كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الأمر حق وصدق وقوله قيما إشارة إلى أنه مكمل لغيره مصلح بحسن بيانه وإرشاده لأحوال معاشهم ومعاده فتكون الآية نظيرة له في أول البقرة

قبيلا نعاينهم معاينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو تأتي بالله والملائكة قبيلا فنعاينهم ووجهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل من قولهم هو قبيل فلان بما لفلان عليه وزعيمه * وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة من قولهم قابلت فلانا مقابلة وفلان قبيل فلان بمعنى قبالته كما قال الشاعر

نصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * كصرخة حبلى (١) يسرتها قبيلها

يعني قابلتها وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول إذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم قابلت ونحوها جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع من المؤنث والمذكر على لفظ واحد نحو قولهم هذه قبيلي وهما قبيلي وهم قبيلي وهن قبيلي * القول في تأويل قوله تعالى (أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكر أمرهم في هذه الآيات أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب وهو الزخرف كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أو يكون لك بيت من زخرف يقول بيت من ذهب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من زخرف قال من ذهب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يكون لك بيت من زخرف والزخرف هنا الذهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو يكون لك بيت من زخرف قال من ذهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن الحكم قال قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال لم أدر ما الزخرف حتى سمعنا في قراءة عبد الله بن مسعود بيت من ذهب وقوله أو ترقى في السماء يعني أو تصعد في درج إلى السماء وإنما قيل في السماء وإنما يرقى إليها لأن القوم قالوا أو ترقى في سلم إلى السماء فأدخلت في في الكلام ليدل على معنى الكلام يقال رقيت في السلم فأنا أرقى رقيا ورقيا ورقيا كما قال الشاعر

أنت الذي كلفتني رقي الدرج * على الكلال والمشيب والعرج

وقوله ولن نؤمن لرقيك يقول ولن نصدقك من أجل رقيك إلى السماء حتى تنزل علينا كتابا منشورا نقرؤه فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كتابا نقرؤه قال من رب العالمين إلى فلان عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه إلا أنه قال كتابا نقرؤه من رب العالمين وقال أيضا تصبح عند رأسه موضوعة يقرؤها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه أي كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك وقوله قل سبحان ربي يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك

(١) في اللسان أسلتها أي يئست منها اهـ كتبه مصححه

لاريب فيه هدى للمتقين ثم أراد أن يفصل ما أجمله فى قوله قيما فقال (لينذر بأسا شديدا من لدنه) وحذف المنذر للعلم به بعموم ولة لجهير اللسان
عن ذكره أى لينذر الذين كفروا عذابا أليما (١١٠) صادرا من عنده والاجر الحسن الجنة بدليل قوله (ما كثين فيه) وهو حال من الضمير
فى لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر
لخصوصه وحذف المنذر به وهو
البأس الشديد لتقدم ذكره وقد
تذكر قضية كلية ثم يعطف عليها
بعض جزئياتها تنبيها على كونه
أعظم جزئيات ذلك الكلى ففى
عطف الانذار المخصوص على
الانذار المطلق دليل على أن أقبح
أنواع الكفر والمعصية اثبات
الولد لله تعالى على ما زعم بعض كفار
قريش من أن الملائكة بنات الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ثم قال (ما لهم
به) أى بالولد أو باتخاذ الله اياه (من علم
ولا لآبائهم) وانتفاء العلم بالشئ اما
بالجهل بالطريق الموصل اليه واما
لانه فى نفسه محال فلا يتعلق به العلم
لذلك وهو المراد فى الآية أى قولهم
هذا لم يصدر عن علم ولكن عن
جهل مفرط وتقليد لآبائهم
الذين هم مثلهم فى الجهالة قال جار
الله الضمير فى قوله (كبرت) يعود الى
قولهم اتخذ الله ولدا وسميت (كلمة)
كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز
أن يعود الى مضمر ذهنى يفسره
الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعمت
امرأة عندى قال الواحدى انتصب
كلمة على التمييز وذلك أنك لو قلت
كبرت المقالة أو الكلمة جاز أن
يتوهم أنها كبرت كذبا أو جهلا
أو افتراء فلما قلت كلمة فقد ميزتها
من محتملاتها وقرئ بالرفع على
الفاعلية كما يقال عظم قولك قال
أهل البيان النصب أقوى وأبلغ
لافادته التعجب من جهتين من
جهة الصيغة ومن جهة التمييز كأنه
قيل ما أكبرها كلمة وفى وصف
الكلمة بقوله (تخرج من أفواههم) مبالغة أخرى من وجهين الاول أن كثيرا من وساوس الشيطان وتسوزا
وهواجس القلوب لا يمالك العقلاء أن يتفوهوا به حياء وخجلا فبين الله تعالى أن هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما أشنع

القائلين لك هذه الاقوال تنزيها لله عما يصفونه به وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته أو يكون
لى سبيل الى شئ مما تسألونيه هل كنت الا بشرا رسولا يقول هل أنا الا عبد من عبيده من بنى آدم
فكيف أقدر أن أفعل ما سألتمونى من هذه الامور وانما يقدر عليها خالقى وخالقكم وانما أنا رسول
أبلغكم ما أرسلت به اليكم والذى سألتمونى أن أفعله بيد الله الذى أنا وأنتم عبيد له لا يقدر على ذلك
غيره وهذا الكلام الذى أخبر الله أنه كلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر كان من ملا من
قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاجته فكلموه بما أخبر الله عنهم فى هذه
الآيات ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم والسبب الذى من أجله
ناظروه به حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى شيخ
من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة
وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بنى عبد الدار وأبا البخترى أخا بنى أسد والاسود بن المطلب وزمعة
ابن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية وأمية بن خلف والعاص
ابن وائل ونبيها ومنبها ابنى الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر
الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان
أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن
أنه بدا لهم فى أمره بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا
يا محمد انا قد بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت
على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقى
أمر قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك
من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وان كنت
تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك به رئيا تراه قد غلب عليك
وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك
منه أو نعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب
أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى
أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو
حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم أو كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس
أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك الذى بعثك بما بعثك به
فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام
والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا
صدوقا فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل فان صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به
منزلتك عند الله وأنه بعثك بالحق رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا
بعثت انما جئتكم من الله بما بعثنى به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم
فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فان لم تفعل لنا هذا
فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنانا

وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد فاعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل منا ما جئتنا به فقد بلغنا أنه انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله ما نؤمن بالرحمن أبدا أعذرنا اليك يا محمد أما والله لا نتركك وما بلغت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا قال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهو ابن عمته ابن عاتكة ابنة عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا واني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر قدر ما أطيق حمله فاذا سجد في صلاته فضخت رأسه به **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس بنحوه الا أنه قال وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث أبناء بني عبد الدار وأبا البختري ابن هشام **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد قال قلت له في قوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قال قلت له نزلت في عبد الله بن أبي أمية قال قد زعموا ذلك ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ يقول تعالى ذكره وما منع يا محمد مشركي قومك الايمان بالله وبما جئتهم به من الحق اذ جاءهم الهدى يقول اذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به الا قولهم جهلا منهم أبعث الله بشرا رسولا فأن الاولى في موضع نصب بوقوع منع عليها والثانية في موضع رفع لان الفعل لها ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الايمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر لو كان أيها الناس في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لأن الملائكة انما تراهم أمثالهم من الملائكة ومن خصه الله من بني آدم برؤيتها فأما غيرهم

فعلتهم وما أعظم. فشبههم الثاني أن هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية البطلان وكأنه شيء يجري على لسانهم بطريق التقليد. احتج النظام على مذهبه أن الكلام جسم بأن الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام والجواب أن الخارج من الفم هو الهواء لأن الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فأسند الى الحال ما هو من شأن المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صورتهم بقوله (ان يقولون الا كذبا) وفيه ابطال قول من زعم أن الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بأنه غير مطابق وذلك لأن القيد الاخير غير موجود ههنا مع أنه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (فلعلك باخع) قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء أصل البخع الجهد روي أن عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض أي جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك وقال الكسائي بخعت الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا نهكها و(أسفا) منصوب على المصدر أي تأسف أسفا وحذف الفعل لدلالة الكلام عليه وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال أو مفعول له أي لفرط الحزن شبهه واياهم حين لم يؤمنوا بالقرآن وأعرضوا عن نبيهم برجل فارقته أحبته فهو يتساقط حسرات عليهم والحاصل أنه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فأما تحصيل الايمان فيهم فليس اليك قال القاضي أطلق الحديث على القرآن فدل ذلك على أنه غير قديم وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث الحروف والاصوات وانما النزاع في الكلام النفسي قوله سبحانه (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) قال أهل النظم كأنه تعالى يقول اني خلقت الارض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم فأنت أيضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم

بعد أن لا تأسف عليهم وما على الأرض المواليد الثلاثة أعني المعادن والنبات والحيوان وأشرفها الانسان وقال القاضي الاولى أن لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض ليس زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة لاهلها لغرض الابتلاء فالذي له الزينة يكون خارجا عن الزينة ومضى أنه مجاز بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان من قبيل الابتلاء والامتحان وقد مر هذا البحث بتمامه في سورة البقرة في تفسير قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه واللام في (لنبلوهم) الغرض عند المعتزلة أو العاقبة أو استتباع الغاية عند غيرهم حذرا من لزوم الاستكمال قال الزجاج (أيهم) رفع بالابتداء لان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنمتحن هذا (أحسن عملا) أم ذلك ثم زهد في الميل الى زينة الارض بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) أي مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماتة سكانه قال أبو عبيد الصعيد المستوى من الارض التي لا نبات فيها من قولهم امرأة جروز اذا كانت أكولا وسيف جراز اذا كان مستأصلا وجرز الجراد والشاء والابل الارض اذا أكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال سبحانه (أم حسبت) يعني بل أظننت يا انسان أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف تستبعدون قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة الى طائفة مخصوصة وقال جار الله يعني أن ذلك التزيين وغيره أعظم من قصة أصحاب الكهف يعني أنه ذكر أولا عظيم قدرته ثم أضرب عن ذلك موبخا للانسان والحاصل أنك تعجب من هذا الادنى فكيف عما فوقه والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد أنه لوح من حجارة

فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث اليهم من الملائكة الرسل وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيآتهم التي خلقهم الله بها وانما يرسل الى البشر الرسول منهم كما لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين ثم أرسلنا اليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد للقائلين لك أبعث الله بشرا رسولا كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه نعم الكافي والحاكم انه كان بعباده خبيرا يقول ان الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم والمحق منهم والمبطل والمهدي والضال بصيرا بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء وكيف شاء وأحب لا يخفى عليه شيء من أمورهم وهو مجاز جميعهم بما قدم عند ورودهم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ يقول تعالى ذكره ومن يهد الله يا محمد للايمان به وتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك فوفقه لذلك فهو المهتد الرشيد المصيب الحق لا من هداه غيره فان الهداية بيده ومن يضلل يقول ومن يضلله الله عن الحق فيخذله عن اصابته ولم يوفقه للايمان بالله وتصديق رسوله فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله اذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يقول ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة على وجوههم عميا وبكما وهو جمع أبكم ويعني بالبكم الخرس كما حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وبكما قال الخرس وصما وهو جمع أصم فان قال قائل وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميا وبكما وصما وقد قال ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها فأخبر أنهم يرون وقال اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا فأخبر أنهم يسمعون وينطقون قيل جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم الى موقف القيامة ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أخر غير حال الحشر ويجوز أن يكون ذلك كما عن ابن عباس في الخبر الذي حدثنيه علي ابن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ثم قال ورأى المجرمون النار فظنوا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال دعوا هنالك ثبورا أما قوله عميا فلا يرون شيئا يسرهم وقوله بكما لا ينطقون بحجة وقوله صما لا يسمعون شيئا يسرهم وقوله مأواهم جهنم يقول جل ثناؤه ومصيرهم الى جهنم وفيها مساكنهم وهم وقودها كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مأواهم جهنم يعني انهم وقودها وقوله كلما خبت زدناهم سعيرا يعني بقوله خبت لانت وسكنت كما قال عدي بن زيد العبادي في وصف مزنة

وسطه كاليراع أو سرج المجـ ✲ ـدل حينا يخبو وحينا ينير

يعني بقوله يخبو السرج أنها تلين وتضعف أحيانا وتقوى وتنير أخرى ومنه قول القطامي

✲ فيخبو ساعة ويهب ساعا ✲ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عن تأويله ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن

عن علي عن ابن عباس في قوله كلما خبت قال سكنت حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس كلما خبت زدناهم سعيرا يقول كلما أحرقتهم تسعر بهم حطبا فاذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيأ صارت جمرا تتوهج فذلك خبوها فاذا بدلوا خلقا جديدا عاودتهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن مجاهد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كلما خبت قال خبوها أنها تسعر بهم حطبا فاذا أحرقتهم فلم يبق منهم شئ صارت جمرا تتوهج فاذا بدلوا خلقا جديدا عاودتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كلما خبت زدناهم سعيرا يقول كلما احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله كلما خبت زدناهم سعيرا قال كلما لان منها شئ حدثت عن مروان عن جويبر عن الضحاك كلما خبت قال سكنت وقوله زدناهم سعيرا يقول زدناهؤلاء الكفار سعيرا وذلك اسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتأججها بعد خبوها في أجسامهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين ماذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما وإصلائنا اياهم النار على ما بينا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا يعنى بأدلته وحججه وهم رسله الذين دعوهم الى عبادته وافرادهم اياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام وبقولهم اذا أمروا بالايمان بالمعاد وبثواب الله وعقابه في الآخرة أئذا كنا عظاما بالية ورفاتا قد صرنا ترابا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا يقولون نبعث بعد ذلك خلقا جديدا كما ابتدأناه أول مرة في الدنيا استنكارا منهم لذلك واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا بعيون قلوبهم فيعلمون أن الله الذى خلق السموات والارض فابتدعها من غير شئ وأقامها بقدرته قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم وقبل ذلك وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه اعادتهم خلقا جديدا بعد أن يصيروا عظاما ورفاتا وقوله وجعل لهم أجلا لاريب فيه يقول تعالى ذكره وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلا لهلاكهم ووقتا لعذابهم لاريب فيه يقول لاشك فيه أنه آتيهم ذلك الأجل فأبى الظالمون الا كفورا يقول فأبى الكافرون الا جحودا بحقيقة وعيده الذى أوعدهم وتكذيبا به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربى من الاموال وعنى بالرحمة في هذا الموضع المال اذا لأمسكتم خشية الانفاق يقول اذا لبخلتم به فلم تجودوا بها على غيركم خشية من الانفاق الاقتار كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

أورصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله ما روى أن الناس رقوا حديثهم نقرا في الجبل وعن السدى أنه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادى أو الجبل الذى فيه الكهف والعجب مصدر وصف به أو المراد ذات عجب وقوله (اذ أوى الفتية الى الكهف) صاروا اليه وجعلوه مأواهم منصوب باضمار اذكر لا بحسبت لفساد المعنى ولا يبعد أن يتعلق بعجبا والتنوين في (رحمة) اما للتعظيم أو للنوع وتقديم من لدنك للاختصاص أى رحمة مخصوصة بأنها من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا) أى أصلح لنا من قولك هيأت الامر فتهيأ (من أمرنا) الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) أى أمرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين غير ضالين فتكون من للابتداء ويجوز أن تكون للتجريد كما في قولك رأيت منك أسدا أى اجعل أمرنا رشدا كله (فضربنا على آذانهم) قال المفسرون أى أنمناهم والأصل فيه أن المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امرأته أى بنى عليها القبة و(سنين) ظرف زمان و(عددا) أى ذوات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العدد واذا كثر احتاج الى أن يعد (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم) ليظهر معلومنا وفعل العلم معلق لما في أى من معنى الاستفهام فارتفع (أى الحزبين) على الابتداء وخبره (أحصى) وهو فعل ماض وما في (لما لبثوا) مصدرية أى أحصى (أمدا) للبثهم فيكون الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذى وأمدا تمييز والتقدير أحصى لما لبثوه أمدا والأمد الغاية وزعم بعضهم أن أحصى أفعل تفضيل كما في قولهم أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق ولم يستصوبه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا

قال قال ابن عباس اذا لأمسكتم خشية الانفاق قال الفقر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خشية الانفاق أى خشية الفاقة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله وكان الانسان قتورا يقول وكان الانسان بخيلا ممسكا كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وكان الانسان قتورا يقول بخيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وكان الانسان قتورا قال بخيلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الانسان قتورا قال بخيلا ممسكا وفى القتور فى كلام العرب لغات أربع يقال قتر فلان يقتر و يقتر وقتر يقتر وأقتر يقتر كما قال أبو دواد

لا أعدّ الاقتار عدما ولكن * فقد من قد رزئته الاعدام

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بينات تبين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوته * وقد اختلف أهل التأويل فيهن وماهن فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال التسع الآيات البينات يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إلقاء العصا مرتين عند فرعون ونزع يده والعقدة التى كانت بلسانه وخمس آيات فى الأعراف الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم * وقال آخرون نحوا من هذا القول غير أنهم جعلوا آيتين منهن احداهما الطمسة والأخرى الحجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بريده ابن سفيان عن محمد بن كعب القرظى قال سألنى عمر بن عبد العزيز عن قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقلت له هى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر وعصاه والطمسة والحجر فقال وما الطمسة فقلت دعا موسى وأمن هرون فقال قد أجيبت دعوتكما وقال عمر كيف يكون الفقه الا هكذا فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر فاذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر * وقال آخرون نحوا من ذلك الا أنهم جعلوا اثنتين منهن احداهما السنين والأخرى النقص من الثمرات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة ومطر الوراق فى قوله تسع آيات قالا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبى فى قوله تسع آيات بينات قال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات وعصاه ويده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سئل عطاء بن أبى رباح عن قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ماهى قال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وعصى موسى ويده قال

ابن

فى تعيين الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس أن أصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من أصحاب الكهف وذلك أنهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما أو بعض يوم وقال آخرون ربكم أعلم بما لبثتم وذلك حين حسوا أن لبثهم قد تطاول وقال ان ا اءان طائفتين من المسلمين فى زمان أصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أى على وجه الصدق (انهم فتية) شباب (آمنوا بربهم) أى بى فوضع الظاهر موضع المضمر (وزدناهم هدى) أى بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) قويناها بالهام الصبر على فراق الخلائق والاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران (اذ قاموا) وفى هذا القيام أقوال فعن مجاهد أنهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو أكبر القوم انى لأجد فى نفسى شيأ ما أظن أحدا يجده أجد أن ربى رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك فى أنفسنا فقاموا جميعا (فقالوا ربنا رب السموات والارض) وقال أكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل أنهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد والمراد قولا ذا شطط أى بعيدا عن الحق (هؤلاء) مبتدأ و (قومنا) عطف بيان أو بدل و (اتخذوا) خبر وهو اخبار فى معنى انكار وفى اسم الاشارة تحقير لهم (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على حقية الهيتهم أو على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة ظاهرة استدل بعدم الدليل على عدم الشركاء والاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على أن هذه طريقة صحيحة ويمكن أن يجاب بأنه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم أن الاتيان بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد

التقليد ويؤكده قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه وخاطب بعضهم بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله (وما يعبدون) عطف على الضمير المنصوب يعني واذا اعتزلتموهم ومعبوديهم وقوله (الا الله) استثناء منقطع على الظاهر ويجوز أن يكون متصلا بناء على أن المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله فما نافية قال الفراء (فأووا الى الكهف) جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) يبسطها لكم و(مرفقا) على القراءتين مشتق من الارتفاق الانتفاع وقيل فتح الميم أقيس وكسرها أكثر وقيل المرفق بالكسر ما ارتفقت به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في مرفق اليد الا كسر الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه أخبرهم نبي في عصرهم منهم أو من غيرهم (وترى الشمس) أيها الانسان (اذا طلعت تزاور) أصله من الزور بفتح الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والمراد أن الشمس تعدل عن سمتهم الى الجهتين فلا تقع عليهم والفجوة المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وللمفسرين في الآية قولان أحدهما أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح والى هذا العجب أشار بقوله (ذلك من آيات الله) وثانيهما أن باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك في منفسح من الغار ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بأن عدم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله على هذا التقدير وأجيب بأن المشار اليه حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بصون أبدانهم عن الفساد في تلك المدة المديدة كالطف بهم في

ابن جريج وقال مجاهد مثل قول عطاء ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال هما التاسعتان ويقولون التاسعتان السنين وذهاب عجمة لسان موسى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن عباس في قوله تسع آيات بينات وهي متتابعات وهي في سورة الاعراف ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال السنين في أهل البوادي ونقص من الثمرات لاهل القرى فهاتان آيتان والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم هذه خمس ويد موسى اذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء البرص وعصاه اذ ألقاها فاذا هي ثعبان مبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال يد موسى وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات * وقال آخرون نحوا من ذلك الا أنهم جعلوا السنين والنقص من الثمرات آية واحدة وجعلوا التاسعة تلقف العصا ما يأفكون ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن في قوله تسع آيات بينات ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال هذه آية واحدة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ويد موسى وعصاه اذ ألقاها فاذا هي ثعبان مبين واذ ألقاها فاذا هي تلقف ما يأفكون * وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن المثنى قال ثني محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى النبي حتى نسأله عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال لا تقل له نبي فانه ان سمعك صارت له أربعة أعين قال فسألا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة أو قال لا تفروا من الزحف «شعبة الشاك» وأنتم يا يهود عليكم خاصة لا تعدوا في السبت فقبلا يده ورجله وقالا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما أن تسلما قالا ان داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي وانا نخشى أن تقتلنا يهود حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي عن سعيد عن عمرو قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أن ابن مهدي قال لا تمشوا الى ذي سلطان وقال ابن مهدي أراه قال ببريء حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن ادريس وأبو أسامة بنحوه عن شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي فقال صاحبه لا تقل نبي انه لو سمعك كان له أربع أعين قال فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه عن تسع آيات بينات فقال هن ولا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا يوم الزحف وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت قال فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تتبعوني قالوا ان داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك أن تقتلنا يهود حدثنا مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة

عن صفوان بن عسال عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه وأما قوله فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم فان عامة قراء الاسلام على قراءته على وجه الامر بمعنى فاسأل يا محمد بنى اسرائيل اذ جاءهم موسى وروى عن الحسن البصرى فى تأويله ما حدثنى به الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن اسمعيل عن الحسن فاسأل بنى اسرائيل قال سؤالك اياهم نظرك فى القرآن وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك فسأل بمعنى فسأل موسى فرعون بنى اسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن حنظلة السدوسى عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ فسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم يعنى أن موسى سأل فرعون بنى اسرائيل أن يرسلهم معه والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ بغيرها هى القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء على تصويبها ورغبتهم عما خالفها وقوله فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا يقول فقال لموسى فرعون انى لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك وقد يجوز أن يكون مرادا به انى لأظنك يا موسى ساحرا فوضع مفعول موضع فاعل كما قيل انك مشؤم علينا وميمون وانما هو شائم ويامن وقد تأول بعضهم حجابا مستورا بمعنى حجابا ساترا والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا القول فى تأويل قوله تعالى (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مثبورا) اختلفت القراء فى قراءة قوله لقد علمت فقرأ عامة قراء الأمصار ذلك لقد علمت بفتح التاء على وجه الخطاب من موسى لفرعون وروى عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك أنه قرأ لقد علمت بضم التاء على وجه الخبر من موسى عن نفسه ومن قرأ ذلك على هذه القراءة فانه ينبغى أن يكون على مذهبه تأويل قوله انى لأظنك يا موسى مسحورا انى لأظنك قد سحرت فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب وهذا وجه من التأويل غير أن القراءة التى عليها قراء الامصار خلافها وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه وبعد فان الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع مع علمهم بأنها من عند الله بقوله وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فأخبر جل ثناؤه أنهم قالوا هى سحر مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله فكذلك قوله لقد علمت انما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله وقد ذكر عن ابن عباس أنه احتج فى ذلك بمثل الذى ذكرنا من الحجة قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ لقد علمت يا فرعون بالنصب ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض ثم تلا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قال موسى لفرعون لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التى أريتكها حجة لى على حقيقة ما أدعوك اليه وشاهدة لى على صدق وصحة قولى انى لله رسول ما بعثنى اليك الا رب السموات والارض لأن ذلك لا يقدر عليه ولا على أمثاله أحد سواه بصائر يعنى بالبصائر الآيات أنهن بصائر لمن استبصر بهن وهدى لمن اهتدى بهن يعرف بهن من رآهن أن من جاء بهن فمحق وأنهن من عند الله لا من عند غيره اذ كن معجزات لا يقدر عليهن ولا على شئ

منهن

أول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم أن الهداية وضدها كلاهما بمشيئة الله وعنايته الازلية وبلطفه وقهره الذى سبق به القلم وقال جار الله فيه تنبيه على أن من سلك (١٩٦) طريقة الراشدين المهديين فهو الذى أصاب الفلاح ومن تعرض للخسران فلن يجد من يليه ويرشده ثم حكى طرفا آخر من غرائب أحوالهم فقال (وتحسبهم أيقاظا) هى جمع يقظ بكسر القاف كأنكاد فى جمع نكد (وهم رقود) جمع راقد كقعود فى قاعد واستبعده فى التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على أيمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم ظاهرة وهى أن لا تأكل لحومهم الارض قاله ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين قال وان الله تعالى قادر على حفظهم من غير تقلب وأقول لا ريب فى قدرة الله تعالى ولكن الوسائط معتبرة فى أغلب الاحوال (وكلبهم باسط) حكاية الحال الماضية ولهذا عمل فى المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة أو الباب قال السدى الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما أراد أن الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا ليلا من ملكهم فروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلاث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون منى أنا أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم وقال عبيد بن عمير وكان ذلك كلب صيدهم والاطلاع على الشئ الاشراف عليه قال الزجاج قوله (فرارا) منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية وسبب الرعب هيبة ألبسهم الله اياها وقيل طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم منه يحكى أن معاوية غزا الروم فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس

منهن سوى رب السموات والارض وهو جمع بصيرة وقوله وانى لأظنك يافرعون مثبورا يقول انى لأظنك يافرعون ملعونا ممنوعا من الخير والعرب تقول ماثبرك عن هذا الامر أى ما منعك منه وما صدك عنه وثبره الله فهو يثبره ويثبره لغتان ورجل مثبور محبوس عن الخيرات هالك ومنه قول الشاعر اذ أجارى الشيطان فى سنن الغيى ومن مال ميله مثبور

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبدالله بن عبدالله الكلابى قال ثنا أبو خالد الأحمر قال ثنا عمر بن عبدالله عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله انى لأظنك يافرعون مثبورا قال ملعونا حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان بن معاوية قال أخبرنا عمر بن عبدالله الثقفى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انى لأظنك يافرعون مثبورا يقول ملعونا * وقال آخرون بل معناه انى لأظنك يافرعون مغلوبا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انى لأظنك يافرعون مثبورا يعنى مغلوبا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انى لأظنك يافرعون مثبورا يقول مغلوبا * وقال بعضهم معنى ذلك انى لأظنك يافرعون هالكا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثبورا أى هالكا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانى لأظنك يافرعون مثبورا أى هالكا (١) حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه * وقال آخرون معناه انى لأظنك مبدلا مغيرا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدالله بن موسى عن عيسى بن موسى عن عطية انى لأظنك يافرعون مثبورا قال مبدلا * وقال آخرون معناه مخبولا لا عقل له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانى لأظنك يافرعون مثبورا قال الانسان اذا لم يكن له عقل فما ينفعه يعنى اذا لم يكن له عقل ينتفع به فى دينه ومعاشه دعته العرب مثبورا قال أظنك ليس لك عقل يافرعون قال بيناهو يخافه ولا ينطلق لسانى أن أقول هذا لفرعون فلما شرح الله صدره اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله وقد بينا الذى هو أولى بالصواب فى ذلك قبل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾ يقول تعالى ذكره فأراد فرعون أن يستفز موسى وبنى اسرائيل من الارض فأغرقناه فى البحر ومن معه من جنده جميعا ونجينا موسى وبنى اسرائيل وقلنا لهم من بعد هلاك فرعون اسكنوا الارض أرض الشام فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يقول فاذا جاءت الساعة وهى وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يقول حشرنا كم من قبوركم الى موقف القيامة لفيفا أى مختلطين

(١) لعل هذا السند تكرر من الناسخ تأمل كتبه مصححه

لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأخرجتهم (وكذلك) اشارة الى المذكور قبله أى وكما أنمناهم تلك النومة وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك (بعثناهم) وفيه تذكير لقدرته على الانامة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال (ليتساءلوا) أى ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع فى مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور آثار القدرة (قال قائل منهم كم لبثتم) قال ابن عباس هو رئيسهم مليخا رد علم ذلك الى الله تعالى حين رأى التغير فى شعورهم وأظفارهم وبشرتهم والفاء فى (فابعثوا) للتسبيب كأنه قيل واذ قد حصل اليأس من تعيين مدة اللبث فخذوا فى شئ آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة وفى تزودهم الورق عند فرارهم دليل على أن امساك بعض ما يحتاج اليه الانسان فى سفره وحضره لا ينافى التوكل على الله والمدينة طرسوس قال فى الكشاف (أيها) معناه أى أهلها (أزكى طعاما) وأقول يحتمل أن يعود الضمير الى الأطعمة ههنا كقوله زيد طيب أبا على أن الاب هو زيد ويجوز أن يراد أى أطعمة المدينة أزكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون أديانهم وقال مجاهد احترزوا من المغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل أيها أطيب وألذ وقيل الرخص (وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن والأظهر أنهم طلبوا اللطف فى أمر التخفى حتى لا يعرف يؤيده قوله (ولا يشعرن بكم أحد) أى لا يفعلن ما يؤدى الى الشعور ويتسبب له (انهم ان يظهروا) يطلعوا على مكانكم أو (عليكم يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة وهى الرجم وكأنه كانت عادتهم (أو يعيدوكم فى ملتهم) بالاكراه العنيف وقال فى الكشاف العود فى معنى الصيرورة

أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا بدون ابتداء الفعل قلت يحتمل أن يكون العود ههنا في معناه الأصلي لاحتمال أن
يكون أصحاب الكهف على ملة أهل المدينة قبل أن هداهم الله وفي إذن معنى الشرط كأنه قال إن رجعتم إلى دينهم فلن تفلحوا
أبدا قال المحققون لا خوف على
المؤمن إذا ارتد بدينه أعظم من هذين
ففي الأول هلاك الدنيا وفي الثاني
هلاك الآخرة وإنما نفى الفلاح على
التأبيد مع أن كفر المكره لا يضر
لأنهم خافوا أن يجرهم ظاهر
الموافقة إلى الكفر القلبي وكما أنمناهم
وبعثناهم (أعثرنا عليهم) سمي
الإعلام إعثارا والعلم عثورا لأن من
كان غافلا عن شيء فعثر به نظر إليه
وعرفه وكان الإعثار سببا لحصول
العلم واليقين وفي سبب الإعثار
قولان أحدهما أنه طالت شعورهم
وأظفارهم طولا مخالفا للعادة
وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك
والأكثرون قالوا إن ذلك الرجل لما
ذهب بالورق إلى السوق وكانت
دراهم دقيانوسية اتهموه بأنه وجد
كنزا فذهبوا به إلى الملك فقال له من
أين وجدت هذه الدراهم قال بعت
بها أمس شيئا من التمر فعرف الملك
أنه ما وجد كنزا وأن الله بعثه بعد
موته فقص عليه القصة ثم ذكر
سبحانه غاية الإعثار فقال (ليعلموا
أن وعد الله حق) يروى أن ملك ذلك
العصر ممن كان ينكر البعث إلا أنه
كان مع كفره منصفا فجعل الله أمر
الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت
الأمة في ذلك الزمان فقال بعضهم
الجسد والروح يبعثان جميعا وقال
آخرون الروح تبعث وأما الجسد
فتأكله الأرض ثم إن ذلك الملك
كان يتضرع أن يظهر له آية يستدل
بها على ما هو الحق في المسئلة فأطلعه
الله تعالى على أمر أصحاب الكهف
حتى تقرر عنده صحة بعث الأجساد لأن انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث فالمراد
بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمائر في قوله (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) تعود إلى تلك الأمة وقيل أراد إذ يتنازع الناس بينهم

قد التف بعضكم على بعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيه من قولك لففت
الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع وكذلك كل شيء خلط بشيء فقد لف به وقد
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابن أبي رزين جئنا بكم
لفيفا قال من كل قوم * وقال آخرون بل معناه جئنا بكم جميعا ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله جئنا
بكم لفيفا قال جميعا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد جئنا بكم لفيفا
جميعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا أي جميعا
أولكم وآخركم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة
في قوله جئنا بكم لفيفا قال جميعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد
قال سمعت الضحاك يقول في قوله جئنا بكم لفيفا يعني جميعا ووحد اللفيف وهو خبر عن الجميع
لأنه بمعنى المصدر كقول القائل لففته لفا ولفيفا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿وبالحق أنزلناه
وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه
تنزيلا﴾ يقول تعالى ذكره وبالحق أنزلنا هذا القرآن يقول أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف
والأخلاق الجميلة والأمور المستحسنة الحميدة وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة والأخلاق الردية
والأفعال الذميمة وبالحق نزل يقول وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد
إلى من أرسلناك إليه من عبادنا إلا مبشرا بالجنة من أطاعنا فانتهى إلى أمرنا ونهينا ومنذرا لمن
عصانا وخالف أمرنا ونهينا وقرآنا فرقناه لتقرأه اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء
الأمصار فرقناه بتخفيف الراء من فرقناه بمعنى أحكمناه وفصلناه وبيناه وذكر عن ابن عباس أنه
كان يقرؤه بتشديد الراء فرقناه بمعنى نزلناه شيئا بعد شيء آية بعد آية وقصة بعد قصة * وأولى
القراءتين بالصواب عندنا القراءة الأولى لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة ولا يجوز خلافها فيما
كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب فتأويل الكلام وما
أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا وفصلناه قرآنا وبيناه وأحكمناه لتقرأه على الناس على مكث * وبنحو
الذي قلنا في ذلك من التأويل قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال
ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وقرآنا فرقناه يقول فصلناه حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن
كعب أنه قرأ وقرآنا فرقناه مخففا يعني بيناه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقرآنا فرقناه قال فصلناه حدثنا ابن المثنى قال ثنا بدل بن
المحبر قال ثنا عباد يعني ابن راشد عن داود عن الحسن أنه قرأ وقرآنا فرقناه خففها فرق الله بين
الحق والباطل وأما الذين قرؤا القراءة الأخرى فإنهم تأولوا ما قد ذكرت من التأويل ذكر من

قال

قال ما حكيت من التأويل عن قارئ ذلك كذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كان ابن عباس يقرؤها وقرآنا فرقناه مثقلة يقول أنزل آية آية حدثنا ابن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة قال ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس لم ينزل جميعا وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقرآنا فرقناه قال فرقه لم ينزله جميعا وقرأ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة حتى بلغ وأحسن تفسيرا ينقض عليهم ما يأتون به وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول نصب قوله وقرآنا بمعنى ورحمة ويتأول ذلك وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا ورحمة ويقول جاز ذلك لان القرآن رحمة ونصبه على الوجه الذي قلناه أولى وذلك كما قال جل ثناؤه والقمر قدرناه منازل وقوله لتقرأه على الناس على مكث يقول لتقرأه على الناس على تؤدة فترتله وتبينه ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبيد المكتب قال قلت لمجاهد رجل قرأ البقرة وآل عمران وآخر قرأ البقرة وركوعهما وسجودهما واحد أيهما أفضل قال الذي قرأ البقرة وقرأ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لتقرأه على الناس على مكث يقول على تأييد حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على مكث قال على ترتيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لتقرأه على الناس على مكث قال في ترتيل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لتقرأه على الناس على مكث قال التفسير الذي قال الله ورتل القرآن ترتيلا تفسيره حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عبيد عن مجاهد قوله لتقرأه على الناس على مكث على تؤدة وفي المكث للعرب لغات مكث ومكث ومكث ومكثي مقصور ومكثانا والقراءة بضم الميم وقوله ونزلناه تنزيلا يقول تعالى ذكره فرقنا تنزيله وأنزلناه شيأ بعد شيء كما حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال حدثنا عن أبي رجاء قال تلا الحسن وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قال كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس لقد ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة قال فسألته يوما على سخطة فقلت يا أبا سعيد وقرآنا فرقناه فثقلها أبو رجاء فقال الحسن ليس فرقناه ولكن فرقناه فقرأ الحسن مخففة قلت من يحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد قال فمن يحدثنيه قال أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر الى المدينة ثماني سنين وبالمدينة عشر سنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا لم ينزل في ليلة ولا ليلتين ولا شهر ولا شهرين

أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم (فقالوا ابنوا) على باب كهفهم (بنيانا) يروى أنه انطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على آياته الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على أن أولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة والصلاة وقيل ان الكفار قالوا انهم كانوا على ديننا ونتخذ عليهم بنيانا والمسلمين قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم وأسمائهم قال جار الله (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقته قالوا ذلك أو هو من كلام الله عز وجل رد القول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب والذين غلبوا على أمرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم بها وضنا بها (سيقولون) يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن أهل الكتاب المعاصرين وكان كما أخبر فكان معجزا يروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم (ثلاثة رابعهم كلبهم) وقال العاقب وكان نسطوريا هم (خمسة وسادسهم كلبهم) فزيف الله قولهما بأن قال (رجما بالغيب) أي يرمون رميا بالخبر الخفي يقال فلان يرمي بالكلام رميا أي يتكلم من غير تدبر وكثيرا

ولا سنة ولا سنتين ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة وماشاء الله من ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان يقول أنزل على نبي الله القرآن ثماني سنين وعشرا بعد ما هاجر وكان قتادة يقول عشرا بمكة وعشرا بالمدينة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أولا تؤمنوا به فان ايمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا ترككم الايمان به ينقص ذلك وان تكفروا به فان الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين اذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيما له وتكرما وعلما منهم بأنه من عند الله لأذقانهم سجدا بالارض واختلف أهل التأويل في الذي عنى بقوله يخرون للأذقان فقال بعضهم عنى به الوجوه ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله يخرون للأذقان سجدا يقول للوجوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يخرون للأذقان سجدا قال للوجوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله ۞ وقال آخرون بل عنى بذلك اللحى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن في يخرون للأذقان قال للحى وقوله سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يقول جل ثناؤه ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن اذا خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف اليه المشركون به ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب الا مفعولا حقا يقينا ايمانا بالقرآن وتصديقا به والأذقان في كلام العرب جمع ذقن وهو مجمع اللحيين واذ كان ذلك كذلك فالذي قال الحسن في ذلك أشبه بظاهر التنزيل ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الذين عنوا بقوله أوتوا العلم وفي يتلى عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد الذين أوتوا العلم من قبله الى قوله خشوعا قال هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد قالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله من قبل النبي صلى الله عليه وسلم اذا يتلى عليهم ما أنزل اليهم من عند الله يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ۞ وقال آخرون عنى بقوله الذين أوتوا العلم من قبله محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله اذا يتلى عليهم كتابهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اذا يتلى عليهم ما أنزل اليهم من عند الله وانما قلنا عنى بقوله اذا يتلى عليهم القرآن لانه في سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر فيصرف الكلام اليه ولذلك جعلت الهاء التي في قوله من قبله من ذكر القرآن لان الكلام بذكره جرى قبله وذلك قوله وقرآنا فرقناه وما بعده في سياق الخبر عنه فلذلك وجبت صحة ما قلنا اذا لم يأت بخلاف

ما قلنا

ما يقال رجم بالظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول محقق عرفه المسلمون باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبرائيل عليه

السلام والذي يدل عليه أمور منها ما روى عن على عليه السلام أنهم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلمينا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشططيوش واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وقيل ريان عن ابن عباس أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى ولعسر الولادة تشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه آخر كما تدخل على الجملة الواقعة حالا من المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدته توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر لان الواو ومقتضاها الجمعية وكأنهم وصفوا بكونهم سبعة مرتين بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بما وصفوا مرة واحدة ولقائل أن يقول ان العاطف لا يوسط بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو هو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو انما العطف عطف الجملة على الجملة واما الحال فجاز لانهم لم يسوغوا ذا الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة في نحو قولك رأيت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان

ماقلنافيه حجة يجب التسليم لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ يقول تعالى ذكره ويخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان اذا يتلى عليهم القرآن للأذقان يبكون ويزيدهم ما فى القرآن من المواعظ والعبر خشوعا يعنى خضوعا لأمر الله وطاعته واستكانة له حدثنا أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا مسعر عن عبد الأعلى التيمى ان من أوتى من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتى علما ينفعه لأن الله نعت العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان الآيتين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مسعر بن كدام عن عبد الأعلى التيمى بنحوه الا أنه قال اذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان ثم قال ويخرّون للأذقان يبكون الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قال هذا جواب وتفسير للآية التى فى كهيعص اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لمشركى قومك المنكرين دعاء الرحمن ادعوا الله أيها القوم أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى بأى أسمائه جل جلاله تدعون ربكم فانما تدعون واحدا وله الأسماء الحسنى وانما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ربه يا ربنا الله ويا ربنا الرحمن فظنوا أنه يدعو الهين فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجا لنبيه عليهم ذكر الرواية بما ذكرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو يا رحمن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم أنه يدعو واحدا وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى عن الأوزاعى عن مكحول أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتهجد بمكة ذات ليلة يقول فى سجوده يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين فلما أصبح قال لأصحابه انظروا ما قال ابن أبى كبشة يدعو الليلة الرحمن الذى باليمامة وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن فنزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى (١) حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أيا ما تدعوا بشئ من أسمائه حدثنى موسى بن سهل قال ثنا محمد بن بكار البصرى قال ثنى حماد بن عيسى عن عبيد بن الطفيل الجهنى قال ثنا ابن جريج عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن مكحول عن عراك بن مالك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما كلهن فى القرآن من أحصاهن دخل الجنة « قال أبو جعفر » ولدخول ما فى قوله أيا ما تدعوا وجهان أحدهما أن

(١) كذا فى الأصول ولم يذكر المتن اتكالا على ما تقدم وقد تكرر ذلك منه فتنبه

الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير فى قوله ويقولون سبعة لله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة أى لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها أنه خص القولين الاولين بزيادة قوله رجما بالغيب وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال فى الباقى بخلافه فمن المعتمد أن يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة ولا يذكر الحق على أنه سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم فى هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علمه حكم هذه الواقعة وأيضا الله تعالى قال ما يعلمهم الا قليل ويبعد أن لا يحصل العلم بذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ويحصل لغير النبى صلى الله عليه وسلم كعلى وكابن عباس حين قال أنا من أولئك القليل وقد عرفت قولهما فى هذا الباب واذا حصل فالظاهر أنه حصل بهذا الوحى لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير فى سيقولون لاهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم وقوله سبحانه فى الموضعين الاخيرين ويقولون بغير السين لا ريب أنهما للاستقبال أيضا الا أن ذلك يحتمل أن يكون لاجل الصيغة التى تصلح له وأن يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد أكرم وأنعم أى وقد أنعم أما فائدة تخصيص الواو فى قوله وثامنهم فقد عرفت آنفا وقد يقال ان لعدد السبعة عند العرب تداولا على الألسنة فى مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود فاذا وصلوا الى الثامنة ذكروا لفظا يدل على الاستئناف كقوله فى أبواب الجنة وفتحت أبوابها وكقوله ثيبات وأبكارا وزيف القفال هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك أنه لم يذكر الواو فى النعت الثامن والانصاف أن هذا التزييف ليس فى

تكون صلة كما قيل عما قليل ليصبحن نادمين والآخر أن تكون فى معنى إن كررت لما اختلف لفظاهما كما قيل ما ان رأيت كالليلة ليلة وقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اختلف أهل التأويل فى الصلاة فقال بعضهم عنى بذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به ولكن بين ذلك وقالوا عنى بالصلاة فى هذا الموضع الدعاء ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى ابن عيسى الدامغانى قال ثنا ابن المبارك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت فى الدعاء حدثنا بشار قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت نزلت فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مثله حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا عباد بن العوام عن أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كانوا يجهرون بالدعاء فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يجهروا ولا يخافتوا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد عن عمرو بن مالك البكرى عن أبى الجوزاء عن عائشة قالت نزلت فى الدعاء حدثنى مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا شريك عن زياد بن فياض عن أبى عياض فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابراهيم الهجرى عن أبى عياض ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شريك عن زياد بن فياض عن أبى عياض مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عمن ذكره عن عطاء ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت فى الدعاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال نزلت فى الدعاء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فى الدعاء والمسألة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال نزلت فى الدعاء والمسألة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنى سفيان قال ثنى قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن ابن عياش العامرى عن عبد الله بن شداد قال كان أعراب اذا سلم النبى صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا إبلا وولدا قال فنزلت هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى الدعاء حدثنى ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تجهر بصلاتك الآية قال فى الدعاء والمسألة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى عن الاوزاعى عن مكحول ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال ذلك فى الدعاء ❊ وقال آخرون عنى بذلك الصلاة واختلف قائلو هذه المقالة فى المعنى الذى عنى بالنهى

موضعه لان وجود الواو هو الذى يفتقر الى التوجيه وأما عدمه فعلى الاصل وبين التوجيه والاعجاب بون بعيد والقائل بصدد الاول دون الاخير ثم نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن (١٣٣) الجدال مع أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف ثم قال (الا مراء ظاهرا) فقال جار الله أى جدالا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال فى التفسير الكبير المراد أن لا يكذبهم فى تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم فى شأنهم لان المفتى يجب أن يكون أعلم من المستفتى وههنا الامر بالعكس ولا سيما فى باب واقعة أصحاب الكهف كما بينا ❊ ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما تتوقف هى عليه فنقول الولى مشتق من الولى وهو القرب فقيل فعيل بمعنى فاعل كعليم وقدير وذلك أنه توالت طاعاته من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك أن الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقرب منه بالفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل أن فرعون كانت تظهر على يده الخوارق وكما ينقل أن الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقه يدل على كذبه فلا [يف]ضى الى التلبيس وان كان مقرونا [بدع]وى النبوة فان كان صادقا وجب [أن] لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب ويمكن أن يقال ان الكاذب يستحيل أن يظهر منه الفعل الخارق والمذهب جمهور المعتزلة وخالفهم أبو الحسين البصرى وصاحبه محمود الخوارزمى وجوزا ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عن طاعة الله وسموه بالاستدراج وقد يفرق بين النبى الصادق والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير أو الى الشر وان كان مقرونا بدعوى عن
الولاية فصاحبه هو الولى ومن المحققين من لم يجوز للولى دعوى الولاية لانه مأمور بالاخفاء كما أن النبى مأمور بالاظهار ثم ان المعتزلة أنكروا

عن الجهر به منها فقال بعضهم الذى نهى عن الجهر به منها القراءة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به قال فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوا عنك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن شق ذلك على المشركين اذا سمعوه فيؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشتم والعيب به وذلك بمكة فأنزل الله يا محمد لا تجهر بصلاتك يقول لا تعلن بالقراءة بالقرآن اعلانا شديدا يسمعه المشركون فيؤذونك ولا تخافت بالقراءة بالقرآن يقول لا تخفض صوتك حتى لا تسمع أذنيك وابتغ بين ذلك سبيلا يقول اطلب بين الاعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقا لا جهرا شديدا ولا خفضا لا تسمع أذنيك فذلك القدر فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة سقط هذا كله يفعل الآن أى ذلك شاء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها الآية هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان اذا صلى بأصحابه فرفع صوته بالقراءة أسمع المشركين فآذوه فأمره الله أن لا يرفع صوته فيسمع عدوه ولا يخافت فلا يسمع من خلفه من المسلمين فأمره الله أن يبتغى بين ذلك سبيلا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن فكان المشركون اذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به فكان النبى صلى الله عليه وسلم يخفى القرآن فما يسمعه أصحابه فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال سمعت أبى يقول أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع صوته سمع المشركون سبوا القرآن ومن جاء به واذا خفض لم يسمع أصحابه قال الله وابتغ بين ذلك سبيلا حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا وأبوا أن يستمعوا منه فكان الرجل اذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع فان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيأ فأنزل الله عليه ولا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا تسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى الى بعض ما يسمع فينتفع به وابتغ بين ذلك سبيلا حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن فى المسجد الحرام فقالت قريش لا تجهر بالقراءة فتؤذى آلهتنا فنهجو ربك فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها الآية حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد

كرامات الاولياء وأثبتها أهل السنة مستدلين بالقرآن والاخبار والآثار والمعقول أما القرآن فكقصة مريم ونبأ أصحاب الكهف قال القاضى لا بد أن يكون فى ذلك الزمان نبى تنسب اليه تلك الكرامات وأجيب (١٢٣) فى التفسير الكبير بأن اقدامهم على النوم أمر غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لأحد وأما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا أيضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم فى هذه الواقعة لانهم لا يعرفون كونهم صادقين فى هذه الدعوى الا اذا بقوا طول هذه المدة وعرفوا أن هؤلاء الذين جاؤا فى هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لأحد من الانبياء فلم يبق الا أن تجعل كرامة لهم ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون نفس بعثهم معجز النبى هذا الزمان وأما أن ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بأمارات أخر كامر من حديث الدرهم وغيره وأما الأخبار فنها ما أخرج فى الصحاح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصبى فى زمان جريج وصبى آخر أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عابدا فى بنى اسرائيل وكانت له أم وكان يوما يصلى اذا اشتاقت اليه أمه فقالت يا جريج فقال يارب الصلاة خير أم رؤيتها ثم صلى فدعته ثانيا مثل ذلك حتى كان ذلك ثلاث مرار وكان يصلى ويدعها فاشتد ذلك على أمه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت فى بنى اسرائيل زانية فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يزنى فأتته فلم تقدر عليه شيأ وكان هنالك راع يأوى بالليل الى أصل صومعته فأرادت الراعى على نفسها فأتاها فولدت غلاما وقالت ولدى هذا من جريج فأتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام قال أبو هريرة كأنى أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك فقال فلان الراعى فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه

ابن جبير عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختف بمكة فكان اذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى القراءة حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه واذا سمع ذلك المشركون سبوه فنزلت هذه الآية حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سلمة عن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان اذا صلى فقرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته قال فقيل لابى بكر لم تصنع هذا فقال أناجى ربى وقد علم حاجتى قيل أحسنت وقيل لعمر لم تصنع هذا قال أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قيل أحسنت فلما نزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قيل لأبى بكر ارفع شيأ وقيل لعمر اخفض شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا حسان بن ابراهيم عن ابراهيم الصائغ عن عطاء فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال يقول ناس انها فى الصلاة ويقول آخرون انها فى الدعاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وكان نبى الله وهو بمكة اذا سمع المشركون صوته رموه بكل خبث فأمره الله أن يغض من صوته وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه وكان يقال ما سمعته اذنك فليس بمخافتة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاة فيرمى بالخبث فقال لا ترفع صوتك فتؤذى ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقال آخرون انما عنى بذلك ولا تجهر بالتشهد فى صلاتك ولا تخافت بها ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت نزلت هذه الآية فى التشهد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن أشعث عن ابن سيرين مثله وزاد فيه وكان الاعراب يجهر فيقول التحيات لله والصلوات لله يرفع فيها صوته فنزلت ولا تجهر بصلاتك * وقال آخرون بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة جهارا فأمر باخفائها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فى بنى اسرائيل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى يجهر بصلاته فآذى ذلك المشركين بمكة حتى أخفى صلاته هو وأصحابه فلذلك قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقال فى الاعراف واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين * وقال آخرون معنى ذلك ولا تجهر بصلاتك تحسنها من اتيانها فى العلانية ولا تخافت بها تسيئها فى السريرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

عن

وقالوا نبنى صومعتك من ذهب وفضة فأبى عليهم وبناها كما كانت وأما الصبى الآخر فان امرأة كانت معها صبى ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبى اللهم لا تجعلنى مثله ثم مر بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه فقال اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنيت ولم تزن وهى تقول حسبى الله * ومنها ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فأواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت لا أغبق قبلهما فنأى بى فى طلب شجرة يوما فلم أبرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما فقمت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم انه كانت لى ابنة عم وكانت أحب الناس الىّ فأردتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى وأعطيتها مالا عظيما على أن تخلى بينى وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا آذن لك أن تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثالث اللهم انى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أدّ الىّ

عن الحسن أنه كان يقول ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أي لا ترائي بها علانية ولا تخفها سرا وابتغ بين ذلك سبيلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال كان الحسن يقول في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا تحسن علانيتها وتسيء سريرتها حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا ترائي بها في العلانية ولا تخفها في السريرة حدثني علي بن الحسن الازرقي قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن منصور عن الحسن ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال تحسن علانيتها وتسيء سريرتها حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا تصل مراآة الناس ولا تدعها مخافة * وقال آخرون في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قال السبيل بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون قال وكان أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ويصيحون هم به وراءه فنهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة * وأولى الاقوال في ذلك بالصحة ما ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي رواه أبو جعفر عن سعيد عن ابن عباس لان ذلك أصح الاسانيد التي روي عن صحابي فيه قول مخرجا وأشبه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها عقيب قوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وعقيب تقريع الكفار بكفرهم بالقرآن وذلك بعدهم منه ومن الايمان فاذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى وأشبه بقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه أو يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتكه اياه وذكرك فيها فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلا ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقا الى أن تسمع أصحابك ولا يسمعه المشركون فيؤذوك ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل وانا لا نستجيز خلافهم فيما جاء عنهم لكان وجها يحتمله التأويل أن يقال ولا تجهر بصلاتك التي أمرناك بالمخافتة بها وهي صلاة النهار لانها عجماء لا يجهر بها ولا تخافت بصلاتك التي أمرناك بالجهر بها وهي صلاة الليل فانها يجهر بها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بها بالتي أمرناك بالجهر وتخافت بالتي أمرناك بالمخافتة بها لا تجهر بجميعها ولا تخافت بكلها فكان ذلك وجها غير بعيد من الصحة ولكنا لا نرى ذلك صحيحا لاجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه فان قال قائل فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخافتة قيل حدثني مطر ابن محمد قال ثنا قتيبة ووهب بن جرير قالا ثنا شعبة عن الاشعث بن سليم عن الاسود ابن هلال قال قال عبد الله لم يخافت من أسمع أذنيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الاشعث عن الاسود بن هلال عن عبد الله مثله * القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره

أجرتي فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من أجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا أستهزئ بأحد فأخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه

* ومنها قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ولم يفرق بين شئ وشئ فيما يقسم به على الله * ومنها رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذا التفتت البقرة وقالت اني لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر * ومنها رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا رجل سمع رعدا أو صوتا في السحاب أن اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لأني سمعت صوتا في السحاب أن اسق حديقة فلان قال أما اذ قلت فاني أجعلها أثلاثا فأجعل لنفسي ولأهلي ثلثا وأجعل للمساكين وأبناء السبيل ثلثا وأنفق عليها ثلثا * وأما الآثار فمن كرامات أبي بكر الصديق أنه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح واذا هاتف يهتف من القبر أدخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي أنه بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكتبت تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا أمير المؤمنين غدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فدهمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلى الله

تكبيرا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيكون مربوبا لا ربا لأن رب الارباب لا ينبغي أن يكون له ولد ولم يكن له شريك في الملك فيكون عاجزا ذا حاجة الى معونة غيره ضعيفا ولا يكون الها من يكون محتاجا الى معين على ما حاول ولم يكن منفردا بالملك والسلطان ولم يكن له ولي من الذل يقول ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به لان من كان ذا حاجة الى نصرة غيره فذليل مهين ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج الى ناصر الها يطاع وكبره تكبيرا يقول وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل وأطعه فيما أمرك ونهاك * وبنحو الذي قلنا في قوله ولم يكن له ولي من الذل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولم يكن له ولي من الذل قال لم يحالف أحدا ولا يبتغي نصر أحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا الصغير من أهله والكبير حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا أبو الجنيد عن جعفر عن سعيد عن ابن عباس قال ان التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني اسرائيل ثم تلا لا تجعل مع الله الها آخر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية قال ان اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا وقالت العرب لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك وقال الصابئون والمجوس لولا أولياء الله لذل الله فأنزل الله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره أنت يا محمد على ما يقولون تكبيرا

(آخر تفسير سورة بني اسرائيل والحمد لله رب العالمين)

(تفسير سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله عز ذكره (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) «قال أبو جعفر» يقول تعالى ذكره الحمد لله الذي خص برسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه فابتعثه الى خلقه نبيا مرسلا وأنزل عليه كتابه قيما ولم يجعل له عوجا وعنى بقوله عز ذكره قيما معتدلا مستقيما وقيل عنى به أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها ذكر من قال عنى به معتدلا مستقيما حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ولم يجعل له عوجا قيما يقول أنزل الكتاب عدلا قيما ولم يجعل له عوجا فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله ولم يجعل له عوجا ومعناه التقديم بمعنى أنزل الكتاب على عبده قيما حدثت عن محمد بن زيد عن جويبر عن الضحاك في قوله قيما قال مستقيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولم يجعل له عوجا قيما أي معتدلا لا اختلاف فيه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر

عليه وسلم لأنه قال لأبي بكر وعمر أنتما مني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لا جرم قدر على رؤية الجيش من بعد ومنها ما روى أن نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر فكتب عمر على الخزف من عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري بأمرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بأمر الله فاجر على بركة الله وأمر أن يلقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض وقال اسكني باذن الله فسكنت ووقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقة يا نار اسكني باذن الله تعالى فالقوها في النار فانطفأت في الحال وروى أن رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره فظن أن داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء رأى عمر وضع درته تحت رأسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال في نفسه أهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فأخرج الله أسدين من الارض فقصداه فخاف فألقى السيف فانتبه عمر وأسلم الرجل قال أهل السير لم يتفق لأحد من أول عهد آدم الى الآن ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات * وأما عثمان فعن أنس قال مررت في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالي أراكم تدخلون علي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت أوحي نزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل لما طعن بالسيف فأول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وروى أن جهجاها الغفاري عن

انتزع العصا من يده كسرها في ركبته فوقعت الاكلة في ركبته وأما علي صلوات الله عليه فروى أن واحدا من محبيه سرق وكان عبدا

عن قتادة فى قوله ولم يجعل له عوجا قيما قال أنزل الله الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما قال وفى بعض القرا آت ولكن جعله قيما والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله ابن عباس ومن قال بقوله فى ذلك لدلالة قوله ولم يجعل له عوجا فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذى أنزله الى محمد صلى الله عليه وسلم قيما مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت بل بعضه يصدق بعضا وبعضه يشهد لبعض لا عوج فيه ولا ميل عن الحق وكسرت العين من قوله عوجا لان العرب كذلك تقول فى كل اعوجاج كان فى دين أو فيما لا يرى شخصه قائما فيدرك عيانا منتصبا كالعوج فى الدين ولذلك كسرت العين فى هذا الموضع وكذلك العوج فى الطريق لانه ليس بالشخص المنتصب فأما ما كان من عوج فى الاشخاص المنتصبة قياما فان عينها تفتح كالعوج فى القناة والخشبة ونحوها وكان ابن عباس يقول فى معنى قوله ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له ملتبسا ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولم يجعل له عوجا قيما ولم يجعل له ملتبسا ولا خلاف أيضا بين أهل العربية فى أن معنى قوله قيما وان كان مؤخرا التقديم الى جنب الكتاب وقيل انما افتتح جل ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل وبالخبر عن انزال كتابه على رسوله اخبارا منه للمشركين من أهل مكة بأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء علموها اليهود من قريظة والنضير وأمروهم بمسئلتهموه عنها وقالوا ان أخبركم بها فهو نبى وان لم يخبركم بها فهو متقول فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواب عنها موعدا فأبطأ الوحى عنه بعض الابطاء وتأخر مجئ جبرائيل عليه السلام عنه عن ميعاده القوم فتحدث المشركون بأنه أخلفهم موعده وأنه متقول فأنزل الله هذه السورة جوابا عن مسائلهم وافتتح أولها بذكره وتكذيب المشركين فى أحدوثتهم التى تحدثوها بينهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس «فيما روى أبو جعفر الطبرى» قال بعثت قريش النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا انكم أهل التوراة وقد جئنا كم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالت لهم أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فان أخبركم بذلك فانه نبى فاتبعوه وان هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم غدا بما سألتم عنه ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه

أسود فأتى به الى على عليه السلام فقال أسرقت قال نعم فقطع يده فانصرف من عند على رضى الله عنه فلقيه سلمان الفارسى وابن الكواء فقال ابن الكواء من قطع يدك قال أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول (١٢٧) وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا أمدحه وقد قطع يدى بحق وخلصنى من النار فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا رضى الله عنه فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى * وأما سائر الصحابة فعن محمد بن المنذر أنه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التى كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحنى اللوح فى أجمة فيها أسد فخرج الى الأسد فقلت يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم ودلنى على الطريق ثم همهم فظننت أنه يودعنى ورجع وروى ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا آخر من الانصار خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب من الليل قطع وكانت ليلة مظلمة وفى يد كل واحد منهما عصاه فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا فى ضوئها فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى فى ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان فى عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف فى العسكر فرأى رجلا على فرس ومعه زق من خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى أصحابه وقال أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا فاذا هى خل فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقائع المشهورة أن خالد بن الوليد أكل كفا من السم على اسم الله وما ضره وعن ابن عمر أنه كان فى بعض أسفاره فلقى جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شئ وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى فى غزاة فقال

فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال ابن اسحق فبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب يعنى محمدا انك رسولى فى تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ولم يجعل له عوجا قيما أى معتدلا لا اختلاف فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا﴾ يقول تعالى ذكره أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه لينذركم أيها الناس بأسا من الله شديدا وعنى بالبأس العذاب العاجل والنكال الحاضر والسطوة وقوله من لدنه يعنى من عند الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق لينذر بأسا شديدا عاجل عقوبة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة من لدنه أى من عند ربك الذى بعثك رسولا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من لدنه أى من عنده فان قال قائل فأين مفعول قوله لينذر فان مفعوله محذوف اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه من ذكره وهو مضمر متصل بينذر قبل البأس كأنه قيل لينذركم بأسا كما قيل يخوف أولياءه انما هو يخوفكم أولياءه وقوله ويبشر المؤمنين يقول ويبشر المصدقين الله ورسوله الذين يعملون الصالحات وهو العمل بما أمر الله بالعمل به والانتهاء عما نهى الله عنه أن لهم أجرا حسنا يقول ثوابا جزيلا لهم من الله على ايمانهم بالله ورسوله وعملهم فى الدنيا الصالحات من الاعمال وذلك الثواب هو الجنة التى وعدها المتقون وقوله ماكثين فيه أبدا خالدين لا ينتقلون عنه ولا ينقلون ونصب ماكثين على الحال من قوله أن لهم أجرا حسنا فى هذه الحال فى حال مكثهم فى ذلك الأجر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا أى فى دار خلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به عن الله وعملوا بما أمرتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا﴾ يقول تعالى ذكره ويحذر أيضا محمد القوم الذين قالوا اتخذ الله ولدا من مشركى قومه وغيرهم بأس الله وعاجل نقمته وآجل عذابه على قيلهم ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعنى قريشا فى قولهم انما نعبد الملائكة وهن بنات الله وقولهم ما لهم به من علم يقول ما لقائلى هذا القول يعنى قولهم اتخذ الله ولدا به يعنى بالله من علم والهاء فى قوله به من ذكر الله وانما معنى الكلام ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله انه لا يجوز أن يكون له ولد من علم فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك وقوله ولا لآبائهم يقول ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذى هم عليه اليوم كان لهم بالله وبعظمته علم وقوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدنيين والكوفيين والبصريين كبرت كلمة بنصب كلمة بمعنى كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة على التفسير كما يقال نعم رجلا عمرو ونعم الرجل رجلا قام ونعم رجلا قام وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول

بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفى كتب الد وفيه من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما فى كتاب تذكرة الاولياء ومن أرادها فليطالعها * وأما المعقول فهو أن الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد فى طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كل ما أمره الله فأى بعد فى أن يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة مراد العبد وأيضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لأجل أن الله تعالى ليس أهلا له فذلك قدح فى قدرته واما لأن المؤمن ليس أهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته أشرف العطايا وأعزها واذا لم يبخل الفياض بالاشرف فلأن لا يبخل بالأدون أولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتيها العلمية والعملية تصرفت فى أجسام العالم السفلى كما تتصرف فى جسده قالت وذلك أن النفس نور ولا يزال يتزايد نورانيته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليه حتى ينبسط ويقوى على اثارة غيره والتصرف فيه والوصول الى مثل هذا المقام هو المعنى بقول على بن أبى طالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات أن ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبى لبطلت هذه الدلالة وأجيب بالفرق بين المعجز والكرامة بأن المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وأيضا النبى يدعى المعجزة ويقطع بها والولى اذا ادعى الكرامة قد يقطع بها وأيضا أنه يجب نفى المعارضة عن المعجزة ولا يجب

نعت كلمة لانهاقد مضى أكبرها كلمة كما قال جل ثناؤه وساءت مرتفقا وقال هي في النصب مثل قول الشاعر

واقد علمت اذا اللقاح تروحت * هدج الرئال تكبهن شمالا

أى تكبهن الرياح شمالا فكأنه قال كبرت تلك الكلمة وذكر عن بعض المكيين أنه كان يقرأ ذلك كبرت كلمة رفعا كما يقال عظم قولك وكبر شأنك واذا قرئ ذلك كذلك لم يكن في قوله كبرت كلمة مضمر وكان صفة للكلمة والصواب من القراءة في ذلك عندى قراءة من قرأ كبرت كلمة نصبا لاجماع الحجة من القراء عليها فتأويل الكلام عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا اتخذ الله ولدا والملائكة بنات الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كبرت كلمة تخرج من أفواههم قولهم ان الملائكة بنات الله وقوله ان يقولون الا كذبا يقول عز ذكره ما يقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولدا بقيلهم ذلك الا كذبا وفرية افتروها على الله * القول في تأويل قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) يعنى تعالى ذكره بذلك فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تمردا منهم على ربهم ان هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليك فيصدقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا ووجدا بادبارهم عنك واعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الايمان بك يقال منه بخع فلان نفسه يبخعها بخعا وبخوعا ومنه قول ذى الرمة

الا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشئ نحته عن يديه المقادر

يريد نحته فخفف * وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله باخع قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلعلك باخع نفسك يقول قاتل نفسك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وأما قوله أسفا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه فلعلك باخع نفسك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث غضبا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا قال غضبا * وقال آخرون جزعا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد في قول الله أسفا قال جزعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه حزنا عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أسفا قال حزنا عليهم وقد بينا معنى الاسف فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وهذه معاتبة من الله عز ذكره على وجده بمباعدة قومه اياه فيما دعاهم اليه من الايمان بالله والبراءة من الآلهة والانداد وكان بهم رحيما * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم أى لا تفعل وقوله انا جعلنا ما على الأرض زينة لها يقول عز ذكره انا جعلنا ما على الارض زينة للارض لنبلوهم أيهم أحسن عملا يقول لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن

نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولى دعوى الولاية وأما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبى مأمور بالاظهار لضرورة الدعوة والولى ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار والفخر المنهى عنهما فانه يفرق بينهما بأن المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشئ من الدعاوى قالوا قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله بأداء الفرائض لا يحصل له شئ من الكرامات فالمتقرب اليه بأداء النوافل أولى بأن لا يحصل له ذلك وأجيب بأن الكلام في المتقرب اليه بأداء الفرائض والنوافل جميعا قالوا قال تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس فالقول بطى الارض للاولياء طعن في الآية وطعن في محمد صلى الله عليه وسلم حين لم يصل من المدينة الى مكة الا في أيام وأجيب بأن الآية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الأولياء أحوال نادرة فتصير كالمستثناة من ذلك العموم وان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قاصرا عن رتبة بعض الأولياء ولكنه لم يتفق له ذلك أو لعله اتفق له في غير ذلك السفر قالوا اذا ادعى الولى على انسان درهما فان لم يطالبه بالبينة كان تاركا لقوله البينة على المدعى وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع

عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ما على الارض زينة لها قال ما عليها من شئ حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا جعلنا ما على الأرض زينة لها ذكر لنا أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف
تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وأما قوله لنبلوهم أيهم أحسن عملا فان أهل التأويل قالوا في
تأويله نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عاصم
العسقلاني قال لنبلوكم أيكم أحسن عملا قال أترك لها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا اختبارا لهم أيهم أتبع لأمري
وأعمل بطاعتي وقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يقول عز ذكره وانا لمخربوها بعد عمارتناها
بما جعلنا عليها من الزينة فمصيروها صعيدا جرزا لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس وقد قيل انه أريد
بالصعيد في هذا الموضع المستوى بوجه الارض وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك * وبنحو الذي قلنا
في ذلك وبمعنى الجرز قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال
ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يقول يهلك
كل شئ عليها ويبيد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صعيدا جرزا قال بلقعا
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا والصعيد الارض التي
ليس فيها شجر ولا نبات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا يعني الارض ان ما عليها لفان وبائد وان المرجع لالي فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها
حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله صعيدا جرزا قال الجرز الارض التي
ليس فيها شئ ألا ترى أنه يقول أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا قال والجرز
لا شئ فيها لا نبات ولا منفعة والصعيد المستوى وقرأ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال مستوية يقال
جرزت الارض فهي مجروزة وجرزها الجراد والنعم وأرضون أجراز اذا كانت لا شئ فيها ويقال
للسنة المجدبة جرز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها قال الراجز

* قد جرفتهن السنون الاجراز * يقال أجرز القوم اذا صارت أرضهم جرزا وجرزوا هم
أرضهم اذا أكلوا نباتها كله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف
والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أم حسبت يا محمد أن
أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من
العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك
وغيرهم من سائر عبادي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا قال محمد بن عمرو في حديثه قال ليسوا عجبا بأعجب آياتنا وقال الحرث في حديثه بقولهم أعجب
آياتنا ليسوا أعجب آياتنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

عن

على أنه لا يكذب ومع الدليل القاطع
لا يجوز العمل بالظن والجواب
مثل ما مر من أن النادر لا يحكم
به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على
بعض الأولياء لجاز على كلهم
واذا كثرت الكرامات انقلب خرق
العادة وفقالها وأجيب بأن
المطيعين فيهم قلة لقوله تعالى وقليل
من عبادي الشكور والولي فيهم
أعز من الكبريت الأحمر واتفاق
الكرامة للولي أيضا على سبيل
الندرة فكيف يصير ما يظهر عليه
معتادا * في الفرق بين الكرامات
والاستدراج هو أن يعطيه الله
كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه
وضلاله وقد يسمى مكرا وكيدا
وضلالا وإملاء والفرق أن صاحب
الكرامة لا يستأنس بها ولكنه
يخاف سوء الخاتمة وصاحب
الاستدراج يسكن الى ما أوتي
ويشتغل به وانما كان الاستئناس
بالكرامات قاطعا للطريق لانه
حينئذ اعتقد أنه مستحق لذلك وأن
له حقا على الخالق فيعظم شأنه في
عينه ويفتخر بها لا بالمكرم ولا
ريب أن الاعجاب مهلك ولهذا وقع
ابليس فيما وقع والعبد الصالح هو
الذي يزداد تذلله وتواضعه بين يدي
مولاه ما ازداد آثار الكرامة والولاية
عليه قرأ المقرئ في مجلس الاستاذ
أبي علي الدقاق اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال
علامة رفع العمل أن لا يبقى منه في
نظرك شئ فان بقي فهو غير مرفوع
واختلف في أن الولي هل يعرف
كونه وليا قال الاستاذ أبو بكر بن

عن مجاهد قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا كانوا يقولون هم
عجب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم حسبت أن أصحاب
الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا
أي وما قدروا من قدر فيما صنعت من أمر الخلائق وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم
من ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من
آياتنا عجبا فان الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن
سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أم حسبت أن
أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا يقول الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل
من شأن أصحاب الكهف والرقيم وانما قلنا ان القول الاول أولى بتأويل الآية لان الله عز وجل
أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا في الرواية عن
ابن عباس اذ سألوه عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقه فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو
أوكد عليهم في الحجة مما سألوا عنه وزعموا أنهم يؤمنون عند الاجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم
الله على رسوله من النعم وأما الكهف فانه كهف الجبل الذي أوى اليه القوم الذين قص الله شأنهم
في هذه السورة وأما الرقيم فان أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به فقال بعضهم هو اسم قرية أو واد
على اختلاف بينهم في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن
عبد الأعلى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال يزعم
كعب أن الرقيم القرية حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي
عن أبيه عن ابن عباس أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم قال الرقيم واد بين عسفان وأيلة
دون فلسطين وهو قريب من أيلة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي
عن عطية قال الرقيم واد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم
حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كنا نحدث أن الرقيم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة
عن ابن عباس في قوله الرقيم قال يزعم كعب أنها القرية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الرقيم قال يقول بعضهم
الرقيم كتاب تبيانهم ويقول بعضهم هو الوادي الذي فيه كهفهم حدثت عن الحسين بن الفرج
قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول أما الكهف فهو غار
الوادي والرقيم اسم الوادي * وقال آخرون الرقيم الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال
ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف
والرقيم يقول الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا أبي عن ابن قيس
عن سعيد بن جبير قال الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على
باب الكهف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الرقيم كتاب ولذلك الكتاب
خبر فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعما فيه وقرأ وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون
وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم * وقال آخرون بل هو اسم جبل أصحاب الكهف ذكر من
قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس

فورك لا يجوز لان ذلك يوجب
الأمن الآن أولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والأمن ينافي
اعتقاد قهارية الله تعالى ويقتضي
زوال العبودية الموجب لسخط الله
وكيف يأمن الولي وقد وصف الله
عباده المخلصين بقوله يدعونه رغبا
ورهبا وأيضا ان طاعة العباد
ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق
وعداوته لانها محدثة متناهية
وصفاته قديمة غير متناهية والمحدث
المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي
فقد يكون العبد في عين المعصية
ونصيبه في الازل هو المحبة وقد
يكون في عين الطاعة ونصيبه
المغضبة ولهذا لا يحصل الجزم
بكيفية الخاتمة قيل من هنا قال
سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن
كانت محبته لا لعلة امتنع أن يصير
عدوا لعلة المعصية وبالعكس ومحبة
الحق وعداوته من الاسرار التي
لا يطلع عليها الا الله أو من أطلعه
عليها الله وقال الاستاذ أبو علي
الدقاق وتلميذه أبو القاسم القشيري
ان للولاية ركنين أحدهما انقياد
للشريعة في الظاهر والثاني كونه
في الباطن مستغرقا في نور الحقيقة
واذا حصل هذان الامران وعرف
الانسان ذلك عرف لا محالة كونه
وليا وعلامته أن يكون فرحه
بطاعة الله واستئناسه بذكر الله
قلت لا ريب أن مداخل الاغلاط
في هذا الباب كثيرة ودون الوصول
الى عالم الربوبية حجب وأستار من
نيران وأنوار فالجزم بالولاية خطر

الرقيم الجبل الذى فيه الكهف «قال أبو جعفر» وقد قيل ان اسم ذلك الجبل بنجلوس حدثنا
بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن
ابن عباس وقد قيل ان اسمه بناجلوس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج
عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن عن شعيب الجبائى أن اسم جبل الكهف بناجلوس
واسم الكهف حيزم والكلب حمران وقد روى عن ابن عباس فى الرقيم ما حدثنا به الحسن
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كل القرآن
أعلمه الا حنانا والأواه والرقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدرى ما الرقيم
أكتاب أم بنيان * وأولى هذه الاقوال بالصواب فى الرقيم أن يكون معنيا به لوح أو حجر أو شئ
كتب فيه كتاب وقد قال أهل الاخبار ان ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم
حين أووا الى الكهف ثم قال بعضهم رفع ذلك اللوح فى خزانة الملك وقال بعضهم بل جعل على باب
كهفهم وقال بعضهم بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم وانما الرقيم فعيل أصله مرقوم
ثم صرف الى فعيل كما قيل للمجروح جريح وللمقتول قتيل يقال منه رقمت كذا وكذا اذا كتبته
ومنه قيل للرقم فى الثوب رقم لانه الخط الذى يعرف به ثمنه ومن ذلك قيل للحية أرقم لما فيه من
الآثار والعرب تقول عليك بالرقة ودع الضفة بمعنى عليك برقة الوادى حيث الماء ودع الضفة
الجانبة والضفتان جانبا الوادى وأحسب أن الذى قال الرقيم الوادى ذهب به الى هذا أعنى به الى
رقة الوادى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من
لدنك رحمة وهئ لنا من أمرنا رشدا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أم حسبت
أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا حين أوى الفتية أصحاب الكهف الى كهف الجبل
هربا بدينهم الى الله فقالوا اذ أووه ربنا آتنا من لدنك رحمة رغبة منهم الى ربهم فى أن يرزقهم من
عنده رحمة وقوله وهئ لنا من أمرنا رشدا يقول وقالوا يسر لنا بما نبتغى وما نلتمس من رضاك
والهرب من الكفر بك ومن عبادة الأوثان التى يدعوننا اليها قومنا رشدا يقول سدادا الى العمل
بالذى تحب وقد اختلف أهل العلم فى سبب مصير هؤلاء الفتية الى الكهف الذى ذكره الله فى
كتابه فقال بعضهم كان سبب ذلك أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن دعاهم
الى عبادة الاصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه فى
الكهف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو فى قوله
أصحاب الكهف والرقيم كانت الفتية على دين عيسى على الاسلام وكان ملكهم كافرا وقد أخرج
لهم صنما فأبوا وقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا قال
فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله فقال أحدهم انه كان لأبى كهف يأوى فيه غنمه فانطلقوا بنا نكن
فيه فدخلوه وفقدوا فى ذلك الزمان فطلبوا فقيل دخلوا هذا الكهف فقال قومهم لا نريد لهم عقوبة
ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف فبنوه عليهم ثم ردموه ثم ان الله بعث عليهم ملكا على
دين عيسى ورفع ذلك البناء الذى كان ردم عليهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم فقالوا لبثنا يوما
أو بعض يوم حتى بلغ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة وكان ورق ذلك الزمان كبارا فأرسلوا
أحدهم يأتيهم بطعام وشراب فلما ذهب ليخرج رأى على باب الكهف شيأ أنكره فأراد أن يرجع
ثم مضى حتى دخل المدينة فأنكر ما رأى ثم أخرج درهما فنظروا اليه فأنكروه وأنكروا الدرهم
وقالوا من أين لك هذا هذا من ورق غير هذا الزمان واجتمعوا عليه يسألونه فلم يزالوا به حتى انطلقوا به

الى

والقضاء بالجملة عسر والله تعالى
أعلم * قال المفسرون ان اليهود حين
قالت لقريش سلوا محمدا عن
مسائل ثلاث عن الروح وعن
أصحاب الكهف وعن ذى القرنين
فسألوه قال صلى الله عليه وسلم
أجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس
الوحى عنه خمس عشرة ليلة وقيل
أربعين يوما ثم نزل قوله (ولا تقولن
لشئ انى فاعل ذلك غدا) أى لاجل
شئ تعزم عليه ليس فيه بيان انه
ماذا (الا أن يشاء الله) فقال العلماء
انه لا يمكن أن يكون من تمام قوله
انى فاعل اذ يصير المعنى الا أن يشاء
الله أن لا أفعله أى الا أن تعرض
مشيئة الله دون فعله وهذا ليس منهيا
عنه فالصواب أن يقال انه من تمام
قوله ولا تقولن ثم ان قدر المراد الا
أن يشاء الله ان تقول انى فاعل ذلك
غدا أى فيما يستقبل من الزمان
ولم يرد الغد بعينه وقوله الا أن يشاء
الله أن تقوله بأن يأذن لك فى ذلك
الاخبار كان معنى صحيحا ولكنه
لا يكون موافقا لسبب النزول
فالمعنى الموافق هو أن يكون قوله
هذا فى موضع الحال أى لا تقولنه
الا متلبسا بأن يشاء الله يعنى قائلا
ان شاء الله وهذا نهى تأديب لنبيه
صلى الله عليه وسلم لان الانسان اذا
قال سأفعل الفعل الفلانى غدا لم
يبعد أن يموت قبل مجئ الغد أو
يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل ان
شاء الله صار كاذبا فى هذا الوعد
والكذب منهى وجوز فى الكشاف
أن يكون ان شاء الله فى معنى كلمة
تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا قال

الى ملكهم وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون فنظروا فى ذلك اللوح وسأله الملك فأخبره
بأمره ونظروا فى الكتاب متى فقد فاستبشروا به وبأصحابه وقيل له انطلق بنا فأرنا أصحابك فانطلق
وانطلقوا معه ليريهم فدخل قبل القوم فضرب على آذانهم فقال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن
عليهم مسجدا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال مرج أمر أهل الانجيل
وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم على ذلك
بقايا على أمر عيسى بن مريم متمسكون بعبادة الله وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك
من الروم يقال له دقينوس كان قد عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام
على دين عيسى بن مريم كان ينزل فى قرى الروم فلا يترك فى قرية ينزلها أحدا ممن يدين بدين عيسى
ابن مريم الا قتله حتى يعبد الاصنام ويذبح للطواغيت حتى نزل دقينوس مدينة الفتية أصحاب
الكهف فلما نزلها دقينوس كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل وجه وكان
دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا له واتخذ شرطا من الكفار من أهلها
فجعلوا يتبعون أهل الايمان فى أماكنهم التى يستخفون فيها فيستخرجونهم الى دقينوس
فيقدمهم الى المجامع التى يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح
للطواغيت فمنهم من يرغب فى الحياة ويفظع بالقتل فيفتتن ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل
فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون
ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسادهم فيعلق على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب
من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من كفر فترك ومنهم من صلب على دينه فقتل
فلما رأى ذلك الفتية أصحاب الكهف حزنوا حزنا شديدا حتى تغيرت ألوانهم ونحلت أجسامهم
واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة والتحميد والتسبيح والتهليل والتكبير والبكاء والتضرع الى
الله وكانوا فتية أحداثا أحرارا من أبناء أشراف الروم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح
الورق قال ابن عباس فكانوا كذلك فى عبادة الله ليلهم ونهارهم يبكون الى الله ويستغيثونه وكانوا
ثمانية نفر مكسلمينا وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملك عنهم ومحسميلنينا ويمليخا ومرطوس
وكشوطوش وبيرونس ودينموس ويطونس قالوس فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية
لعبادة الاصنام والذبح للطواغيت بكوا الى الله وتضرعوا اليه وجعلوا يقولون اللهم رب السموات
والارض لن ندعو من دونك الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع
عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك ومنعوا عبادتك الا مستخفين بذلك حتى يعبدوك
علانية فبينما هم على ذلك عرفهم عرفاؤهم من الكفار ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الاصنام
والذبح للطواغيت وذكروا أمرهم وكانوا قد خلوا فى مصلى لهم يعبدون الله فيه ويتضرعون اليه
ويتوقعون أن يذكروا لدقينوس فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مصلاهم فوجدوهم
سجودا على وجوههم يتضرعون ويبكون ويرغبون الى الله أن ينجيهم من دقينوس وفتنته فلما
رآهم أولئك الكفرة من عرفائهم قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم
فرفعوا أمرهم الى دقينوس وقالوا تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء فتية من أهل بيتك يسخرون
منك ويستهزؤن بك ويعصون أمرك ويتركون آلهتك ويعمدون الى مصلى لهم ولأصحاب عيسى
ابن مريم يصلون فيه ويتضرعون الى الههم واله عيسى وأصحاب عيسى فلم تتركهم يصنعون هذا

أهل السنة فى صحة الاستثناء بل فى
وجوبه دلالة على أن ارادة الله تعالى
غالبة وارادة العبد مغلوبة
ويؤكده أنه اذا قال المديون القادر
على أداء الدين والله لأقضين هذا
الدين غدا ثم قال ان شاء الله فاذا جاء
الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما
ذاك الا لأن الله ما شاء ذلك الفعل
مع أنه أمره بأداء الدين وانما يقع
الطلاق فى قول الرجل لامرأته
أنت طالق ان شاء الله لان مشيئة
الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف
العلم بالمشيئة على العلم بوقوع الطلاق
وبالعكس واستدل القائلون بأن
المعدوم شئ بقوله ولا تقولن لشئ
وذلك أن الشئ الذى سيفعله غدا
معدوم مع أنه سماه شيأ فى الحال
وأجيب بأنه مجاز كقوله أعصر
خمرا (واذكر ربك) أى مشيئة
ربك (اذا نسيت) كلمة الاستثناء
ثم تنبهت لها وللعلماء فى مدة
النسيان الى الذكر خلاف فعن
ابن عباس يستثنى ولو بعد سنة
ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير
ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو
سنة وهو قول ابن عباس بعينه
وعن طاوس هو استثناء ما دام فى
مجلسه وعن عطاء يستثنى على
مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة
الفقهاء لا أثر له فى الاحكام ما لم يكن
موصولا قالوا ان الآيات الكثيرة
دلت على وجوب الوفاء بالعهد
والعقد فاذا أتى بالعهد وجب عليه
الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا الدليل
فيما اذا كان الاستثناء متصلا لابناء
على أن المستثنى منه مع الاستثناء

وهم بين ظهرانى سلطانك وملكك وهم ثمانيـة نفر رئيسهم مكسلمينا وهم أبناء عظماء المدينة فلما قالوا ذلك لدقينوس بعث اليهم فأتى بهم من المصلى الذى كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع معفرة وجوههم فى التراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الارض وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لسراة أهل مدينتكم ولمن حضر منا من الناس اختاروا منى اما أن تذبحوا للآلهة كما ذبح الناس واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا ان لنا الها نعبده ملأ السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذى تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد الله ربنا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت وعبادتها فلن نقر بها أبدا ولسنا بكائنين عبادا للشياطين ولا جاعلى أنفسنا وأجسادنا عبادا لها بعد اذ هدانا الله له رهبتك أو فرقا من عبودتك اصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقينوس مثل ما قال قال فلما قالوا ذلك له أمر بهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال أما اذ فعلتم ما فعلتم فانى سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتى وبطانتى وأهل بلادى وسأفرغ لكم فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعنى أن أعجل ذلك لكم الا أنى أراكم فتيانا حديثة أسنانكم ولا أحب أن أهلككم حتى أستأنى بكم وأنا جاعل لكم أجلا تذكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقينوس مكانه الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبا منها لبعض ما يريد من أمره فلما رأى الفتية دقينوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم فأتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له بنجلوس فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم فأخذ من بيت أبيه نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب لهم حتى أتوا ذلك الكهف الذى فى ذلك الجبل فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله تعالى والحياة التى لا تنقطع وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له يمليخا فكان على طعامهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا من أهلها وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم فكان يمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويتسمع ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشئ فى ملأ المدينة ثم يرجع الى أصحابه بطعامهم وشرابهم ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس فلبثوا بذلك ما لبثوا ثم قدم دقينوس الجبار المدينة التى منها خرج الى مدينته وهى مدينة أفسوس فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان فتخبؤا فى كل مخبا وكان يمليخا بالمدينة يشترى لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار دقينوس قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا فزعا شديدا ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان يمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا من هذا الطعام الذى جئتكم به وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حذرا وتخوفا على أنفسهم فطعموا منه وذلك مع غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا على حزن منهم مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من

وأداته كالكلام الواحد واذا كان منفصلا لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى أصل الدليل وقيل أراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء وفيه بعث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان فى بعض الامور لتذكر المنسى أو اذكره اذا تركت بعض ما أمرك به وليس لهذين القولين شديد ارتباط بما قبل وكذا قول من حمله على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها واختلفوا فى المشار اليه بقوله (لأقرب من هذا) فالظاهر عند صاحب الكشاف أن المراد اذا نسيت شيأ فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربى أن يهدينى لشئ آخر بدل هذا المنسى أقرب منه (رشدا) وأدنى خيرا ومنفعة وقيل ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره أحسن فقوله هذا اشارة الى الترك وأقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتينى من البينات والحجج على أنى نبى صادق ما هو أعظم فى الدلالة وأقرب رشدا من نبئهم وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالمغيبات ما هو أعظم وأدل عن قتادة أن قوله سبحانه ولبثوا فى كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله أعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على أنه بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا

الخبر فبيناهم على ذلك اذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عددا وكلبهم باسط ذراعيه بباب
الكهف فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون مصدقون بالوعد ونفقتهم موضوعة عندهم
فلما كان الغد فقدهم دقينوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لعظماء أهل المدينة لقد ساءنى شأن هؤلاء
الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يظنون أن بى غضبا عليهم فيما صنعوا فى أول شأنهم لجهلهم ما جهلوا من
أمرى ما كنت لأجهل عليهم فى نفسى ولا آخذ أحدا منهم بشئ ان هم تابوا وعبدوا آلهتى ولو
فعلوا لتركتهم وما عاقبتهم بشئ سلف منهم فقال له عظماء أهل المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما
فجرة مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم وقد كنت أجلتهم أجلا وأخرتهم عن العقوبة التى
أصبت بها غيرهم ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا
وكانوا منذ انطلقت يبذرون أموالهم بالمدينة فلما علموا بقدومك فروا فلم يروا بعد فان أحببت أن
تؤتى بهم فأرسل الى آبائهم فامتحنهم واشدد عليهم يدلوك عليهم فانهم مختبئون منك فلما قالوا ذلك
لدقينوس الجبار غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم وقال أخبرونى عن
أبنائكم المردة الذين عصوا أمرى وتركوا آلهتى ائتونى بهم وأنبئونى بمكانهم فقال له آباؤهم أما نحن
فلم نعص أمرك ولم نخالفك قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم فلم تقتلنا فى قوم مردة قد ذهبوا بأموالنا
فبذروها وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم انطلقوا فارتقوا فى جبل يدعى بنجلوس وبينه وبين المدينة
أرض بعيدة هربا منك فلما قالوا ذلك خلى سبيلهم وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية فألقى الله عز وجل
فى نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم كرامة من الله أراد أن يكرمهم ويكرم أجساد الفتية فلا
يجول ولا يطوف بها شئ وأراد أن يحييهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم
أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فأمر دقينوس بالكهف أن يسد عليهم
وقال دعوا هؤلاء الفتية المردة الذين تركوا آلهتى فليموتوا كما هم فى الكهف عطشا وجوعا وليكن
كهفهم الذى اختاروا لأنفسهم قبرا لهم ففعل بهم ذلك عدو الله وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون
ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشاه الله
ما غشاهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقينوس
يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس فأتمرا أن يكتبا شأن الفتية أصحاب
الكهف أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم وقصة خبرهم فى لوحين من رصاص ثم يصنعا له تابوتا
من نحاس ثم يجعلا اللوحين فيه ثم يكتبا عليه فى فم الكهف بين ظهرانى البنيان ويختما على
التابوت بخاتمهما وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح
عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ففعلا ثم بنيا عليه فى البنيان فبقى دقينوس وقرنه الذين كانوا
منهم ما شاء الله أن يبقوا ثم هلك دقينوس والقرن الذى كانوا معه وقرون بعده كثيرة وخلفت
الخلوف بعد الخلوف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن
عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم وأهل شرفهم فخرجوا
فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد فقال رجل منهم هو أسنهم انى لأجد فى نفسى شيئا ما أظن أن
أحدا يجده قالوا ماذا تجد قال أجد فى نفسى أن ربى رب السموات والارض وقالوا نحن نجد فقاموا
جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا فاجتمعوا أن
يدخلوا الكهف وعلى مدينتهم اذ ذاك جبار يقال له دقينوس فلبثوا فى الكهف ثلثمائة سنين
وازدادوا تسعا رقودا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبى رواد عن عبد الله

والمراد من قوله قل الله أعلم أن
لا تتجاوزوا الحق الذى أخبر الله به
ولا تلتفتوا الى ما سواه من اختلافات
أهل الاديان نظيره قوله قل ربى
أعلم بعدتهم بعد قوله سبعة وثامنهم
كلبهم قال النحويون سنين عطف
بيان لثلثمائة لان مميز مائة وأخواتها
مجرور ومفرد وقيل فيه تقديم
وتأخير أى لبثوا سنين ثلثمائة ومن
قرأ بالاضافة فعلى وضع الجميع
موضع الواحد فى التمييز كما مر فى
قوله وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا
أمما قوله (وازدادوا تسعا) أى
تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون
أن يقول ولبثوا ثلثمائة سنة
وتسع سنين فعن الزجاج المراد
ثلثمائة بحساب السنين الشمسية
وثلثمائة وتسع بالسنين القمرية
وهذا شئ تقريبى وقيل انهم لما
استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم
من الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاءهم
فى النوم بعد ذلك تسع سنين ثم أكد
قوله (الله أعلم بما لبثوا) بقوله (له
غيب السموات والارض) أى ليس
لغيره ما خفى فيهما من أحوالهما
وأحوال سكانهما وهو مختص بذلك
ثم زاد فى المبالغة فجاء بما دل على
التعجب من ادراكه للمبصرات
والمسموعات والضمير فى قوله (ما لهم
لاهل السموات والارض وفيه بيان
لكمال قدرته وأن الكل تحت قهره
وتسخيره وأنه لا يتولى أمورهم غيره
(ولا يشرك فى حكمه) وقضائه قبل
أصحاب الكهف (أحدا) منهم ومن
قرأ لا تشرك على النهى فهو
معطوف على لا تقولن والمراد أن

ابن عبيد بن عمير قال كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مطوقين مسوّرين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدون وقذف الله في قلوب الفتية الايمان فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر ايمان بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك منه فجاء حتى جلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا حتى جلسوا اليهما فاجتمعوا فقال بعضهم ما جمعكم وقال آخر بل ما جمعكم وكل يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج منكم فتيان فيخلوا فيتواثقا أن لا يفشي واحد منهما على صاحبه ثم يفشي كل واحد منهما لصاحبه أمره فانا نرجو أن نكون على أمر واحد فخرج فتيان منهم فتواثقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فأقبلا مستبشرين الى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد فاذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض أووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا فجعله الله عليهم رقدة واحدة فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قال وفقدهم قومهم فطلبوهم وبعثوا البرد فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان بن فلان وفلان بن فلان أبناء ملوكنا فقدناهم في عيد كذا وكذا في شهر كذا وكذا في سنة كذا وكذا في مملكة فلان بن فلان ورفعوا اللوح في الخزانة فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين وجاء قرن بعد قرن فلبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا * وقال آخرون بل كان مصيرهم الى الكهف هربا من طلب سلطان كان طلبهم بسبب دعوى جناية ادعى على صاحب لهم أنه جناها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني اسمعيل بن شروس أنه سمع وهب بن منبه يقول جاء حواري عيسى بن مريم الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى حماما فكان فيه قريبا من تلك المدينة فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يعرض عليه الاسلام وجعل يسترسل اليه وعلقه فتية من أهل المدينة وجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لي لا تحول بيني وبين الصلاة اذا حضرت فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحواري فقال أنت ابن الملك وتدخل معك هذه النكداء فاستحيا فذهب فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة فماتا في الحمام جميعا فأتى الملك فقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه هربا قال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع له وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم الكلب حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوه فقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله فترون رأيكم فضرب على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد رجل أن يدخل أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا

لا يسأل أحدا عما أخبره الله به من نبأ أصحاب الكهف واقتصر على بيانه وقيل الضمير في ما لهم لاصحاب الكهف أي أنه هو الذي حفظهم في ذلك النوم الطويل وتولى أمرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من دون الله من يتولى أمورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا في هذا الباب أقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله تعالى أنه (ليس لهم من دونه ولي) يمنع العقاب عنهم واعلم أن الناس اختلفوا في زمان لبث أصحاب الكهف في مكانهم فقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وأنه ذكرهم في التوراة فلهذا سألت اليهود عما سألوا وقيل دخلوا الكهف قبل المسيح وأخبر هو بخبرهم ثم لبثوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق أنهم دخلوا كهفهم بعد عيسى وقيل انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيامة وذكر أبو علي بن سينا في باب الزمان من كتاب الشفاء ان ارسطاطاليس الحكيم زعم أنه عرض لقوم من المتألهين حالة شبيهة بحالة أصحاب الكهف ثم قال أبو علي ويدل التاريخ على أنهم كانوا قبل أصحاب الكهف وأما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي المنجم أن الواثق أنفذه الى ملك الروم ليعرف أحوال أصحاب الكهف فوجهه مع طائفة الى ذلك الموضع قال وان الرجل

ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ يعني جل ثناؤه بقوله فضربنا على آذانهم في الكهف فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف أي ألقينا عليهم النوم كما يقول القائل لآخر ضربك الله بالفالج بمعنى ابتلاه الله به وأرسله عليه وقوله سنين عددا يعني سنين معدودة ونصب العدد بقوله فضربنا وقوله ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى يقول ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أووا الى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم لينظر عبادي فيعلموا بالبحث أى الطائفتين اللتين اختلفا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا أحصى لما لبثوا أمدا يقول أصوب لقدر لبثهم فيه أمدا ويعني بالأمد الغاية كما قال النابغة

الا لمثلك أو من أنت سابقه ٭ سبق الجواد اذا استولى على الأمد

وذكر أن الذين اختلفوا في ذلك من أمورهم قوم من قوم الفتية فقال بعضهم كان الحزبان جميعا كافرين وقال بعضهم بل كان أحدهما مسلما والآخر كافرا ذكر من قال كان الحزبان من قوم الفتية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أى الحزبين من قوم الفتية حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا يقول ما كان لواحد من الفريقين علم لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم وأما قوله أمدا فان أهل التأويل اختلفوا في معناه فقال بعضهم معناه بعيدا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لما لبثوا أمدا يقول بعيدا ٭ وقال آخرون معناه عددا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أمدا قال عددا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وفي نصب قوله أمدا وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على التفسير من قوله أحصى كأنه قيل أى الحزبين أصوب عددا لقدر لبثهم وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء والآخر أن يكون منصوبا بوقوع قوله لبثوا عليه كأنه قال أى الحزبين أحصى للبثهم غاية ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا الى الكهف بالحق يعني بالصدق واليقين الذي لا شك فيه انهم فتية آمنوا بربهم يقول ان الفتية الذين أووا الى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى يقول وزدناهم الى ايمانهم بربهم ايمانا وبصيرة بدينهم حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب من بين أظهرهم بدينهم الى الله وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه الى خشونة المكث في كهف الجبل وقوله وربطنا على قلوبهم يقول عز ذكره وألهمناهم الصبر وشددنا قلوبهم بنور الايمان حتى عرفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وربطنا على قلوبهم يقول بالايمان وقوله اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض يقول حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس فقالوا له اذ عاتبهم على

الموكل بذلك المقام فزعني من الدخول عليهم فدخلت فرأيت الشعور على صدورهم فعرفت أنه تمويه واحتيال وأن الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالأدوية المجففة الحافظة لابدان الموتى عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يملأ الخوار زمي رعبا من الاطلاع عليهم حصل القطع بأنهم ليسوا أصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكينا عن معاوية حين غزا الروم حصل ظن غالب بأنهم منهم والله تعالى أعلم ❊ التأويل الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب والعبد الحقيق من يكون حرا عن الكونين وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول أمتي أمتي يوم يقول كل نبي نفسي نفسي ولانه هو الذي صح نسبة العبودية كما ينبغي أطلق عليه اسم العبد مطلقا وقيد لسائر الأنبياء كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه كان خلقه القرآن قيل ولم يجعل له أي لقلبه عوجا لاستقر فيه القرآن ومن استقامة قلبه نال ليلة المعراج رتبة فأوحى الى عبده ما أوحى بلا واسطة جبرائيل ونال قلبه الاستقامة بأمر التكوين بقوله فاستقم كما أمرت أجرا حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يبالغ في المأمور به حتى ينهى عنه بالغ في الدعوة والشفقة على أمته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ في الانفاق الى أن أعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها

تركهم عبادة آلهته ربنا رب السموات والارض يقول قالوا ربنا مالك السموات والارض وما فيهما من شئ وآلهتك مربوبة وغير جائز لنا أن نترك عبادة الرب ونعبد المربوب لن ندعو من دونه الها يقول لن ندعو من دون رب السموات والارض الها لأنه لا اله غيره وان كل ما دونه فهو خلقه لقد قلنا اذا شططا يقول جل ثناؤه لئن دعونا الها غير اله السموات والارض لقد قلنا اذا بدعائنا غيره الها شططا من القول يعني غاليا من الكذب مجاوزا مقداره في البطول والغلو كما قال الشاعر

ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي * ويزعمن أن أودى بحقي باطلي

يقال منه قد أشط فلان في السوم اذا جاوز القدر وارتفع يشط اشطاطا وشططا فأما من البعد فانما يقال شط منزل فلان يشط شطوطا ومن الطول شطت الجارية تشط شطاطا وشطاطة اذا طالت * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله شططا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد قلنا اذا شططا يقول كذبا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لقد قلنا اذا شططا قال لقد قلنا اذا خطأ قال الشطط الخطأ من القول

القول في تأويل قوله تعالى {هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا} يقول عز ذكره مخبرا عن قيل الفتية من أصحاب الكهف هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه لولا يأتون عليهم بسلطان بين يقول هلا يأتون على عبادتهم اياها بحجة بينة وفي الكلام محذوف اجتزئ بما ظهر عما حذف وذلك في قوله لولا يأتون عليهم بسلطان بين فالهاء والميم في عليهم من ذكر الآلهة والآلهة لا يؤتى عليها بسلطان ولا يسئل السلطان عليها وانما يسئل عابدوها السلطان على عبادتهموها فمعلوم اذ كان الامر كذلك أن معنى الكلام لولا يأتون على عبادتهموها واتخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بين * وبنحو ما قلنا في معنى السلطان قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا يأتون عليهم بسلطان بين يقول بعذر بين وعنى بقوله عز ذكره فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ومن أشد اعتداء وأشرك بالله ممن اختلق فتخرص على الله كذبا وأشرك مع الله في سلطانه شريكا يعبده دونه ويتخذه الها

القول في تأويل قوله تعالى {واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا} يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل بعض الفتية لبعض واذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله آلهة وما يعبدون الا الله يقول واذا اعتزلتم قومكم والذين يعبدون من الآلهة سوى الله فما اذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفا بها على الهاء والميم التي في قوله واذ اعتزلتموهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله وهي في مصحف عبد الله وما يعبدون من دون الله هذا تفسيرها وأما قوله فأووا الى الكهف فانه يعني به فصيروا الى غار الجبل الذي يسمى بنجلوس ينشر لكم ربكم من رحمته يقول يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رميتم به من الكافر دقينوس وطلبه اياكم لعرضكم على الفتنة وقوله فأووا الى الكهف جواب لاذ كأن معنى الكلام واذ اعتزلتم أيها القوم قومكم فأووا الى الكهف كما يقال اذ أذنبت فاستغفر الله وتب اليه وقوله ويهيئ لكم من أمركم مرفقا يقول وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب خوفا منكم على أنفسكم ودينكم مرفقا ويعني بالمرفق ما ترتفقون به من شئ وفي المرفق من اليد وغير اليد لغتان كسر الميم وفتح الفاء وفتح الميم وكسر الفاء وكان الكسائي ينكر

كل البسط انا جعلنا ما على الأرض زينة أي زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطبائعهم وجعلناها محل ابتلاء المحب والسائل لنبلوهم أيهم أحسن عملا في تركها ومخالفة هوى نفسه طلبا لله ومرضاته ثم أخبر عن سعادة السادة الذين أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على المولى بقوله أم حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان في أمتك من هو أعجب حالا منهم فهم أصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم أووا الى الكهف خوفا من لقاء دقيانوس وفرارا منه فهؤلاء أووا الى الخلوة شوقا الى لقائي وفرارا الي وانهم طلبوا النجاة من شر والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا آتنا الآية فهؤلاء طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار المجازي للوصول الى نور الوجود الحقيقي فضربنا على آذان باطنهم وحواسهم الأخر في مدة الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن ألواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الدينية والانوار الالهية ليفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم أي أحييناهم بنا لنعلم أي الحزبين أصحاب الخلوة أم أصحاب السلوة أحصى أي أكثر فائدة وأتم عائدة لأمد لبثهم في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة وزدناهم هدى فانهم كانوا يريدون الايمان الغيبي فأغناهم ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذوا

فى مرفق الانسان الذى فى اليد الافتح الفاء وكسر الميم وكان الفراء يحكى فيهما أعنى فى مرفق الامر واليد اللغتين كلتيهما وكان ينشد فى ذلك قول الشاعر * بت أجافى مرفقا عن مرفق * ويقول كسر الميم فيه أجود وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول فى قوله من أمركم مرفقا شيأ ترتفقون به مثل المقطع ومرفقا جعله اسما كالمسجد ويكون لغة يقولون رفق يرفق مرفقا وان شئت مرفقا تريد رفقا ولم يقرأ * وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة ويهيئ لكم من أمركم مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأته عامة قراء العراق فى المصرين مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما قراء من أهل القرآن فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الامر وان كان كذلك فان الذى أختار فى قراءة ذلك ويهيئ لكم من أمركم مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء لان ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما فى العرب وكذلك ذلك فى كل ما ارتفق به من شئ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ يقول تعالى ذكره وترى الشمس يا محمد اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين يعنى بقوله تزاور تعدل وتميل من الزور وهو العوج والميل يقال منه فى هذه الارض زور اذا كان فيها اعوجاج وفى فلان عن فلان ازورار اذا كان فيه عنه اعراض ومنه قول بشر بن أبى حازم

يؤم بها الحداة مياه نخل * وفيها عن أبانين ازورار

يعنى اعراضا وصدا وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة تزاور بتشديد الزاى بمعنى تتزاور بتاءين ثم أدغم احدى التاءين فى الزاى كما قيل تظاهرون عليهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين تزاور بتخفيف التاء والزاى كانه عنى به تفاعل من الزور وروى عن بعضهم تزور بتخفيف التاء وتسكين الزاى وتشديد الراء مثل تحمر وبعضهم تزوار مثل تحمار والصواب من القول فى قراءة ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان أعنى تزاور بتخفيف الزاى وتزاور بتشديدها معروفتان مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما فى قراء الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وأما القراءتان الأخريان فانهما قراءتان لا أرى القراءة بهما وان كان لهما فى العربية وجه مفهوم لشذوذهما عما عليه قرأة الامصار * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله تزاور عن كهفهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين قال تميل حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس تزاور عن كهفهم ذات اليمين يقول تميل عنهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تميل عن كهفهم يمينا وشمالا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين يقول تميل ذات اليمين تدعهم ذات اليمين حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تزاور عن كهفهم ذات اليمين قال تميل عن كهفهم ذات اليمين حدثت عن يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم ولو أنهم لا يقلبون لأكلتهم

من دونه آلهة من الدنيا والهوى وترى الشمس اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هذا اخبار عن أصناف ألطافه بأضيافه وفيه اشارة الى أن نور ولايتهم يغلب نور الشمس ويرده عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا ورد النار تستغيث النار وتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وهم فى فجوة منه فى متسع وفراغ من ذلك النور يدفع عنهم كل ضر ويراعيهم عن بلى أجسادهم وثيابهم قلت يحتمل أن يراد أن شمس الروح أو المعرفة والولاية اذا طلعت من أفق الهداية وأشرقت فى سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا تنصرف فى حال خلوتهم الى أمر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا غربت أى سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو لا تلتفت همم أرواحهم الى أمر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل تنصرف عن الجهتين الى المولى وهم فى حال دفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم أيقاظا متصرفين فى أمور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لا بحل الحق لا لحظ النفس أو تحسبهم أيقاظا مشغولين بأمور الآخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود متصرفون فى أمور الدنيا لان الناس بهم يرزقون ويمطرون وفى قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى أنهم فى التسليم لمقلب القلوب فى الاحوال كلها كالميت بين يدى

الارض قال وذلك قوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال حدثني محمد بن سنان القزاز قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا محمد بن مسلم ابن أبي الوضاح عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال تزاور عن كهفهم تميل وقوله واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تعالى ذكره واذا غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم وانما معنى الكلام وترى الشمس اذا طلعت تعدل عن كهفهم فتطلع عليه من ذات اليمين لئلا تصيب الفتية لانها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم أو أشحبتهم واذا غربت تتركهم بذات الشمال فلا تصيبهم يقال منه قرضت موضع كذا اذا قطعته فجاوزته وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وأما الكوفيون فانهم يزعمون أنه المحاذاة وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قبلا ودبرا وحذوته ذات اليمين والشمال وقبلا ودبرا أى كنت بحذائه قالوا والقرض والحذو بمعنى واحد وأصل القرض القطع يقال منه قرضت الثوب اذا قطعته ومنه قيل للمقراض مقراض لانه يقطع ومنه قرض الفأر الثوب ومنه قول ذى الرمة

الى ظعن يقرضن أجواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

يعنى بقوله يقرضن يقطعن * وبنحو قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تذرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال واذا غربت تقرضهم تتركهم ذات الشمال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل تقرضهم قال تتركهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تدعهم ذات الشمال حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله تقرضهم ذات الشمال قال تدعهم ذات الشمال حدثني ابن سنان القزاز قال ثنا موسى بن اسمعيل قال أخبرنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن سالم عن سعيد بن جبير واذا غربت تقرضهم قال تتركهم وقوله وهم فى فجوة منه يقول والفتية الذين أووا اليه فى متسع منه يجمع فجوات وفجاء ممدودا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم فى فجوة منه يقول فى فضاء من الكهف قال الله ذلك من آيات الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير وهم فى فجوة منه قال المكان الداخل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وهم فى فجوة منه قال المكان الذاهب حدثني ابن سنان قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبي الوضاح عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير فى فجوة منه قال فى مكان داخل وقوله ذلك من آيات الله يقول عز ذكره فعلنا هذا الذى فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرناهم اذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين اذا هى طلعت وتقرضهم ذات الشمال اذا هى غربت مع كونهم فى المتسع من المكان بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم ولا تبلى على طول رقدتهم ثيابهم فتعفن على أجسادهم من حجج الله وأدلته على خلقه والادلة التى يستدل بها أولو الالباب على عظيم

قدرته

الغسال قيل فى الآية دلالة على أن المريد الذى يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل أمره فى ثلثمائة وتسع سنين والذى يربيه بواسطتهم تم أمره فى أربعينات معدودة ولهذا تكون ثمرة البساتين الزهر وثمرة الجبال (٢) وفى قوله وكلبهم باسط اشارة أن أكالب نفوسهم ناعمة معطلة عن الاعمال بها ربيت القلوب والارواح معنى ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التى اختصهم بها ويمكن أن يراد أن نفوسهم صارت بحيث تطيعهم فى جميع الاحوال وتحرسهم عما يضرهم ولملئت منهم رعبا لما شاهدت عليهم من آثار الانوار التى زدناهم وجلابيب الهيبة والعظمة التى ألبسناهم لبثنا يوما أو بعض يوم لأن أيام الوصال قصيرة فلما رأوا أنهم فى دهشة الوصال وحيرة الاحوال قالوا ربكم أعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وأنتم غيب عنكم فابعثوا أحدكم من العجب أنهم ما احتاجوا مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فلما رجعوا من عند الله الحق الى عبدية أنفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسمانى أزكى طعاما لما رجعوا الى العالم الجسمانى تعالوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك اللطفات بلطافة الاغذية الجسمانية وزكائها ولا يشعرن بكم أحدا فيه أن أرباب المعرفة والمحبة يجب أن يحترزوا

قدرته وسلطانه وأنه لا يعجزه شئ أراده وقوله من يهد الله فهو المهتد يقول عز وجل من يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه الى الحق التى جعلها أدلة عليه فهو المهتدى يقول فهو الذى قد أصاب سبيل الحق ومن يضلل يقول ومن أضله الله عن آياته وأدلته فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد فلن تجد له وليا مرشدا يقول فلن تجد له يا محمد خليلا وحليفا يرشده لاصابتها لان التوفيق والخذلان بيد الله يوفق من يشاء من عباده ويخذل من أراد يقول فلا يحزنك ادبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم اياك فانى لو شئت هديتهم فآمنوا وبيدى الهداية والضلال ※ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم لو رأيتهم فى حال ضربنا على آذانهم فى كهفهم الذى أووا اليه أيقاظا والأيقاظ جمع يقظ ومنه قول الراجز

ووجدوا اخوتهم أيقاظا ※ وسيف غياظ لهم غياظا

وقوله وهم رقود يقول وهم نيام والرقود جمع راقد كالجلوس جمع جالس والقعود جمع قاعد وقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال يقول جل ثناؤه ونقلب هؤلاء الفتية فى رقدتهم مرة للجنب الايمن ومرة للجنب الأيسر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وهذا التقليب فى رقدتهم الاولى قال وذكر لنا أن أبا عياض قال لهم فى كل عام تقليبتان حدثت عن يزيد قال أخبرنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال لو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الارض وقوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله بقوله وكلبهم باسط ذراعيه فقال بعضهم هو كلب من كلابهم كان معهم وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى وقال بعضهم (١) كان انسانا من الناس طباخا لهم تبعهم وأما الوصيد فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم هو الفناء ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بالوصيد يقول بالفناء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال بالفناء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالوصيد قال بالفناء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بالوصيد قال بالفناء قال ابن جريج يمسك باب الكهف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد يقول بفناء الكهف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله بالوصيد قال بفناء الكهف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بالوصيد قال يعنى بالفناء ※ وقال آخرون الوصيد الصعيد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد يعنى فناءهم ويقال الوصيد الصعيد حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن هرون عن عنترة عن سعيد بن جبير فى قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال الوصيد الصعيد حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير عن عمرو فى قوله

(١) قوله كان انسانا الخ كذا فى الاصول وفى ابن كثير وقيل كان طباخ الملك وقد كان وافقهم على الدين وصحبه كلبه اه كتبه مصححه

عن شعور أهل الغفلة والسلو ليعلموا أن وعد الله حق باحياء القلوب الميتة حق قدره الامر فيما أظهر وأبدى أو أسر وأخفى ... يقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلاثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية التى منشؤهن القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعانى والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم هو النفس المدرك للكليات قل ربى أعلم بعدتهم لأن القوى الباطنة والظاهرة وأعملها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن أطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله أعلم بالصواب

﴿واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم

وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال الوصيد الصعيد التراب * وقال آخرون الوصيد الباب ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال الباب وقالوا بالفناء * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال الوصيد الباب أو فناء الباب حيث يغلق الباب وذلك أن الباب يوصد وإيصاده إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل إنها عليهم مؤصدة وفيه لغتان الأصيد وهي لغة أهل نجد والوصيد وهي لغة أهل تهامة وذكر عن أبي عمرو بن العلاء قال إنها لغة أهل اليمن وذلك نظير قولهم ورخت الكتاب وأرخته ووكدت الأمر وأكدته فمن قال الوصيد قال أوصدت الباب فأنا أوصده وهو موصد ومن قال الأصيد قال آصدت الباب فهو مؤصد فكان معنى الكلام وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب يحفظ عليهم بابه وقوله لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا يقول لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم لأدبرت عنهم هاربا منهم فارا ولملئت منهم رعبا يقول ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعا لما كان الله ألبسهم من الهيبة كي لا يصل إليهم واصل ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها واختلفت القراء في قراءة قوله ولملئت منهم رعبا فقرأته عامة قراء المدينة بتشديد اللام من قوله ولملئت بمعنى أنه كان يمتلئ مرة بعد مرة وقرأ ذلك عامة قراء العراق ولملئت بالتخفيف بمعنى لملئت مرة وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب (القول في تأويل قوله تعالى) {وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا} يقول تعالى ذكره كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف فحفظناهم من وصول واصل إليهم وعين ناظر أن ينظر إليهم وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان وثيابهم من العفن على مر الأيام بقدرتنا فكذلك بعثناهم من رقدتهم وأيقظناهم من نومهم لنعرفهم عظيم سلطاننا وعجيب فعلنا في خلقنا وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة وإخلاصهم العبادة لله وحده لا شريك له إذا تبينوا طول الزمان عليهم وهم بهيئتهم حين رقدوا وقوله ليتساءلوا بينهم يقول ليسأل بعضهم بعضا قال قائل منهم كم لبثتم يقول عز ذكره فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه كم لبثتم وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم يقول فأجابه الآخرون فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ظنا منهم أن ذلك كذلك كان فقال الآخرون ربكم أعلم بما لبثتم فسلموا العلم إلى الله وقوله فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة يعني مدينتهم التي خرجوا منها هرابا التي تسمى أفسوس فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جياعا فلذلك طلبوا الطعام ذكر من قال ذلك وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثوا منها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني إسمعيل بن (٣) بشروس أنه سمع وهب بن منبه يقول إنهم غبروا يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بني عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر فلم يزل يعالجه

الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال

حتى فتح ما أدخله فيه ورد الله أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاما فلما أتى باب مدينتهم رأى شيأ ينكره حتى دخل على رجل فقال بعني بهذه الدراهم طعاما فقال ومن أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لي أمس فآوانا الليل ثم أصبحوا فأرسلوني فقال هذه الدراهم كانت على عهد ملك فلان فأنى لك بها فرفعه الى الملك وكان ملكا صالحا فقال من أين لك هذه الورق قال خرجت أنا وأصحاب لي أمس حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا ثم أمروني أن أشتري لهم طعاما قال وأين أصحابك قال في الكهف قال فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعوني أدخل على أصحابي قبلكم فلما رأوه ودنا منهم ضرب على أذنه وآذانهم فجعلوا كلما دخل رجل أرعب فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم فبنوا عندهم كنيسة اتخذوها مسجدا يصلون فيه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن عكرمة قال كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الاسلام فتعوذوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا الى الكهف فضرب الله على سمعهم فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلما فاختلفوا في الروح والجسد فقال قائل يبعث الروح والجسد جميعا وقال قائل يبعث الروح فأما الجسد فتأكله الارض فلا يكون شيأ فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد ثم دعا الله تعالى فقال أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم فبعث الله أصحاب الكهف فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطرق ويرى الايمان بالمدينة ظاهرا فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما فلما نظر الرجل الى الورق أنكرها قال حسبت أنه قال كأنها أخفاف الربع يعني الابل الصغار فقال له الفتى أليس ملككم فلانا قال بل ملكنا فلان فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه الى الملك فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه فبعث الملك في الناس فجمعهم فقال انكم قد اختلفتم في الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية فهذا رجل من قوم فلان يعني ملكهم الذي مضى فقال الفتى انطلقوا بي الى أصحابي فركب الملك وركب معه الناس حتى انتهى الى الكهف فقال الفتى دعوني أدخل الى أصحابي فلما أبصرهم ضرب على أذنه وعلى آذانهم فلما استبطؤه دخل الملك ودخل الناس معه فاذا أجساد لا ينكرون منها شيأ غير أنها لا أرواح فيها فقال الملك هذه آية بعثها الله لكم قال قتادة وعن ابن عباس كان قد غزا مع حبيب ابن مسلمة فمروا بالكهف فاذا فيه عظام فقال رجل هذه عظام أصحاب الكهف فقال ابن عباس لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف قال ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيذوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزابا فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح تيذوسيس وبكى الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث النفوس ولا تبعث الاجساد ونسوا ما في الكتاب فجعل تيذوسيس يرسل الى من يظن فيه خيرا وأنهم أئمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح تيذوسيس دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا ثم جلس عليه فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله ويبكي اليه مما يرى فيه الناس ثم ان الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية لهم وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية

والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ۞ القراآت وخرنا بالتخفيف سهل ويعقوب غير رويس له ثمر وكذا بثمره بفتح الثاء والميم يزيد وعاصم وسهل ويعقوب وأبو عامر بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على الوحدة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير ألف في الحالين قتيبة وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل الباقون بغير الالف واتفقوا على الالف في الوقف ربي أحدا مفتوحة الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ان ترني بفتح الياء السرنديبي عن قنبل غورا بضم الغين وكذلك في الملك البرجمي الباقون بفتحها ولم يكن له بالياء الغيبة الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وخلف الآخرون بتاء التأنيث وفتح الواو لله الحق بالرفع أبو عمرو وعلي الآخرون بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلي وخلف ۞ الوقوف من كتاب ربك ط لاختلاف الجملتين ملتحدا ه عنهم ج لأن ما بعده يصلح حالا واستفهاما محذوف الالف لدلالة حال العتاب فرطا ه فليكفر لا لان الامر للتهديد بدليل انا أعتدنا فلو فصل صار مطلقا نارا ه لان ما بعده صفة سرادقها ط الوجوه ط الشراب ط مرتفقا ه عملا ج ه لاحتمال كون أولئك

لا ريب فيها وأن يستجيب لعبده الصالح تيذوسيس ويتم نعمته عليه فلا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه وأن يعبد الله لا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان الجبل بجلوس الذى فيه الكهف لذلك الرجل وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف حتى فتحا عنهم باب الكهف وحجبهم الله من الناس بالرعب فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر اليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم الى باب الكهف نائما فلما نزعا الحجارة وفتحا عليهم باب الكهف أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى الفتية أن يجلسوا بين ظهرى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون فيها ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون ولا يرى فى وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شئ ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا بعشى أمس وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار فى طلبهم والتماسهم فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون قالوا ليمليخا وكان هو صاحب نفقتهم الذى كان يبتاع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة وجاءهم بالخبر أن دقيانوس يلتمسهم ويسأل عنهم أنبئنا يا أخى ما الذى قال الناس فى شأننا عشى أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا فيها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم يمليخا افتقدتم والتمستم بالمدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقون فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ولا تنكروا الحياة التى لا تبيد بعد ايمانكم بالله والحياة من بعد الموت ثم قالوا ليمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها اليوم وما الذى نذكر به عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بنا أحد وابتع لنا طعاما فأتنا به فانه قد آن لك وزدنا على الطعام الذى قد جئتنا به فانه قد كان قليلا فقد أصبحنا جياعا ففعل يمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس الملك فانطلق يمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر فلم يبال بها حتى أتى المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهل زمانه قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين أو ما شاء الله من ذلك اذ كان ما بين أن ناموا الى أن استيقظوا ثلثمائة وتسع سنين فلما رأى يمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الايمان اذا كان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفيا اليها فنظر يمينا وشمالا فتعجب بينه وبين نفسه ثم ترك ذلك الباب فتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها ورأى على كل باب مثل ذلك فجعل يخيل اليه أن المدينة ليست بالمدينة التى كان يعرف ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشى ويعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعرى أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه

مع ما بعده خبر ان الذين وقوله انا لا نضيع جملة معترضة الارائك ط الثواب ط مرتفقا ○ زرعا ○ ط شيأ لا للعطف نهرا ○ ط ثمر ج العدول مع الفاء نفرا ○ ج لنفسه ج لاتحاد العامل بلا عطف أبدا ○ ط قائمة لا لان ما بعده شك من قول الكافر فى البعث منقلبا ○ رجلا ○ ط لتمام الاستفهام أحدا ○ ماشاء الله لا لاتمام المقول الا بالله ج لابتداء الشرط المحذوف جوابه مع اتحاد القائل والمقول له وولدا ○ ج لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط زلقا ○ طلبا ○ أحدا ○ منتصرا ○ ط وقيل يوقف على هنالك والاوجه أن يبتدأ بهنالك أى عند ذلك يظهر لكل شاك سلطان الله نفذ أمره الحق ط على القراءتين عقبا ○ الرياح ط مقتدرا ○ زينة الحياة الدنيا ج فصلا بين المعجل الفانى والمؤجل الباقى مع اتفاق الجملتين أملا ○ التفسير لما أجاب عن سؤالهم بما أجاب أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين آمنوا بما أنزل عليه واحتمل أن يكون اتل أمرا من التلو لا من التلاوة أى اتبع ما أوحى اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذى أوحى اليه ثم بين سبب اللزوم فقال لا مبدل لكلماته أى لا يقدر أحد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك

فجعله

جـ. له على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع أناسا كثيرا يحلفون باسم
عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدر المدينة ويقول
فى نفسه والله ما أدرى ما هذا أما عشية أمس فليس على الارض انسان يذكر عيسى بن مريم
الا قتل وأما الغداة فأسمعهم وكل انسان يذكر أمر عيسى لا يخاف ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست
بالمدينة التى أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا فقام
كالحيران لا يتوجه وجها ثم لقى فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال اسمها
افسوس فقال فى نفسه لعل بى مسا أو بى أمر أذهب عقلى والله يحق لى أن أسرع الخروج منها قبل
أن أخزى فيها أو يصيبنى شر فأهلك هذا الذى يحدث به يمليخا أصحابه حين تبين لهم ما به ثم انه
أفاق فقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان أكيس لى فدنا من الذين
يبيعون الطعام فأخرج الورق التى كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال بعنى بهذه الورق يا عبد الله
طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه
فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون
بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا فى الارض منذ زمان ودهر
طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به
وعرفوه وأنهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقينوس يسلمونه اليه وجعل ناس آخرون
يأتونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم أفضلوا على فقد أخذتم ورقى فأمسكوا وأما
طعامكم فلا حاجة لى به قالوا له من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين
فأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت فانك ان لا تفعل
نأت بك السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم عجب فى نفسه فقال قد وقعت فى كل شئ
كنت أحذر منه ثم قالوا يا فتى انك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت ولا تظن فى نفسك أنه
سيخفى حالك فجعل يمليخا لا يدرى ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يحير اليهم جوابا فلما رأوه
لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه فى عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة ملببا حتى سمع به
من فيها فقيل أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون
اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل يمليخا
لا يدرى ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم ولو أنه قال
انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا أن أباه واخوته بالمدينة وأن حسبه من أهل المدينة
من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها
وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأته بعض أهله أبوه
أو بعض اخوته فيخلصه من أيديهم اذا اختطفوه فانطلقوا به الى رئيسى المدينة ومدبريها اللذين
يدبران أمرها وهما رجلان صالحان كان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر أسطيوس فلما انطلق
به ظن يمليخا أنه ينطلق به الى دقينوس الجبار ملكهم الذى هربوا منه فجعل يلتفت يمينا
وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخر من المجنون والحيران فجعل يمليخا يبكى ثم رفع
رأسه الى السماء والى الله ثم قال اللهم اله السموات والارض أولج معى روحا منك اليوم تؤيدنى به
عند هذا الجبار وجعل يبكى ويقول فى نفسه فرق بينى وبين اخوتى يا ليتهم يعلمون ما لقيت
وأنى يذهب بى الى دقينوس الجبار فلو أنهم يعلمون فيأتون فنقوم جميعا بين يدى دقينوس فانا كنا
تواثقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نشرك به شيأ ولا نعبد الطواغيت من دون الله فرق بينى

الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله (ولن تجد من دونه ملتحدا) أى ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا وأصل اللحد الميل كما مر فى قوله يلحدون فى أسمائه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سورة الانعام عن طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الآية وأمره فى هذه السورة بحبس النفس معهم ومراقبة أحوالهم بقوله (ولا تعد عيناك) قال جار الله انما لم يقل ولا تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كأنه قيل ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ثم نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال (ولا تطع من أغفلنا قلبه) قال أهل السنة معنى الاغفال ايجاد الغفلة وخلقها فيهم أو هو من أغفلها اذا تركها بغير سمة أى لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى أن الغفلة عن الذكر لو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشئ لا يتصور الا مع الشعور بذلك الشئ لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى أغفلناه وجدناه غافلا بالخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هواه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة فى القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن أن يجاب بأنه لا يلزم من كون

وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبدا وقد كنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبدا ياليت شعري ما هو فاعل بي أفاتلي هو أم لا ذلك الذي يحدث به عليخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع اليهم فلما انتهى الى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس فلما رأى عليخا أنه لم يذهب به الى دقينوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يا فتى هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا فقال لهما عليخا ما وجدت كنزا ولكن هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال له أحدهما من أنت فقال له عليخا ما أدري فكنت أرى أني من أهل هذه القرية قالوا فمن أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر عليخا ما يقول لهم غير أنه نكس بصره الى الارض فقال له بعض من حوله هذا رجل مجنون فقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن أنك اذ تحمق نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلثمائة سنة وانما أنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها اني لأظن سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت فلما قال ذلك قال عليخا أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي أرأيتم دقينوس الملك الذي كان في هذه المدينة عشية أمس ما فعل فقال له الرجل ليس على وجه الارض رجل اسمه دقينوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال له عليخا فوالله اني اذا لحيران وما هو بمصدق أحد من الناس بما أقول والله لقد علمت لقد فررنا من الجبار دقينوس واني قد رأيته عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس ولكن لا أدري أمدينة أفسوس هذه أم لا فانطلقا معي الى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أريوس ما يقول عليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه كما قال فانطلق معه أريوس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما رأى الفتية أصحاب الكهف عليخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به ظنوا أنه قد أخذ فذهب به الى ملكهم دقينوس الذي هربوا منه فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقينوس بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا عليخا فانه الآن بين يدي الجبار دقينوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهري الكهف فلم يروا الا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف وسبقهم عليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم خبره وقص عليهم النبأ كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر عليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما كتاب فقرأهما فوجد فيهما (١) أن مكسلمينا ومحسلمينا ويمليخا ومرطونس وكسطونس ويبورنس ويكرنوس ويطبيونس وقالوش كانوا فتية هربوا من ملكهم دقينوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا

الله

الشيء في نفس الامر نتيجة لشيء أن يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على أن الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا متحيرا (وكان أمره فرطا) أي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه أن يكون نابذا للحق وراء ظهره وأنت اذا تأملت وجدت حال الاغنياء المتجبرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغداة والعشي ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فأقبلوا على الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد أعرضوا عن المولى وأقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى وبقوا في تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لأن ايمان من ترك الايمان احترازا من مجالسة الفقراء كلا ايمان فوجب أن لا يلتفت اليه ثم بين أن الحق ما هو ومن أين هو قائلا (وقل الحق من ربكم) أي الدين الحق حصل ووجد من عند الله ويحتمل أن يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختيار الايمان أو الكفر وفيه دليل على أن الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمله الاشاعرة على أمر التهديد وقالوا ان الفعل الاختياري يمتنع

(١) في عدد هذه الاسماء وضبطها اختلاف كثير بين ناقليها فليحرر.

الله الذي أراهم آية للبعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهريه مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقينوس ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح تيذوسيس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا بالبعث فاعجل على فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك تيذوسيس الخبر قام من المسندة التي كان عليها ورجع اليه رأيه وعقله وذهب عنه همه ورجع الى الله عز وجل فقال أحمدك اللهم رب السموات والارض أعبدك وأحمدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني برحمتك فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه فلما رأى الفتية تيذوسيس فرحوا به وخروا سجودا على وجوههم وقام تيذوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ويقول والله ما أشبه بكم الا الحواريون حين رأوا المسيح وقال فرج الله عنكم كأنكم الذين تدعون فتحشرون من القبور فقال الفتية لتيذوسيس انا نودعك السلام والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ لك ملكك بالسلام ونعيذك بالله من شر الجن والانس فأمر بعيش من خلر ونشيل ان أسوأ ما سلك في بطن الانسان أن لا يعلم شيأ الا كرامة أن أكرم بها ولا هوان ان أهين به فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم بأمره وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا ونام أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوهم فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل كهفهم مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة فهذا حديث أصحاب الكهف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبي رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال بعثهم الله يعني الفتية أصحاب الكهف وقد سلط عليهم ملك مسلم يعني على أهل مدينتهم وسلط الله على الفتية الجوع فقال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال فردوا علم ذلك الى الله قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة واذا معهم ورق من ضرب الملك الذي كانوا في زمانه فليأتكم برزق منه أي بطعام ولا يشعرن بكم أحدا فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى الى المدينة فاستقبله الناس لا يعرف منهم أحدا فخرج ولا يعرفونه حتى انتهى الى صاحب الطعام فسامه بطعامه فقال صاحب الطعام هات ورقك فأخرج اليه الورق فقال من أين لك هذا الورق قال هذه ورقنا وورق أهل بلادنا فقال هيهات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلثمائة وتسع سنين أنت أصبت كنزا ولست بتاركك حتى أرفعك الى الملك فرفعه الى الملك واذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون ففرح واستبشر وأظهر لهم أمره وأخبرهم خبر أصحابه فبعثوا الى اللوح في الخزانة فأتوا به فوافق ما وصف من أمرهم فقال المشركون نحن أحق بهم هؤلاء أبناء آبائنا وقال المسلمون نحن أحق بهم هم مسلمون منا فانطلقوا معه الى الكهف فلما أتوا باب الكهف قال دعوني حتى أدخل على أصحابي حتى أبشرهم فانهم ان رأوكم معي أرعبتموهم فدخل فبشرهم وقبض الله أرواحهم قال وعمى الله عليهم مكانهم فلم يهتدوا فقال المشركون نبني عليهم بنيانا فانهم أبناء آبائنا ونعبد الله فيها وقال

حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد أن يقع بالاختيار والقصد فننقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد أن ينتهي الى قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار وفي صورة هذا التخيير دلالة على انه سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال (انا أعتدنا) أي أعددنا وهيأنا (للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فأثبت تعالى للنار شيأ شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد أنه لا مخلص لهم منها ولا فرج وقيل هو حائط من نار يطيف بهم وقيل هو دخان محيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله (يغاثوا بماء) وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما أذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله أبو عبيدة والاخفش وقيل في حديث مرفوع انه دردي الزيت وقيل الصديد والقيح أو ضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله تسقى من عين آنية واما لدفع الحر ولاجل التبريد كقوله حكاية عنهم أفيضوا علينا من الماء ويروى أنهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل أبدانهم

المسلمون نحن أحق بهم هم منا نبنى عليهم مسجدا نصلى فيه ونعبد الله فيه * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال ان الله تعالى بعثهم من رقدتهم ليتساءلوا بينهم كما بينا قبل لأن الله عز ذكره كذلك أخبر عباده فى كتابه وان الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم عليهم ليتحقق عندهم ببعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يوم رقدوا ولم يشيبوا على مر الأيام والليالى عليهم ولم يهرموا على كر الدهور والأزمان فيهم قدرته على بعث من أماته فى الدنيا من قبره الى موقف القيامة يوم القيامة لأن الله عز ذكره بذلك أخبرنا فقال وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها * واختلفت القراء فى قراءة قوله فابعثوا أحدكم بورقكم هذه فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض العراقيين بورقكم هذه بفتح الواو وكسر الراء والقاف وقرأ عامة قراء الكوفة والبصرة بورقكم بسكون الراء وكسر القاف وقرأه بعض المكيين بكسر الراء وادغام القاف فى الكاف وكل هذه القراآت متفقات المعانى وان اختلفت الألفاظ منها وهن لغات معروفات من كلام العرب غير أن الأصل فى ذلك فتح الواو وكسر الراء والقاف لأنه الورق وما عدا ذلك فانه داخل عليه طلب التخفيف وفيه أيضا لغة أخرى وهو الورق كما يقال للكبد كبد فاذا كان ذلك هو الأصل فالقراءة به الى أعجب من غير أن تكون الأخريان مدفوعة صحتهما وقد ذكرنا الرواية بأن الذى بعث معه بالورق الى المدينة كان اسمه يمليخا وقد حدثنى عبيد الله بن محمد الزهرى قال ثنا سفيان عن مقاتل فابعثوا أحدكم بورقكم هذه اسمه يمليخ وأما قوله فلينظر أيها أزكى طعاما فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه فلينظر أى أهل المدينة أكثر طعاما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن عكرمة أيها أزكى طعاما قال أكثر وحدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى حصين عن عكرمة مثله الا أنه قال أيه أكثر * وقال آخرون بل معناه أيها أحل طعاما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير أيها أزكى طعاما قال أحل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى حصين عن سعيد بن جبير مثله * وقال آخرون بل معناه أيها خير طعاما ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أزكى طعاما قال خير طعاما * وأولى الأقوال عندى فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أحل وأطهر وذلك أنه لا معنى فى اختيار الأكثر طعاما للشراء منه الا بمعنى اذا كان أكثرهم طعاما كان خليقا أن يكون الأفضل منه عنده أوجد واذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل فقد أمر بشراء الجيد كان ما عند المشترى ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا وانما وجه من وجه تأويل أزكى الى الأكثر لأنه وجد العرب تقول قد زكا مال فلان اذا كثر وكما قال الشاعر

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة * وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب

بمعنى أكثر وذلك وان كان كذلك فان الحلال الجيد وان قل أكثر من الحرام الخبيث وان كثر وقيل فلينظر أيها فأضيف الى كناية المدينة والمراد بها أهلها لأن تأويل الكلام فلينظر أى أهلها أزكى طعاما لمعرفة السامع بالمراد من الكلام وقد يحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم أيها أزكى طعاما أيها أحل من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم وقوله فليأتكم برزق منه يقول فليأتكم بقوت منه تقتاتونه وطعام تأكلونه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبى رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير فليأتكم برزق منه قال بطعام

وقوله

كالقميص وقد يفسر بهذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبى صلى الله عليه وسلم هو يعنى المهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله (يشوى الوجوه بئس الشراب) ذلك لأن المقصود من الشراب اراحة الأحشاء وهذا يحرقها ويشويها (وساءت) أى النار (مرتفقا) متكأ لأهلها ومنه المرفق لأنه يتكأ عليه قال جار الله هذا المشاكلة قوله فى أهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لأهل النار الا أن يقال معنى ارتفق أنه نصب مرفقه ودعم به خده كعادة المغتمين وقال قائلون ان الشياطين رفقاء أهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجتمعا لأولئك الرفقاء ثم شرع فى وعد المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا) الآية فان جعلت (انا لا نضيع) اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا وأولئك خبرا آخر أو كلاما مستأنفا للأجر أو بيانا للمبهم فمعنى العموم فى من أحسن يقوم مقام الرابط المحذوف والتقدير (من أحسن عملا) منهم وتفسير جنات عدن قد مر فى سورتى التوبة والرعد ولأهل الجنة لباسان لباس التحلى ولباس التستر ولم يسم فاعل يحلون للتعظيم وهو الله جل وعلا أو الملائكة باذنه ومن فى (من أساور) للابتداء وفى (من ذهب) للتبيين وتنكير أساور لابهام أمرها فى الحسن وأساور أهل الجنة بعضها ذهب لهذه الآية وبعضها فضة لقوله وحلوا أساور

وقوله وليتلطف يقول وليترفق فى شرائه ما يشترى وفى طريقه ودخوله المدينة ولا يشعرن بكم أحدا يقول ولا يعلمن بكم أحدا من الناس وقوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم يعنون بذلك دقينوس وأصحابه قالوا ان دقينوس وأصحابه ان يظهروا عليكم فيعلموا مكانكم يرجموكم شتما بالقول كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم قال يشتموكم بالقول يؤذوكم وقوله أو يعيدوكم فى ملتهم يقول أو يردوكم فى دينهم فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان ولن تفلحوا اذا أبدا يقول ولن تدركوا الفلاح وهو البقاء الدائم والخلود فى الجنان اذا أى ان أنتم عدتم فى ملتهم أبدا أيام حياتكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ يقول تعالى ذكره وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا ليتساءلوا بينهم فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة كذلك أعثرنا عليهم يقول كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا فى شك من قدرة الله على احياء الموتى وفى مرية من انشاء أجسام خلقه كهيئتهم يوم قبضهم بعد البلى فيعلموا أن وعد الله حق ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك أعثرنا عليهم يقول أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها وقوله اذ يتنازعون بينهم أمرهم يعنى الذين أعثروا على الفتية يقول تعالى وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين فى قيام الساعة واحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيذوسيس حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده فأبلاه فى قبره بعد مماته أمنشئهم هو أم غير منشئهم وقوله فقالوا ابنوا عليهم بنيانا يقول فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم يقول رب الفتية أعلم بالفتية وشأنهم وقوله قال الذين غلبوا على أمرهم يقول جل ثناؤه قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف لنتخذن عليهم مسجدا وقد اختلف فى قائلى هذه المقالة أهم الرهط المسلمون أم هم الكفار وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى وسنذكر ان شاء الله ما لم يمض منه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا قال يعنى عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبى رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال عمى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم فلم يهتدوا فقال المشركون نبنى عليهم بنيانا فانهم أبناء آبائنا ونعبد الله فيها وقال المسلمون بل نحن أحق بهم هم منا نبنى عليهم مسجدا نصلى فيه ونعبد الله فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ يقول تعالى ذكره سيقول بعض الخائضين فى أمر الفتية من أصحاب الكهف هم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعضهم هم خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب يقول قذفا بالظن غير يقين علم كما قال الشاعر * وأجعل منى الحق غيبا مرجما * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب أى قذفا بالغيب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن

من فضة وبعض اللؤلؤ لقوله فى الحج ولؤلؤا وجمع فى لباس الستر بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبره قيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة الى أن الحلى تفضل الله بها عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على أنهم استوجبوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على أسرتهم والأرائك جمع أريكة وهو السرير المزين بالحجلة أما السرير وحده فلا يسمى أريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بخدمهم وحشمهم وأموالهم وأصناف تمتعاتهم على الفقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين تنبيها على أن متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الغنى فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين من بنى اسرائيل أحدهما كافر اسمه فطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة والصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراهما فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشترى منك أرضا فى الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم ان أخى بنى دارا بألف وانى أشترى منك دارا فى الجنة

قتادة فى قوله رجما بالغيب قال قذفا بالظن وقوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم يقول ويقول بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقائلى هذه الاقوال فى عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم يقول ما يعلم عددهم الا قليل من خلقه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يعلمهم الا قليل يقول قليل من الناس * وقال آخرون بل عنى بالقليل أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس ما يعلمهم الا قليل قال يعنى أهل الكتاب وكان ابن عباس يقول أنا ممن استثناه الله ويقول عدتهم سبعة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ما يعلمهم الا قليل قال أنا من القليل كانوا سبعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله كانوا سبعة وثامنهم كلبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم وأنا ممن استثنى الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ما يعلمهم الا قليل قال كان ابن عباس يقول أنا من القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم وقوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تمار يا محمد يقول لا تجادل أهل الكتاب فيهم يعنى فى عدة أهل الكهف وحذفت العدة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تمار فيهم قال لا تمار فى عدتهم وقوله إلا مراء ظاهرا اختلف أهل التأويل فى معنى المراء الظاهر الذى استثناه الله ورخص فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هو ما قص الله فى كتابه أبيح له أن يتلوه عليهم ولا يماريهم بغير ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول حسبك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول الا بما قد أظهرنا لك من أمرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا أى حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فلا تمار فيهم قال حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول حسبك ما قصصنا عليك * وقال آخرون المراء الظاهر هو أن يقول ليس كما تقولون ونحو هذا من القول ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله إلا مراء ظاهرا قال أن يقول لهم ليس كما تقولون ليس تعلمون عدتهم ان قالوا كذا وكذا فقل ليس كذلك فانهم لا يعلمون عدتهم وقرأ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم حتى بلغ رجما بالغيب وقوله ولا تستفت فيهم منهم أحدا يقول تعالى ذكره ولا تستفت فى عدة الفتية من أصحاب الكهف منهم يعنى من أهل الكتاب أحدا لانهم لا يعلمون عدتهم وانما يقولون فيهم رجما بالغيب لا يقينا من القول * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن قابوس عن أبيه

بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم انى جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بنى مخزوم مؤمن وهو عبد الله بن الاشد زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الأشد أما قوله (وحففناهما بنخل) فقال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثانى بالباء ومعناه جعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخل اذا أمكن (وجعلنا بينهما زرعا) فهما جامعتان للاقوات والفواكه وفيه أنهما مع سعة أطرافهما وتباعد أكنافهما لم يتوسطهما بقعة معطلة وفيه أنهما تأتى كل وقت بمنفعة أخرى متواصلة متشابكة وكل منهما منعوتة بوفاء الثمار لتمام الاكل وآتت محمول على لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والظلم أصله النقصان وهو المراد ههنا (وفجرنا) من قرأ بالتخفيف فظاهر لانه نهر واحد ومن قرأ بالتشديد فللمبالغة لان النهر ممتد فى وسطهما فهو كالانهار (وكان له ثمر) قال الكسائى الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه ثمر

عن ابن عباس فى قوله ولا تستفت فيهم منهم أحدا قال هم أهل الكتاب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تستفت فيهم منهم أحدا من يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تستفت فيهم منهم أحدا من يهود قال ولا تسأل يهود عن أمر أصحاب الكهف الا ما قد أخبرتك من أمرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تستفت فيهم منهم أحدا من أهل الكتاب كنا نحدث أنهم كانوا بنى الركنا والركنا ملوك الروم رزقهم الله الاسلام فتفردوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا الى الكهف فضرب الله على أصمختهم فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة بعدهم وكان ملكهم مسلما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا﴾ وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد اليه أن لا يجزم على ما يحدث من الامور أنه كائن لا محالة إلا أن يصله بمشيئة الله لأنه لا يكون شئ الا بمشيئة الله وانما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتى قد ذكرناها فيما مضى اللواتى احداهن المسئلة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهن غد يومهم ولم يستثن فاحتبس الوحى عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة حتى حزنه ابطاؤه ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن وعرف نبيه سبب احتباس الوحى عنه وعلمه ما الذى ينبغى أن يستعمل فى عداته وخبره عما يحدث من الامور التى لم يأته من الله بها تنزيل فقال ولا تقولن يا محمد لشئ انى فاعل ذلك غدا كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف والمسائل التى سألوك عنها سأخبركم عنها غدا الا أن يشاء الله ومعنى الكلام الا أن تقول معه ان شاء الله فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه اذ كان فى الكلام دلالة عليه وكان بعض أهل العربية يقول جائز أن يكون معنى قوله الا أن يشاء الله استثناء من القول لا من الفعل كأن معناه عنده لا تقولن قولا الا أن يشاء الله ذلك القول وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل وقوله واذكر ربك اذا نسيت اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم واستثن فى يمينك اذا ذكرت أنك نسيت ذلك فى حال اليمين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن هرون الحربى قال ثنا نعيم بن حماد قال ثنا هشيم عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس فى الرجل يحلف قال له أن يستثنى ولو الى سنة وكان يقول واذكر ربك اذا نسيت فى ذلك قيل للأعمش سمعته من مجاهد فقال ثنى به ليث بن أبى سليم يرى ذهب كسائى هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه فى قوله واذكر ربك اذا نسيت قال بلغنى أن الحسن قال اذا ذكر أنه لم يقل ان شاء الله فليقل ان شاء الله ۞ وقال آخرون معناه واذكر ربك اذا عصيت ذكر من قال ذلك حدثنى نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حكام ابن سلم عن أبى سنان عن ثابت عن عكرمة فى قول الله واذكر ربك اذا نسيت قال اذكر ربك اذا عصيت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى سنان عن ثابت عن عكرمة مثله ۞ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه واذكر ربك اذا تركت ذكره لان أحد معانى النسيان فى كلام العرب الترك وقد بينا ذلك فيما مضى قبل فان قال قائل أفجائز للرجل أن يستثنى فى يمينه

ثمر ككتاب وكتب بالحركة أو بالسكون وذكر أهل اللغة أن الثمر بالضم أنواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجر وقال قطرب كان أبو عمرو ابن العلاء يقول الثمر المال والولد أى كان عنده مع الجنتين أشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض ومن سائر التمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لأنهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كأنه أخذ بيد المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وذلك قوله سبحانه (ودخل جنته) قال جار الله معنى افراد الجنة بعد التثنية أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد أن يكون قد دخل مع أخيه جنة واحدة منهما أو جعل مجموع الجنتين فى حكم جنة واحدة منهما يؤيده توحيد الضمير على أكثر القراآت فى قوله (لأجدن خيرا منها) وانما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر مقدورات الله كان واضعا النعم فى غير موضعها على أن نعمة الجنة بخصوصها مما يجب أن يستدل بها على أحوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء

اذ كان معنى الكلام ماذكرت بعد مدة من حال حلفه قيل بل الصواب أن يستثنى ولو بعد حنثه
في يمينه فيقول ان شاء الله ليخرج بقيله ذلك مما ألزمه الله في ذلك بهذه الآية فيسقط عنه الحرج
بتركه ما أمره بقيله من ذلك فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال الا أن يكون استثناؤه موصولا
بيمينه فان قال فما وجه قول من قال له ثنياه ولو بعد سنة ومن قال له ذلك ولو بعد شهر وقول من قال
مادام في مجلسه قيل ان معناهم في ذلك نحو معنانا في أن ذلك له ولو بعد عشر سنين وأنه باستثنائه
وقيله ان شاء الله بعد حين من حال حلفه يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازما فأما الكفارة
فله لازمة بالحنث بكل حال الا أن يكون استثناؤه كان موصولا بالحلف وذلك أنا لا نعلم قائلا قال ممن
قال له الثنيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة اذا حنث ففي ذلك أوضح الدليل على صحة
ما قلنا في ذلك وأن معنى القول فيه كان نحو معنانا فيه وقوله وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من
هذا رشدا يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل لعل الله أن يهديني فيسددني لأسد مما
وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون ان هو شاء وقد قيل ان ذلك مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله
اذا نسي الاستثناء في كلامه الذي هو عنده في أمر مستقبل مع قوله ان شاء الله اذا ذكر ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن محمد رجل من أهل الكوفة كان
يفسر القرآن وكان يجلس اليه يحيى بن عباد قال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله
واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا قال فقال واذا نسي
الانسان أن يقول ان شاء الله قال فتوبته من ذلك أو كفارة ذلك أن يقول عسى أن يهدين ربي
لأقرب من هذا رشدا * القول في تأويل قوله تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا
يشرك في حكمه أحدا) اختلف أهل التأويل في معنى قوله ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين
وازدادوا تسعا فقال بعضهم ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك
واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله قل الله أعلم بما لبثوا وقالوا لو كان ذلك خبرا من الله عن قدر
لبثهم في الكهف لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه مفهوم وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه
وقدره ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولبثوا
في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا هذا قول أهل الكتاب فرده الله عليهم فقال قل الله أعلم
بما لبثوا له غيب السموات والارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن قتادة في قوله ولبثوا في كهفهم قال في حرف ابن مسعود وقالوا ولبثوا يعني أنه قال الناس
ألا ترى أنه قال قل الله أعلم بما لبثوا حدثنا علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب
عن مطر الوراق في قول الله ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين قال انما هو شيء قالته اليهود فرده الله
عليهم وقال قل الله أعلم بما لبثوا * وقال آخرون بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولبثوا في كهفهم
ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قال عدد ما لبثوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وزاد فيه قل الله أعلم بما لبثوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن عبد العزيز بن أبي رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال لبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا قال وتسع سنين * حدثنا أبو حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه * حدثنا موسى

اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي
الموتى عكس الكافر القضيتين زعم
دوام جنته التي هي بصدد الزوال
قائلا (ما أظن ان تبيد) أي تهلك
(هذه) الجنة (أبدا) وذلك لطول أمله
واستيلاء الحرص عليه واغتراره
بالمهلة حتى أنكر المحسوس وادعى
غلبة الظن بامتناع النشور مع
قيام الدلائل العقلية والحسية على
امكانه ووجود الدلائل الشرعية
على وجوبه قائلا (وما أظن الساعة
قائمة) ثم أقسم على أنه ان رد الى ربه
فرضا وتقديرا وكما زعم صاحبه
أن له ربا وأنه سيرد اليه وجد خيرا
من جنته في الدنيا كأنه قاس
الغائب على الشاهد أو ادعى أن
النعم الدنيوية لن تكون استدراجية
أصلا وانما تكون استحقاقا
وكرامة و(منقلبا) نصب على التمييز
أي مرجع تلك وعاقبتها لكونها
باقية خير من هذه لكونها
فانية حسا أو في اعتقاده قال
بعض العلماء الرد يتضمن كراهة
المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت
أي عن جنتي هذه التي أظن أن
لا تبيد أبدا الى ربي ولما لم يسبق
مثل هذا المعنى في حم قال هناك
ولئن رجعت الى ربي قوله (أكفرت)
زعم الجمهور أن أخاه انما حكم
بكفره لانه أنكر البعث وأقول
يحتمل أن يكون كافرا بالله أيضا بل
مشركا لقوله بعد ذلك يا ليتني لم
أشرك بربي أحدا ولقول أخيه
معرضا به لكنا هو الله ربي وليس
في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة
على أنه كان عارفا به لاحتمال

ابن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو أسامة قال ثني الأجلح عن الضحاك بن مزاحم قال نزلت
هذه الآية ولبثوا في كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو أشهرا أو سنين فأنزل الله سنين وازدادوا تسعا
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولبثوا في كهفهم قال بين جبلين
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى
الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقودا
الى أن بعثهم الله ليتساءلوا بينهم والى أن أعثر عليهم من أعثر ثلثمائة سنين وتسع سنين وذلك أن الله
بذلك أخبر في كتابه وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ وقالوا ولبثوا في كهفهم وقول من قال
ذلك من قول أهل الكتاب وقد رد الله ذلك عليهم فان معناه في ذلك ان شاء الله كان أن أهل الكتاب
قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للفتية من لدن دخلوا الكهف الى يومنا
ثلثمائة سنين وتسع سنين فرد الله ذلك عليهم وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن أووا
اليه الى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الله أعلم بما لبثوا
بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدتهم الى يومهم هذا لا يعلم بذلك غير الله وغير من
أعلمه الله ذلك فان قال قائل وما يدل على أن ذلك كذلك قيل الدال على ذلك أنه جل ثناؤه ابتدأ
الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداء فقال ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ولم يضع
دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه وغير جائز أن يضاف خبره عن شئ الى أنه خبر عن غيره
بغير برهان لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره واذا جاز ذلك في أخباره جاز في أخبار غيره أن يضاف
اليه أنها أخباره وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده فان ظن ظان أن قوله قل الله أعلم
بما لبثوا دليل على أن قوله ولبثوا في كهفهم خبر منه عن قوم قالوه فان ذلك كان يجب أن يكون
كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره فأما وهو يحتمل ما قلنا من أن يكون معناه قل الله أعلم
بما لبثوا الى يوم أنزلنا هذه السورة وما أشبه ذلك من المعاني فغير واجب أن يكون ذلك دليلا
على أن قوله ولبثوا في كهفهم خبر من الله عن قوم قالوه واذا لم يكن دليلا على ذلك ولم يأت خبر بأن
قوله ولبثوا في كهفهم خبر من الله عن قوم قالوه ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها صح ما قلنا
وفسد ما خالفه واختلفت القراء في قراءة قوله ثلثمائة سنين فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة
وبعض الكوفيين ثلثمائة سنين بتنوين ثلثمائة بمعنى ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة وقرأته عامة
قراء أهل الكوفة ثلثمائة سنين باضافة ثلثمائة الى السنين غير منون * وأولى القراءتين في ذلك عندي
بالصواب قراءة من قرأه ثلثمائة بالتنوين سنين وذلك أن العرب انما تضيف المائة الى ما يفسرها اذا
جاء تفسيرها بلفظ الواحد وذلك كقولهم ثلثمائة درهم وعندي مائة دينار لان المائة والألف
عدد كثير والعرب لا تفسر ذلك الا بما كان معناه في كثرة العدد والواحد يؤدي عن الجنس وليس
ذلك للقليل من العدد وان كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير وليس ذلك بالكثير
وأما اذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع فانها تنون فتقول عندي ألف دراهم وعندي مائة دنانير على ما قد
وصفت وقوله له غيب السموات والأرض يقول تعالى ذكره لله علم غيب السموات والأرض لا يعزب
عنه علم شئ منه ولا يخفى عليه شئ يقول فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف الى يومكم هذا
فان ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض وليس ذلك الا الله الواحد القهار وقوله
أبصر به وأسمع يقول أبصر بالله وأسمع وذلك بمعنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه

أن يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما
أشرنا اليه وقوله (خلقك من تراب)
أي خلق أصلك وهو اشارة الى
مادته البعيدة وقوله (من نطفة)
اشارة الى مادته القريبة ومعنى
(سواك رجلا) عدلك وكملك حال
كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال المكلفين ويجوز أن يكون
رجلا تمييزا ولعل السر في تخصيص
الله سبحانه في هذا المقام بهذا
الوصف هو أن يكون دليلا على
وجود الصانع أولا لان الاستدلال
على هذا المطلوب بخلق الانسان
أقرب الاستدلالات وفيه أيضا
اشارة الى امكان البعث لان الذي
قدر على الابتداء أقدر على الاعادة
وفيه أنه خلقه فقيرا لا غنيا فعلم
منه أنه خلقه للعبودية والاقرار
لا للفخر والانكار ثم استدرك لقوله
أكفرت كأنه قال لاخيه أنت
كافر بالله لكني مؤمن موحد وأصل
لكنا لكن أنا حذفت الهمزة بعد
القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل
اجتماع النونين فسكنت الاولى
وأدغمت في الثانية وضمير الغائب
للشأن والجملة بعده خبر للشأن
والمجموع خبر أنا والراجع ياء الضمير
وتقدير الكلام لكن أنا الشأن الله
ربي قال أهل العربية اثبات ألف
أنا في الوصل ضعيف ولكن قراءة
ابن عامر قوية بناء على أن الالف
كالعوض عن حذف الهمزة (ولولا)
للتحضيض وفعله قلت و (اذ
دخلت) ظرف وقع في البين توسعا
وقوله (ماشاء الله) خبر مبتدا
محذوف أو جملة شرطية محذوفة

وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شئ كما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أبصر به وأسمع فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع
تبارك وتعالى حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أبصر به وأسمع
ما لهم من دونه من ولى قال يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا وقوله ما لهم من دونه من
ولى يقول جل ثناؤه ما لخلقه دون ربهم الذى خلقهم ولى يلى أمرهم وتدبيرهم وصرفهم فيما هم
فيه مصرفون ولا يشرك فى حكمه أحدا يقول ولا يجعل الله فى قضائه وحكمه فى خلقه أحدا سواه
شريكا بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتبع يا محمد ما أنزل اليك من كتاب
ربك هذا ولا تتركن تلاوته واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه والعمل بحلاله وحرامه فتكون من
الهالكين وذلك أن مصير من خالفه وترك اتباعه يوم القيامة الى جهنم لا مبدل لكلماته يقول لا مغير
لما أوعد بكلماته التى أنزلها عليك أهل معاصيه والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذى أوحيناه
اليك وقوله ولن تجد من دونه ملتحدا يقول وان أنت يا محمد لم تتل ما أوحى اليك من كتاب ربك
فتتبعه وتأتم به فنالك وعيد الله الذى أوعد فيه المخالفين حدوده لن تجد من دون الله موئلا تئل
اليه ومعدلا تعدل عنه اليه لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه لا يقدر أحد منهم على الهرب
من أمر أراد به ۞ وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ملتحدا قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم
فى البيان عنه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان
عن منصور عن مجاهد فى قوله ملتحدا قال ملجأ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد ملتحدا قال ملجأ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولن تجد من دونه ملتحدا
قال موئلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ملتحدا قال
ملجأ ولا موئلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولن تجد من دونه
ملتحدا قال لا يجدون ملتحدا يلتحدونه ولا يجدون من دونه ملجأ ولا أحدا يمنعهم والملتحد انما هو
المفتعل من اللحد يقال منه لحدت الى كذا اذا ملت اليه ومنه قيل للحد لحد لأنه فى ناحية من القبر
وليس بالشق الذى فى وسطه ومنه الالحاد فى الدين وهو المعاندة بالعدول عنه والترك له ۞ القول فى
تأويل قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد
عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد نفسك مع أصحابك الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى بذكرهم اياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والاعمال الصالحة من الصلوات
المفروضة وغيرها يريدون بفعلهم ذلك وجهه لا يريدون به عرضا من عرض الدنيا وقد ذكرنا
اختلاف المختلفين فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى فى سورة الانعام والصواب من القول
فى ذلك عندنا فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع والقراء على قراءة ذلك بالغداة والعشى وقد
ذكر عن عبد الله بن عامر وأبى عبد الرحمن السلمى أنهما كانا يقرآنه بالغدوة والعشى وذلك قراءة
عند أهل العلم بالعربية مكروهة لأن غدوة معرفة ولا ألف ولا لام فيها وانما يعرف بالالف واللام

الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء
الله أو أى شئ شاء الله كان استدل
أهل السنة بالآية فى أنه لا يدخل فى
الوجود شئ الا بأمر الله ومشيئته
وأجاب الكعبى بأن المراد ما شاء الله
مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد
والجواب أن هذا التقدير مما يخرج
الكلام عن الفائدة فانه كقول
القائل السماء فوقنا وأجاب
القفال بأنه أراد ما شاء الله من عمارة
هذا البستان ويؤيده قوله
(لا قوة الا بالله) أى ما قويت به
على عمارته وتدبير أمره فهو بمعونة
الله وزيف بأنه تخصيص للظاهر من
غير دليل على أن عمارة ذلك البستان
لعلها حصلت بالظلم والعدوان
فالتحقيق أنه لا قوة لأحد على
أمر من الامور الا باعانة الله واقداره
عن عروة بن الزبير أنه كان يثلم
حائطه أيام الرطب فيدخل من يشاء
وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى
يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض
الأمر الى مشيئة الله أجابه عن
افتخاره بالمال والنفر فقال (ان
ترن أنا أقل) فأنا فصل وأقل
مفعول ثان ومالا وولدا نصب على
التمييز (فعسى ربى أن يؤتينى) فى
الدنيا أو فى الآخرة جنة (خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا) هو
مصدر كالغفران بمعنى الحساب أى
مقدارا وقع فى حساب الله وهو
الحكم بتخريبها وعن الزجاج
عذاب حسبان وهو حساب
ما كسبت يداك وقيل هو جمع
حسبانة وهو السهم القصير يعنى
الصواعق (فتصبح صعيدا زلقا)

ما لم يكن معرفة. فأما المعارف فلا تعرف بهما وبعد فان غدوة لا تضاف الى شئ وامتناعها من الاضافة دليل واضح على امتناع الالف واللام من الدخول عليها لان ما دخلته الالف واللام من الاسماء صلحت فيه الاضافة وانما تقول العرب أتيتك غداة الجمعة ولا تقول أتيتك غدوة الجمعة والقراءة عندنا فى ذلك ما عليه القراء فى الامصار لا نستجيز غيرها لاجماعها على ذلك والعلة التى بينا من جهة العربية وقوله ولا تعد عيناك عنهم يقول جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم الى غيرهم من الكفار ولا تجاوزهم اليه وأصله من قولهم عدوت ذلك فأنا أعدوه اذا جاوزته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله ولا تعد عيناك عنهم قال لا تجاوزهم الى غيرهم حدثنى على قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تعد عيناك عنهم يقول لا تتعدهم الى غيرهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واصبر نفسك الآية قال قال القوم للنبى صلى الله عليه وسلم انا نستحيى أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا فجانبهم يا محمد وجالس أشراف العرب فنزل القرآن واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ولا تحقرهم قال قد أمرونى بذلك قال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا حدثنا الربيع بن سليمن قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى أسامة بن زيد عن أبى حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بعض أبياته واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فخرج يلتمس فوجد قوما يذكرون الله منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم فقال الحمد لله الذى جعل لى فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معه ورفعت العينان بالفعل وهو لا تعد وقوله تريد زينة الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تعد عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم الى أشراف المشركين تبتغى بمجالستهم الشرف والفخر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك وقال بعضهم بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالاسلام فرأوه جالسا مع خباب وصهيب وبلال فسألوه أن يقيمهم عنه اذا حضروا قالوا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ثم كان يقوم اذا أراد القيام ويتركهم قعودا فأنزل الله عليه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا تريد زينة الحياة الدنيا مجالسة أولئك العظماء الأشراف وقد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل فى سورة الانعام حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا أسباط بن نصر عن السدى عن أبى سعيد الأزدى وكان قارئ الأزد عن أبى الكنود عن خباب فى قصة ذكرها عن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر فيها هذا الكلام مدرجا فى الخبر ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قال تجالس الأشراف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرت أن عيينة بن حصن قال للنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم لقد آذانى ريح سلمان الفارسى فاجعل لنا مجلسا منك لا تجامعونا فيه واجعل لهم مجلسا لا نجامعهم فيه فنزلت الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبى الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معه

أرضا بيضاء يزلق عليها زلقا لملاستها وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم ثم أخبر سبحانه عن تحقيق ما قدره المؤمن فقال (وأحيط بثمره) وهو عبارة عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا أن يحاط بكم (فأصبح يقلب كفيه) أى يندم (على ما أنفق فيها) لان النادم يفعل كذلك غالبا كما قد يعض أنامله (وهى خاوية على عروشها) أى سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقد مر فى البقرة فى قصة عزير وقوله (يا ليتنى لم أشرك) تذكر لموعظة أخيه وفيه دلالة ظاهرة على ما قلنا من أنه كان غير عارف بالله بل كان عابد صنم ومن ذهب الى أنه جعل كافرا لانكاره البعث فسره بأن الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكأنه أثبت لله شريكا فى اعطاء العز والغنى أو أنه لما عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا للخلق فى هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على الشرك ورغبة فى التوحيد المحض ولكنه رغب فى الايمان رغبة فى جنته وطمعا فى دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله (ولم يكن له فئة) طائفة (ينصرونه من دون الله) لانه وحده قادر على نصرة العباد (وما كان منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين أن النصرة والعاقبة المحمودة كانت

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تريد زينة الحياة الدنيا قال تريد أشراف الدنيا حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا الوليد بن عبد الملك قال ثنا سليمن بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر والاقرع بن حابس وذووهم فقالوا يانبي الله انك لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان وأباذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا حتى بلغ انا أعتدنا للظالمين نارا يتهددهم بالنار فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات وقوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك عن ذكرنا بالكفر وغلبة الشقاء عليه واتبع هواه وترك اتباع أمر الله ونهيه وآثر هوى نفسه على طاعة ربه وهم فيما ذكر عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي سعيد الازدي عن أبي الكنود عن خباب ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا قال عيينة والأقرع وأما قوله وكان أمره فرطا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه وكان أمره ضياعا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وكان أمره فرطا قال ابن عمرو في حديثه قال ضائعا وقال الحرث في حديثه ضياعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ضياعا * وقال آخرون بل معناه وكان أمره ندما ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر قال ثنا عباد بن راشد عن داود فرطا قال ندامة * وقال آخرون بل معناه هلاكا ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن عمرو قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن خباب وكان أمره فرطا قال هلاكا * وقال آخرون بل معناه خلافا للحق ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وكان أمره فرطا قال مخالفا للحق ذلك الفرط * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه ضياعا وهلاكا من قولهم أفرط فلان في هذا الامر افراطا اذا أسرف فيه وتجاوز قدره وكذلك قوله وكان أمره فرطا معناه وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر واحتقار أهل الايمان سرفا قد تجاوز حده فضيع بذلك الحق وهلك وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال قيل له كيف قرأ عاصم فقال كان أمره فرطا قال أبو كريب قال أبو بكر كان عيينة بن حصن يفخر يقول أنا وأنا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا واتبعوا أهواءهم الحق أيها الناس من عند ربكم واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد فيؤمن ويضل من يشاء عن الهدى

للمؤمن على الكافر علم أن الأمر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل (هنالك) أي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية الحق لله أو الولاية لله الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك أو المراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتوب الى الله ويلتجئ اليه كل مضطر يعني أن قول الكافر ياليتني انما صدر عنه الجاء واضطرارا وجزعا ومما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله لمن الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخسر قط ثم ضرب مثلا آخر لجبابرة قريش فقال (واضرب لهم) الآية وقدم مثله في أوائل يونس (انما مثل الحياة الدنيا كماء) ومعنى (فاختلط به) التف بسببه وقيل معناه روي النبات ورف لاختلاط الماء به وذلك لان الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما تهشم وتحطم والذرو والتطيير والاذهاب تقول ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا (وكان الله على كل شئ مقتدرا) من تكوينه أولا وتنميته وسطا واذهابه آخرا ولا ريب أن أحوال الدنيا أيضا كذلك تظهر أولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد الى أن تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل أن يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية فقال (المال والبنون زينة الحياة

فليكفر ليس الى من ذلك شئ ولست بطارد لهوا كم من كان للحق متبعا وبالله وبما أنزل على مؤمنا فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فانكم ان كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها وان آمنتم به وعملتم بطاعته فان لكم ما وصف الله لأهل طاعته وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقول من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وليس هذا باطلاق من الله الكفر لمن شاء والايمان لمن أراد وانما هو تهديد ووعيد وقد بين أن ذلك كذلك قوله انا أعتدنا للظالمين نارا والآيات بعدها كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن عمر بن حبيب عن داود عن مجاهد فى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر قال وعيد من الله فليس بمعجزى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله اعملوا ما شئتم قال هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضا وقوله انا أعتدنا للظالمين نارا يقول تعالى ذكره انا أعددنا وهو من العدة للظالمين الذين كفروا بربهم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها قال للكافرين وقوله أحاط بهم سرادقها يقول أحاط سرادق النار التى أعدها الله للكافرين بربهم وذلك فيما قيل حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط وهى الحجرة التى تطيف بالفسطاط كما قال رؤبة

يا حكم بن المنذر بن الجارود * سرادق المجد عليك ممدود

وكما قال سلامة بن جندل

هو المولج النعمان بيتا سماؤه * صدور الفيول بعد بيت مسردق

يعنى بيتا له سرادق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها قال حائط من نار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عمن أخبره قال أحاط بهم سرادقها قال دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذى قال الله ظل ذى ثلاث شعب وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك خبر يدل على أن معنى قوله أحاط بهم سرادقها أحاط بهم ذلك فى الدنيا وأن ذلك السرادق هو البحر ذكر من قال ذلك حدثنى العباس بن محمد والحسين بن نصر قالا ثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية قال ثنى محمد بن حيى بن يعلى عن صفوان ابن يعلى عن يعلى بن أمية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم قال فقيل له كيف ذلك فتلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية نارا أحاط بهم سرادقها ثم قال والله لا أدخلها أبدا أو ما دمت حيا ولا تصيبنى منها قطرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد قال ثنى عمرو بن الحرث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل واحد مثل مسيرة أربعين سنة حدثنا بشر قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لسرادق النار أربعة جدر كثف كل واحد مثل مسيرة أربعين سنة حدثنا بشر قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقط فروة وجهه فيه وقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء

الدنيا والباقيات الصالحات) هى أعمال الخير التى تبقى ثمرتها (خير عند ربك ثوابا) أى تعلق ثواب وخير أملا لان الجواد المطلق أفضل مسؤل وأكرم مأمول وقيل هن الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ففى التسبيح تنزيه له عن كل ما لا ينبغى وفى الحمد اقرار له بكونه مبدأ لافادة كل ما ينبغى وفى التهليل اعتراف بأنه لا شئ فى الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفى التكبير اذعان لغاية عظمته وأنه أجل (١) من أن يعظم وقيل الطيب من القول والأصح كل عمل أريد به وجه الله وحده قاله قتادة ﴿التأويل﴾ واتل على نفسك ما أوحى اليك من كتاب كتبه ربك فى الازل لا مبدل لكلماته الى الابد مع الذين يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح والخفى فى غداة الازل الى عشى الأبد فانهم مجبولون على طاعة الله كما أن النفس جبلت على طاعة الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عيناك عنهم فانك ان لم تراقب أحوالهم تصرف فيهم النفس الامارة ولا تطع من أغفلنا يعنى النفس نارا هى نار القهر والغضب أحاط بهم سرادقها يعنى سرادق العزة بماء كالمهل كل ما هو لاهل اللطف أسباب لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لأهل القهر سببا لصعوبة الامر وشدة التعلق حتى شوت الوجوه أى أحرقت مواد التفاتهم الى عالم الارواح وفسدت استعداداتهم فبقوا فى أسفل سافلين الطبيعة

(١) عبارة الفخر وأجل من أن يصل العقل الى كنه كبريائه اهـ

فمنه كتبه مصححه

كالمهل يقول تعالى ذكره وان يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة فى النار من شدة ما بهم من العطش فيطلبوا الماء يغاثوا بماء كالمهل واختلف أهل التأويل فى المهل فقال بعضهم هو كل شئ أذيب وانماع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت اليه سقاية من ذهب وفضة فأمر بأخدود فخد فى الأرض ثم قذف فيه من جزل حطب ثم قذف فيه تلك السقاية حتى اذا أزبدت وانماعت قال لغلامه ادع من يحضرنا من أهل الكوفة فدعا رهطا فلما دخلوا عليه قال أترون هذا قالوا نعم قال ما رأينا فى الدنيا شبها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبد وانماع * وقال آخرون هو القيح والدم الأسود ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال القيح والدم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بماء كالمهل قال القيح والدم الأسود كعكر الزيت قال الحرث فى حديثه يعنى درديه حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كالمهل قال يقول أسود كهيئة الزيت حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بماء كالمهل ماء جهنم أسود وهى سوداء وشجرها أسود وأهلها سود حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال هو ماء غليظ مثل دردى الزيت * وقال آخرون هو الشئ الذى قد انتهى حره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال المهل هو الذى قد انتهى حره وهذه الأقوال وان اختلفت بها ألفاظ قائليها فمتقاربات المعنى وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردى الزيت فقد انتهى أيضا حره وقد حدثت عن معمر بن المثنى أنه قال سمعت المنتجع بن نبهان يقول والله لفلان أبغض الى من الطلياء والمهل قال فقلنا له وما هما فقال الجرباء والملة التى تنحدر عن جوانب الخبزة اذا ملت فى النار من النار كأنها سهلة حمراء مدققة فهى أحمره فالمهل اذا هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره أو لم يكن مائعا فانماع بالوقود عليه وبلغ أقصى الغاية فى شدة الحر وقوله يشوى الوجوه بئس الشراب يقول جل ثناؤه يشوى ذلك الماء الذى يغاثون به وجوههم كما حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا حيوة ابن شريح قال ثنا بقية عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر هكذا قال ابن خلف عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه يقول الله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقانى ويعمر بن بشر قالا ثنا ابن المبارك عن صفوان عن عبد الله بن بسر عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال هرون اذا جاع أهل النار وقال جعفر اذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى

يحلون فيها من أساور والتحلية بالاساور اشارة الى ظهور آثار الملكات عليهم وقوله من ذهب رمز الى أنها ملكات مستحسنة معتدلة راسخة ويلبسون ثيابا فيه أن أنوار العبادات تلوح عليهم وتشتمل بهم وقوله خضرا اشارة الى أنها أنوار غير قاهرة ومن سندس اشارة الى ما لطف من الرياضات واستبرق الى ما شق منها متكئين فيها على الارائك لانهم فرغوا بها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقى ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من أعناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من أنواع الشهوات وهو يحاوره يجاذب النفس والقلب أنا أكثر منك مالا أى ميلا وأعز نفرا من أوصاف المذمومات وهو ظالم لنفسه فى الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لأجدن خيرا منها لانه غر بالله وكرمه فلا جرم يقال له ما غرك بربك الكريم هلا قلت ما شاء الله أى أتصرف فى جنة الدنيا كما شاء الله على ما أنفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كماء أنزلناه هو الروح العلوى الذى أنزل الى أرض الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فأصبح هشيما تلاشت منه نداوة الاخلاق الروحانية تذروه رياح الاهوية

جره فاذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود وقوله بئس الشراب يقول تعالى ذكره بئس الشراب هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم الذي صفته ما وصف في هذه الآية وقوله وساءت مرتفقا يقول تعالى ذكره وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا والمرتفق في كلام العرب المتكأ يقال منه ارتفقت اذا اتكأت كما قال الشاعر

قالت له وارتفقت ألا فتى * يسوق بالقوم غزالات الضحى

أراد واتكأت على مرفقها وقد ارتفق الرجل اذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم وهو مرتفق كما قال أبو ذؤيب الهذلي

نام الخلي وبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

وأما من الرفق فانه يقال قد ارتفقت بك مرتفقا وكان مجاهد يتأول قوله وساءت مرتفقا يعني المجتمع ذكر الرواية بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرتفقا أي مجتمعا حدثني يعقوب قال ثنا معتمر عن ليث عن مجاهد وساءت مرتفقا قال مجتمعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب وانما الارتفاق افتعال اما من المرفق واما من الرفق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بطاعة الله وانتهوا الى أمره ونهيه انا لا نضيع ثواب من أحسن عملا فأطاع الله واتبع أمره ونهيه بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الانهار فان قال قائل وأين خبر ان الأولى قيل جائز أن يكون خبرها قوله انا لا نضيع أجر من أحسن عملا فيكون معنى الكلام انا لا نضيع أجر من عمل صالحا فترك الكلام الاول واعتمد على الثاني بنية التكرير كما قيل يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه بمعنى عن قتال فيه على التكرير وكما قال الشاعر

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

ويروى ترجى وجائز أن يكون ان الذين آمنوا جزاء فيكون معنى الكلام ان من عمل صالحا فانا لا نضيع أجره فتضمر الفاء في قوله انا وجائز أن يكون خبرها أولئك لهم جنات عدن فيكون معنى الكلام ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات عدن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عدن يعني بساتين اقامة في الآخرة تجري من تحتهم الانهار يقول تجري من دونهم وبين أيديهم الانهار وقال جل ثناؤه من تحتهم ومعناه من دونهم وبين أيديهم يحلون فيها من أساور يقول يلبسون فيها من الحلي أساور من ذهب والاساور جمع إسوار وقوله يلبسون ثيابا خضرا من سندس والسندس جمع واحدها سندسة وهي مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وثخن وقيل ان الاستبرق هو الحرير ومنه قول المرقش

تراهن يلبسن المشاعر مرة * وإستبرق الديباج طورا لباسها

يعني وغليظ الديباج وقوله متكئين فيها على الارائك يقول متكئين في جنات عدن على الارائك

المختلفة فيكون حاله خلاف روح أدركته العناية الازلية فبعث اليه دهقان من أهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة والباقيات الصالحات أي ما فني منك وبقي بربك والله أعلم بالصواب ﴿ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي

وهى السرر فى الحجال واحدتها أريكة ومنه قول الشاعر

(٣) حدودا حفت فى السير حتى كأنما * يباشرن بالمعزاء مس الأرائك

ومنه قول الأعشى

بين الرواق وجانب من سترها * منها وبين أريكة الانصار

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله على الارائك قال هى الحجال قال معمر وقال غيره السرر فى الحجال وقوله نعم الثواب يقول نعم الثواب جنات عدن وما وصف جل ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحسنت مرتفقا يقول وحسنت هذه الارائك فى هذه الجنان التى وصف تعالى ذكره فى هذه الآية متكأ وقال جل ثناؤه وحسنت مرتفقا فأنث الفعل بمعنى وحسنت هذه الأرائك مرتفقا ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صوابا لان نعم وبئس انما تدخلهما العرب فى الكلام لتدلا على المدح والذم لا للفعل فلذلك تذكرهما مع المؤنث وتوحدهما مع الاثنين والجماعة

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه مثلا مثل رجلين جعلنا لاحدهما جنتين أى جعلنا له بستانين من كروم وحففناهما بنخل يقول وأطفنا هذين البستانين بنخل وقوله وجعلنا بينهما زرعا يقول وجعلنا وسط هذين البستانين زرعا وقوله كلتا الجنتين آتت أكلها يقول كلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس من النخل والكرم وصنوف الزروع وقال كلتا الجنتين ثم قال آتت فوحد الخبر لان كلتا لا يفرد واحدتها وأصله كل وقد تفرد العرب كلتا أحيانا ويذهبون بها وهى مفردة الى التثنية قال بعض الرجاز فى ذلك

فى كلت رجليها سلامى واحده * كلتاهما مقرونة بزائده

يريد بكلت كلتا وكذلك تفعل بكلتا وكلا وكل اذا أضيفت الى معرفة وجاء الفعل بعدهن ويجمع ويوحد وقوله ولم تظلم منه شيأ يقول ولم تنقص من الاكل شيأ بل آتت ذلك تاما كاملا ومنه قولهم ظلم فلان فلانا حقه اذا بخسه ونقصه كما قال الشاعر

تظلمنى مالى كذا ولوى يدى * لوى يده الله الذى هو غالبه

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم تظلم منه شيأ أى لم تنقص منه شيأ وقوله وفجرنا خلالهما نهرا يقول تعالى ذكره وسيلنا خلال هذين البستانين نهرا يعنى بينهما وبين أشجارهما نهرا وقيل وفجرنا فثقل الجيم منه لأن التفجير فى النهر كله وذلك أنه يميد ماء فيسيل بعضه بعضا وقوله وكان له ثمر اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق وكان له ثمر بضم الثاء والميم واختلف قارؤ ذلك كذلك فقال بعضهم كان له ذهب وفضة وقالوا ذلك هو الثمر لانها أموال مثمرة يعنى مكثرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وكان له ثمر قال ذهب وفضة وفى قول الله عز وجل بثمره قال هى أيضا ذهب وفضة حدثنا القاسم قال ثنا

الحسين

وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾

﴿ القرا آت تسير الجبال على بناء الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والآخرون على بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال ما أشهدناهم يزيد الآخرون ما أشهدتهم وما كنت على الخطاب روى ابن وردان عن يزيد الباقون على التكلم ويوم تقول بالنون حمزة الباقون على الغيبة قبلا بضمتين عاصم وحمزة والكسائى الباقون بكسر القاف وفتح الباء لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام ﴿ الوقوف بارزة لا لان التقدير وقد حشرناهم قبل ذلك أحدا ه ج للآية مع العطف صفا ط للعدول والحذف أى يقال لهم لقد جئتمونا أول مرة ز لان بل قد يبتدأ به مع أن الكلام متحد موعدا ه أحصاها ج لاستئناف الواو بعد تمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضرا ه ط أحدا ه الا ابليس ط أمر ربه ط عدو ط بدلا ه أنفسهم ص

---

(٣) لم نعثر على هذا البيت بعد البحث وهو فى الأصل الخط كما ترى فليحرر اه كتبه مصححه

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ثمر قال ذهب وفضة قال وقوله وأحيط بثمره هى هى أيضا * وقال آخرون بل عنى به المال الكثير من صنوف الاموال ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن هرون عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال قرأها ابن عباس وكان له ثمر بالضم وقال يعنى أنواع المال حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وكان له ثمر يقول مال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وكان له ثمر يقول من كل المال حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأحيط بثمره قال الثمر من المال كله يعنى الثمر وغيره من المال كله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال الثمر المال كله قال وكل مال اذا اجتمع فهو ثمر اذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله * وقال آخرون بل عنى به الاصل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان له ثمر الثمر الأصل قال وأحيط بثمره قال بأصله وكأن الذين وجهوا معناها الى أنها أنواع من المال أرادوا أنها جمع ثمار جمع ثمر كما يجمع الكتاب كتبا والحمار حمرا وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء فى هذه القراءة ثمر بضم الثاء وسكون الميم وهو يريد الضم فيها غير أنه سكنها طلب التخفيف وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع ثمرة كما تجمع الخشبة خشبا وقرأ ذلك بعض المدنيين وكان له ثمر بفتح الثاء والميم بمعنى جمع الثمرة كما تجمع الخشبة خشبا والقصبة قصبا * وأولى القراآت فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ وكان له ثمر بضم الثاء والميم لاجماع الحجة من القراء عليه وان كانت جمع ثمار كالكتب جمع كتاب ومعنى الكلام وفجرنا خلالهما نهرا وكان له منهما ثمر بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه قوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ثم قال وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع ثمر وقوله فقال لصاحبه وهو يحاوره يقول عز وجل فقال هذا الذى جعلنا له جنتين من أعناب لصاحبه الذى لا مال له وهو يخاطبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا يقول وأعز عشيرة ورهطا كما قال عيينة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن سادات العرب وأرباب الاموال فنح عنا سلمان وخبابا وصهيبا احتقارا لهم وتكبرا عليهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا وتلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى جعلنا له جنتين من أعناب دخل جنته وهى بستانه وهو ظالم لنفسه وظلمه نفسه كفره بالبعث وشكه فى قيام الساعة ونسيانه المعاد الى الله تعالى فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه وقوله قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا يقول جل ثناؤه قال لما عاين جنته ورآها وما فيها من الاشجار والثمار والزروع والانهار المطردة شكا فى المعاد الى الله ما أظن أن تبيد هذه الجنة أبدا ولا تفنى ولا تخرب وما أظن الساعة التى وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه فقال ولئن رددت الى ربى فرجعت اليه وهو غير موقن أنه راجع اليه لأجدن خيرا منها منقلبا يقول لأجدن خيرا من جنتى هذه عند الله ان رددت اليه مرجعا ومردا يقول لم يعطنى هذه الجنة فى الدنيا إلا ولى عنده أفضل منها فى المعاد ان رددت اليه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

عضدا ٥ موبقا ٥ مصرفا ٥ مثل ط جدلا ٥ قبلا ٥ ومنذرين ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف هزوا ٥ يداه ط وقرا ٥ ط لاختلاف الجملتين مع ابتداء الشرط أبدا ٥ الرحمة ط العذاب ط موئلا ٥ موعدا ٥ ۞ التفسير لما بين خساسة الدنيا وشرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة وأهواله وفيه رد على أغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الأموال والأولاد على فقراء المسلمين والتقدير واذكر يوم كذا عطفا على واضرب ويجوز أن ينتصب بالقول المضمر قبل ولقد

وما أظن الساعة قائمة قال شك ثم قال ولئن كان ذلك ثم رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا
ما أعطانى هذه إلا ولى عنده خير من ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة
كفور لنعم ربه مكذب بلقائه متمن على الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال له صاحبه وهو
يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا لكنّ هو الله ربى ولا أشرك
بربى أحدا﴾ يقول تعالى ذكره قال لصاحب الجنتين صاحبه الذى هو أقل منه مالا وولدا وهو
يحاوره يقول وهو يخاطبه ويكلمه أكفرت بالذى خلقك من تراب يعنى خلق أباك آدم من تراب
ثم من نطفة يقول ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة ثم سوّاك رجلا يقول ثم عدلك بشرا سويا
رجلا ذكرا لا أنثى يقول أكفرت عن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا بعد ما تصير رفاتا
لكنّ هو الله ربى يقول أما أنا فلا أكفر بربى ولكن أنا هو الله ربى معناه أنه يقول ولكن أنا أقول
هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا وفى قراءة ذلك وجهان أحدهما لكنّ هو الله ربى بتشديد
النون وحذف الالف فى حال الوصل كما يقال أنا قائم فتحذف الالف من أنا وذلك قراءة عامة قراء
أهل العراق وأما فى الوقف فان القرأة كلها تثبت فيها الالف لأن النون انما شددت لاندغام النون
من لكن وهى ساكنة فى النون التى من أنا اذ سقطت الهمزة التى فى أنا فاذا وقف عليها ظهرت الالف
التى فى أنا فقيل لكنا لانه يقال فى الوقف على أنا باثبات الالف لا باسقاطها وقرأ ذلك جماعة
من أهل الحجاز لكنا باثبات الالف فى الوصل والوقف وذلك وان كان مما ينطق به فى ضرورة الشعر
كما قال الشاعر

أنا سيف العشيرة فاعرفونى * حميدا قد تذريت السناما

فأثبت الالف فى أنا فليس ذلك بالفصيح من الكلام والقراءة التى هى القراءة الصحيحة عندنا
ما ذكرنا عن العراقيين وهو حذف الالف من لكنّ فى الوصل واثباتها فى الوقف ۞ القول فى
تأويل قوله تعالى ﴿ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا
وولدا﴾ يقول عز ذكره وهلا اذ دخلت بستانك فأعجبك ما رأيت منه قلت ما شاء الله كان وفى
الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه وهو جواب الجزاء وذلك كان واذا وجه الكلام
الى هذا المعنى الذى قلنا كانت ما نصبا بوقوع فعل الله عليه وهو شاء وجاز طرح الجواب لان معنى
الكلام معروف كما قيل فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض وترك الجواب اذ كان مفهوما
معناه وكان بعض أهل العربية يقول ما من قوله ما شاء الله فى موضع رفع باضمار هو كأنه قيل
قلت هو ما شاء الله لا قوة الا بالله يقول لا قوة على ما نحاول من طاعته الا به وقوله ان ترن أنا أقل
منك مالا وولدا وهو قول المؤمن الذى لا مال له ولا عشيرة مثل صاحب الجنتين وعشيرته وهو مثل
سلمان وصهيب وخباب يقول قال المؤمن للكافر ان ترنى أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولدا واذا
جعلت أنا عمادا نصبت أقل وبه القراءة عندنا لأن عليه قرأة الامصار واذا جعلته اسما رفعت
أقل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾ يقول تعالى ذكره
مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد الى الله للكافر المرتاب فى قيام الساعة ان ترنى أيها الرجل أنا أقل
مالا وولدا فى الدنيا فعسى ربى أن يرزقنى خيرا من بستانك هذا ويرسل عليها يعنى على جنة الكافر
التى قال لها ما أظن أن تبيد هذه أبدا حسبانا من السماء يقول عذابا من السماء ترمى به رميا

حشرناهم وفاعل التسيير هو الله تعالى
الا أنه سمى على احدى القراءتين ولم
يسم فى الاخرى فتسييرها اما الى
العدم لقوله ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربى نسفا وبست الجبال
بسا فكانت هباء منبثا واما الى
موضع لا يعلمه الا الله (وترى الارض
بارزة) لأنه لا يبقى على وجهها شئ
يسترها من العمارات ولا من الجبال
والاشجار واما لأنها أبرزت ما فى
بطنها من الاموات لقوله وألقت ما
فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازيا
أى بارزا ما فى جوفها (وحشرناهم)
الضمير للخلائق المعلوم حكما (فلم نغادر
منهم أحدا) من الاولين والآخرين

وتقذف وا لحسبان جمع حسبانة وهي المرامي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يرسل عليها حسبانا من السماء عذابا حدثت عن محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك قال عذابا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويرسل عليها حسبانا من السماء قال عذابا قال الحسبان قضاء من الله يقضيه حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قال الحسبان العذاب حدثنا الحسن بن محمد قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حسبانا من السماء قال عذابا وقوله فتصبح صعيدا زلقا يقول عز ذكره فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضا ملساء لا شيء فيها قد ذهب كل ما فيها من غرس ونبت وعادت خرابا بلاقع زلقا لا يثبت في أرضها قدم لاملساسها ودروس ما كان نابتا فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتصبح صعيدا زلقا أي قد حصد ما فيها فلم يترك فيها شيء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فتصبح صعيدا زلقا قال مثل الجرز حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتصبح صعيدا زلقا قال صعيدا زلقا وصعيدا جرزا واحد ليس فيها شيء من النبات وقوله أو يصبح ماؤها غورا يقول أو يصبح ماؤها غائرا فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر كما قال الشاعر

تظل جياده نوحا عليه * مقلدة أعنتها صفونا

يعني نائحة وكما قال الآخر

هريق من دموعهما سجاما * ضباع وجاوبي نوحا قياما

والعرب توحد الغور مع الجمع والاثنين وتذكر مع المذكر والمؤنث تقول ماء غور وما آن غور ومياه غور ويعني بقوله غورا ذاهبا قد غار في الارض فذهب فلا تلحقه الرشاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يصبح ماؤها غورا أي ذاهبا قد غار في الارض وقوله فلن تستطيع له طلبا يقول فلن تطيق أن تدرك الماء الذي كان في جنتك بعد غوره بطلبك اياه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾ يقول تعالى ذكره وأحاط الهلاك والجوائح بثمره وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها ما أظن أن تبيد هذه أبدا فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته وهي خاوية على عروشها يقول وهي خالية على نباتها وبيوتها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأصبح يقلب كفيه أي يصفق كفيه على ما أنفق فيها متلهفا على ما فاته وهو يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ويقول يا ليتني يقول يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدا يعني بذلك هذا الكافر اذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله ود أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيأ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فئة وهم الجماعة كما قال العجاج * كما يحوز الفئة الكمي * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان خالف بعضهم في العبارة عنه عبارتنا فان معناهم نظير معنانا فيه ذكر من

يقال غادره وأغدره اذا تركه والترك غير لائق ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان اللائق بحال السيل أن يذهب بالماء كله ولا يخفى أن اللائق بحال رب العزة أن لا يترك أحدا من خلقه غير محشور والا كان قدحا في علمه وحكمته وقدرته قالت المشبهة في قوله (وعرضوا على ربك) دليل على أنه سبحانه في مكان يمكن أن يعرض عليه أهل القيامة وكذلك في قوله (لقد جئتمونا) وأجيب بأنه تعالى شبه وقوفهم في الموضع الذي يسألهم فيه عن أعمالهم بالعرض عليه وبالمجيء الى حكمه كما يعرض الجند

قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحارث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل
ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله قال عشيرته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أي جند ينصرونه وقوله ينصرونه من دون الله
يقول يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله اذا عاقبه وعذبه وقوله وما كان منتصرا يقول ولم يكن
ممتنعا من عذاب الله اذا عذبه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
وما كان منتصرا أي ممتنعا وقوله هنالك الولاية لله الحق يقول عز ذكره ثم وذلك حين حل عذاب
الله بصاحب الجنتين في القيامة واختلفت القراء في قراءة قوله الولاية فقرأ بعض أهل المدينة
والبصرة والكوفة هنالك الولاية بفتح الواو من الولاية يعنون بذلك هنالك الموالاة لله كقول الله
الله ولي الذين آمنوا وكقوله ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا يذهبون بها الى الولاية في الدين وقرأ
ذلك عامة قراء الكوفة هنالك الولاية بكسر الواو من الملك والسلطان من قول القائل وليت عمل
كذا أو بلدة كذا أليه ولاية * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو وذلك
أن الله عقب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه وأن من أحل به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ
فاتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجر لها ذكر
ولا معنى لقول من قال لا يسمى سلطان الله ولاية وانما يسمى ذلك سلطان البشر لان الولاية معناها
أنه يلي أمر خلقه منفردا به دون جميع خلقه لا أنه يكون أميرا عليهم واختلفوا أيضا في قراءة قوله
الحق فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق خفضا على توجيهه الى أنه من نعت الله والى أن معنى
الكلام هنالك الولاية لله الحق ألوهية (١) لا الباطل بطول ألوهيته التي يدعونها المشركون بالله آلهة
وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين لله الحق برفع الحق توجيها منهما الى أنه من
نعت الولاية ومعناه هنالك الولاية الحق لا الباطل لله وحده لا شريك له * وأولى القراءتين عندي
في ذلك بالصواب قراءة من قرأه خفضا على أنه من نعت الله وأن معناه ما وصفت على قراءة من قرأه
كذلك وقوله هو خير ثوابا يقول عز ذكره خير للمنيبين في العاجل والآجل ثوابا وخير عقبا
يقول وخيرهم عاقبة في الآجل اذا صار اليه المطيع له العامل بما أمره الله والمنتهي عما نهاه الله
عنه والعقب هو العاقبة يقال عاقبة أمر كذا وعقباه وعقبه وذلك آخره وما يصير اليه منتهاه وقد
اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة عقبا بضم العين وتسكين القاف (٢) والقول
في ذلك عندنا أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب

القول في تأويل قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ يقول عز ذكره
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك اطرد عنك هؤلاء
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلا يقول شبها كماء أنزلناه من
السماء يقول كمطر أنزلناه من السماء الى الارض فاختلط به نبات الارض يقول فاختلط بالماء
نبات الارض فأصبح هشيما يقول فأصبح نبات الارض يابسا متفتتا تذروه الرياح يقول تطيره
الرياح وتفرقه يقال منه ذرته الريح تذروه ذروا وذرته ذريا وأذرته تذريه اذراء كما قال الشاعر

فقلت له صوب ولا تجهدنه * فيذرك من أخرى القطاة فتزلق

على السلطان وانتصب صفا على
الحال أي مصطفين ظاهرين ترى
جماعاتهم كما يرى كل واحد لا يحجب
أحد أحدا والصف اما واحد
واما جمع كقوله يخرجكم طفلا
أي أطفالا وقيل صفا أي قياما
وبه فسر قوله فاذكروا اسم الله
عليها صواف وقال القفال يشبه
أن يكون الصف راجعا الى الظهور
والبروز ومنه الصفصف للصحراء
وهذا قريب من الاول وقد عرف
الانعام أن وجه التشبيه في قوله
(خلقناكم) أنهم يبعثون عراة لا شيء
معهم أو المراد بعثناكم كما أنشأناكم
وزعمهم أن لن يجعل الله لهم موعدا

(١) لعله لا الباطل ألوهيته كالأصنام التي يدعونها الخ تأمل
(٢) سقط من قلم الناسخ القراءة الثانية وهي عقبا بضم العين والقاف فتنبه اهـ كتبه مصححه

يقال أذريت الرجل عن الدابة والبعير اذا ألقيته عنه وقوله وكان الله على كل شئ مقتدرا يقول
وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة
قائمة واهلاك أموال ذي الاموال الباخلين بها عن حقوقها وازالة دنيا الكافرين به عنهم وغير ذلك
مما يشاء قادر لا يعجزه شئ أراده ولا يعييه أمر أراده يقول فلا يفخر ذو الاموال بكثرة أمواله ولا
يستكبر على غيره بها ولا يغترن أهل الدنيا بدنياهم فانما مثلها مثل هذا النبات الذي حسن استواؤه
بالمطر فلم يكن إلا ريث أن انقطع عنه الماء فتناهى نهايته عاد يبسا تذروه الرياح فاسدا تنبو عنه
أعين الناظرين ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير ۞ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير
أملا﴾ يقول تعالى ذكره المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع ويتكبران
بها على سلمان وخباب وصهيب مما يتزين به في الحياة الدنيا وليسا من عداد الآخرة والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا يقول وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله ودعائهم ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه الباقي لهم من الاعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا خير يا محمد
عند ربك ثوابا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها التي تفنى فلا تبقى لاهلها وخير
أملا يقول وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب خير مما يؤمل عيينة والاقرع من أموالهما
وأولادهما وهذه الآيات من لدن قوله واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك الى هذا الموضع ذكر
أنها نزلت في عيينة والأقرع ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي قال ثنا
أبي قال ثنا أسباط بن نصر عن السدي عن أبي سعيد الازدي وكان قارئ الازد عن أبي الكنود
عن خباب في قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ثم ذكر القصة التي ذكرناها في سورة
الانعام في قصة عيينة والأقرع الى قوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا قال عيينة والأقرع
واتبع هواه قال قال ثم ضرب لهم مثلا رجلين ومثل الحياة الدنيا واختلف أهل التأويل في المعني
بالباقيات الصالحات اختلافهم في المعني بالدعاء الذي وصف جل ثناؤه به الذين نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن طردهم وأمره بالصبر معهم فقال بعضهم هي الصلوات الخمس وقال بعضهم
هي ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل ونحو ذلك وقال بعضهم هي العمل بطاعة الله وقال
بعضهم الكلام الطيب ذكر من قال هي الصلوات الخمس حدثني محمد بن ابراهيم الأنماطي
قال ثنا يعقوب بن كاسب قال ثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال سمعت عبد الله بن يزيد
ابن هرمز يحدث عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال الباقيات الصالحات الصلوات الخمس
حدثني زريق بن اسحق قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير
في قوله والباقيات الصالحات قال الصلوات الخمس حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا
أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبي اسحق عن عمرو بن شرحبيل في هذه الآية والباقيات
الصالحات قال هي الصلوات المكتوبات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الباقيات الصالحات
الصلوات الخمس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله
عن ابراهيم قال الباقيات الصالحات الصلوات الخمس حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن
منصور عن أبي اسحق عن أبي ميسرة والباقيات الصالحات قال الصلوات الخمس ۞ ذكر من قال هن
ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك حدثنا ابن حميد وعبيد الله بن أبي زياد ومحمد بن عمارة

أي وقتا لانجاز ما وعدوا على ألسنة
الانبياء اما أن يكون حقيقة واما
لان أفعالهم تشبه فعل من يزعم
ذلك (ووضع الكتاب) أي جنسه
وهو صحف الاعمال والوضع اما
حسي وهو أن يوضع كتاب كل
انسان في يده اما في اليمين أو في
الشمال واما عقلي ومعناه النشر
والاعتبار (فترى المجرمين
مشفقين) خائفين مما في الكتاب
لان الخائن خائف خوف العقاب
وخوف الافتضاح ومعنى النداء في
(يا ويلتنا) قدمر في المائدة في قوله
يا ويلتى أعجزت وقوله (صغيرة ولا
كبيرة) صفتان للهيئة أو المعصية أو

الاسدى قالوا ثنا عبدالله بن يزيد قال أخبرنا حيوة قال أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشى من بنى تيم من رهط أبى بكر الصديق أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول قيل لعثمان ما الباقيات الصالحات قال هن لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبو زرعة قال ثنا حيوة قال ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول قيل لعثمان بن عفان ما الباقيات الصالحات قال هى لا اله الا الله وسبحان الله وبحمده والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد قالا ثنا زهرة بن معبد قال سمعت الحرث مولى عثمان بن عفان يقول قالوا لعثمان ما الباقيات الصالحات فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الله ابن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله والباقيات الصالحات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس فى قوله والباقيات الصالحات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا مالك عن عمارة ابن عبد الله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أخبرنى عبد الله بن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس أنه أخبره انه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابن جريج وقال عطاء بن أبى رباح مثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله والباقيات الصالحات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال أرسلنى سالم الى محمد ابن كعب القرظى فقال قل له القنى عند زاوية القبر فان لى اليك حاجة قال فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ما تعد الباقيات الصالحات فقال لا اله الا الله والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فقال له سالم متى جعلت فيها لا حول ولا قوة الا بالله فقال مازلت أجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال فأثبت قال سالم أجل فأثبت فان أبا أيوب الانصارى حدثنى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول عرج بى الى السماء فأريت ابراهيم فقال يا جبريل من هذا معك فقال محمد فرحب بى وسهل ثم قال مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وجدت فى كتابى عن الحسن ابن الصباح البزار عن أبى نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر من الباقيات الصالحات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله والباقيات الصالحات خير قال لا اله الا الله والله أكبر

الفلاة وهى عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا حصر الصنفين فقد حصر الكل وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك أن تلك الصغائر هى التى جرأتهم على الكبائر وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز فى الكشاف أن يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث فى المسألة أسلفناه فى أوائل سورة النساء فى تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فتذكر

والحمدلله وسبحان الله هن الباقيات الصالحات **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وماهي يارسول الله قال الملة قيل وماهي يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولاحول ولاقوة الابالله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مالك عن عمارة بن صياد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول في الباقيات الصالحات انها قول العبد الله أكبر وسبحان الله والحمدلله ولاحول ولاقوة الابالله **حدثني** ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال ثني ابن عجلان عن عمارة بن صياد قال سألني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت الصلاة والصيام قال لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس لااله الاالله والله أكبر وسبحان الله والحمدلله ولاحول ولاقوة الابالله ❊ ذكر من قال هي العمل بطاعة الله عز وجل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا قال الأعمال الصالحة سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر **حدثني** علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والباقيات الصالحات قال هي ذكر الله قول لااله الاالله والله أكبر وسبحان الله والحمدلله وتبارك الله ولاحول ولاقوة الابالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لاهلها في الجنة مادامت السموات والارض **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا قال الأعمال الصالحة ❊ ذكر من قال هي الكلام الطيب **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والباقيات الصالحات قال الكلام الطيب ❊ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال هن جميع أعمال الخير كالذي روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لان ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة وعليها يجازى ويثاب وان الله عز ذكره لم يخصص من قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا بعضا دون بعض في كتاب ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك بخلاف ماظن وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ورد بأن قول سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر هن من الباقيات الصالحات ولم يقل هن جميع الباقيات الصالحات ولا كل الباقيات الصالحات وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات وغيرها من أعمال البر أيضا باقيات صالحات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نسير الجبال عن الارض فنبسها بسا ونجعلها هباء منبثا وترى الارض بارزة ظاهرة وظهورها لرأي أعين الناظرين من غير شيء يسترها من جبل ولاشجر هو بروزها ❊ وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وترى الارض بارزة قال لاخمر فيها ولاغيابة ولابناء ولاحجر فيها **حدثني** القاسم قال ثنا

(ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف مثبتا فيها أو وجدوا جزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات أحوالهم (ولا يظلم ربك أحدا) استدل الجبائي به على بطلان مذهب الاشاعرة في أن الأطفال يجوز أن تعذب بذنوب آبائهم فان ذلك ظلم والجواب أن الظلم انما يتصور في حق من تصرف في غير ملكه قالوا لو ثبت أن له بحكم المالكية أن يفعل مايشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة وأجيب بأن تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من مثل هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وترى الارض بارزة ليس عليها بناء ولا شجر وقيل معنى ذلك وترى الارض بارزا أهلها الذين كانوا فى بطنها فصاروا على ظهرها وقوله وحشرناهم يقول جمعناهم الى موقف الحساب فلم نغادر منهم أحدا يقول فلم نترك ولم نبق منهم تحت الارض أحدا يقال منه ماغادرت من القوم أحدا وما أغدرت منهم أحدا ومن أغدرت قول الراجز

هل لك والعارض منك عائض * فى هجمة يغدر منها القابض

وقوله وعرضوا على ربك صفا يقول عز ذكره وعرض الخلق على ربك يا محمد صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة يقول عز ذكره يقال لهم اذ عرضوا على الله لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أول مرة وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد فى الكلام وقوله بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله به الجميع والمراد منه الخصوص وذلك أنه قد يرد القيامة خلق من الأنبياء والرسل والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث ومعلوم أنه لا يقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله فى الدنيا وأهل اليقين فيها بقيام الساعة بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات والحشر الى القيامة موعدا وأن ذلك انما يقال لمن كان فى الدنيا مكذبا بالبعث وقيام الساعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ يقول عز ذكره ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده فى أيديهم فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله فترى المجرمين مشفقين مما فيه يقول عز ذكره فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين يقول خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التى عملوها فى الدنيا أن يؤاخذوا بها ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها يعنى أنهم يقولون اذا قرؤا كتابهم ورأوا ما قد كتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التى قد أحصاها كتابهم ولم يقدروا أن ينكروا صحتها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها اشتكى القوم كما تسمعون الاحصاء ولم يشتك أحد ظلما فاياكم والمحقرات من الذنوب فانها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب لها مثلا يقول كمثل قوم انطلقوا يسيرون حتى نزلوا بفلاة من الارض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل يحتطب فجعل الرجل يجىء بالعود ويجىء الآخر بالعود حتى جمعوا سوادا كثيرا وأججوا نارا فان الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه وقيل انه عنى بالصغيرة فى هذا الموضع الضحك ذكر من قال ذلك حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا محمد بن موسى عن (٣) الزيال بن عمرو عن ابن عباس لا يغادر صغيرة ولا كبيرة قال الضحك حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبى قال حدثتنى أمى حمادة ابنة محمد قالت سمعت أبى محمد بن عبد الرحمن يقول فى هذه الآية فى قول الله عز وجل مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة الضحك ويعنى بقوله مال هذا الكتاب ماشأن هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة يقول لا يبقى صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها الا أحصاها يقول الا حفظها ووجدوا ما عملوا فى الدنيا من عمل حاضرا فى كتابهم ذلك مكتوبا مثبتا فجوزوا بالسيئة مثلها والحسنة ما الله جازيهم بها ولا يظلم ربك أحدا يقول ولا يجازى

يحاسب الناس فى القيامة على ثلاثة يوسف وأيوب وسليمن يدعو المملوك فيقول له ماشغلك عنى فيقول جعلتنى عبد الآدمى فلم تفرغنى فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك أن عبدنى فيؤمر به الى النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال أشغلتنى بالبلاء دعا بأيوب فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلائك فلم يمنعه ذلك عن عبادتى و يؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك فى الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلنى الملك عن ذلك فيدعى بسليمن فيقول هذا عبدى

ربك أحدا يا محمد بغير ما هو أهله لا يجازي بالاحسان الا أهل الاحسان ولا بالسيئة الا أهل السيئة وذلك هو العدل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ يقول تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين حسد ابليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذي كان عليه لأبيهم واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الذي يطيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره ويخالفون أمر الله فانه لم يسجد له استكبارا على الله وحسدا لآدم كان من الجن واختلف أهل التأويل في معنى قوله كان من الجن فقال بعضهم انه كان من قبيلة يقال لهم الجن وقال آخرون بل كان من خزان الجنة فنسب الى الجنة وقال آخرون بل قيل من الجن لانه من الجن الذين استجنوا عن أعين بني آدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فذلك هو الذي دعاه الى الكبر وكان من حي يسمون جنا حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان ابن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحرث قال وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت حدثنا ابن المثنى قال ثني شيبان قال ثنا سلام بن مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله الا ابليس كان من الجن قال كان ابليس من خزان الجنة وكان يدبر أمر سماء الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان ابليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وكان له سلطان الارض وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه الا الله فلما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لآدم استخرج الله كبره عند السجود فلعنه وأخره الى يوم الدين قال قال ابن عباس وقوله كان من الجن انما سمي بالجنان أنه كان خازنا عليها كما يقال للرجل مكي ومدني وكوفي وبصري قاله ابن جريج * وقال آخرون هم سبط من الملائكة قبيلة وكان اسم قبيلته الجن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة من الجن وكان ابليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله عليه فمسخه شيطانا رجيما لعنه الله ممسوخا قال واذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه واذا كانت خطيئته في معصية فارجه وكانت خطيئة آدم في معصية وخطيئة ابليس في كبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وقال ابن عباس لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود وكان على خزانة السماء الدنيا قال وكان قتادة يقول جن عن طاعة ربه وكان الحسن يقول ألجأه الله الى نسبه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا

سليمن آتيته أكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد على أرباب الخيلاء من قريش فذكر قصة آدم واستكبار ابليس عليه قال جار الله قوله كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ماله لم يسجد فقيل (كان من الجن ففسق) والفاء للتسبيب أي كونه من الجن سبب في فسقه ولو كان ملكا لم يفسق لثبوت عصمة الملائكة وقال آخرون اشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل

عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا ابليس كان من الجن قال كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل الانس حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كان ابليس على السماء الدنيا وعلى الارض وخازن الجنان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فسجدوا الا ابليس كان من الجن كان ابن عباس يقول ان ابليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الارض وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه الا الله فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم فاستكبر وكان من الكافرين فذلك قوله للملائكة انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعني ما أسر ابليس في نفسه من الكبر وقوله كان من الجن كان ابن عباس يقول قال الله كان من الجن لانه كان خازنا على الجنان كما يقال للرجل مكي ومدني وبصري وكوفي * وقال آخرون كان اسم قبيلة ابليس الجن وهم سبط من الملائكة يقال لهم الجن فلذلك قال الله عز وجل كان من الجن فنسبه الى قبيلته حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله كان من الجن قال من الجنانين الذين يعملون في الجنان حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو سعيد اليحمدي اسمعيل بن ابراهيم قال ثني سوار بن الجعد اليحمدي عن شهر بن حوشب قوله من الجن قال كان ابليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه قال كان خازن الجنان فسمى بالجنان حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا أحمد بن بشير عن سفيان بن أبي المقدام عن سعيد بن جبير قال كان ابليس من خزنة الجنة وقد بينا القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله ففسق عن أمر ربه يقول فخرج عن أمر ربه وعدل عنه ومال كما قال رؤبة

يهوين في نجد وغورا غائرا * فواسقا عن قصدها جوائرا

يعني بالفواسق الابل المنعدلة عن قصد نجد وكذلك الفسق في الدين انما هو الانعدال عن القصد والميل عن الاستقامة ويحكى عن العرب سماعا فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت منه وفسقت الفأرة اذا خرجت من جحرها وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول انما قيل ففسق عن أمر ربه لانه مراد به ففسق عن رده أمر الله كما تقول العرب اتخمت عن الطعام بمعنى اتخمت لما أكلته وقد بينا القول في ذلك وأن معناه عدل وجار عن أمر الله وخرج عنه وقال بعض أهل العلم بكلام العرب معنى الفسق الاتساع وزعم أن العرب تقول فسق في النفقة بمعنى اتسع فيها قال وانما سمي الفاسق فاسقا لاتساعه في محارم الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ففسق عن أمر ربه قال في السجود لآدم حدثنا القاسم قال ثنا

الملائكة والنوع المسمى بالجن ثم من لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن أوجب قال كان بمعنى صار أي مسخ عن حقيقة الملائكة الى حقيقة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه في أول سورة البقرة ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه أنه لما أمر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الأمر ولولا ذلك الأمر الشاق لما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن أن يقال فسق عن أمر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف أي فسق عن ترك أمره ثم عجب من حال من أطاع ابليس في الكفر

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ففسق عن أمر ربه قال عصى
فى السجود لآدم وقوله أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو يقول تعالى ذكره
أفتوالون يا بنى آدم من استكبر على أبيكم وحسده وكفر نعمتى عليه وغره حتى أخرجه من الجنة
ونعيم عيشه فيها الى الارض وضيق العيش فيها وتطيعونه وذريته من دون الله مع عداوته لكم قديما
وحديثا وتتركون طاعة ربكم الذى أنعم عليكم وأكرمكم بأن أسجد لوالدكم ملائكته وأسكنه
جنانه وآتاكم من فواضل نعمه مالا يحصى عدده وذرية ابليس الشياطين الذين يغرون بنى آدم
كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أفتتخذونه
وذريته أولياء من دونى قال ذريته هم الشياطين وكان يعدهم زلنبور صاحب الاسواق ويضع
رايته فى كل سوق ما بين السماء والارض وثبر صاحب المصائب والأعور صاحب الزنا ومسوط
صاحب الأخبار يأتى بها فيلقيها فى أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم الذى اذا دخل الرجل
بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع واذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا حفص بن غياث قال سمعت الأعمش
يقول اذا دخلت البيت ولم أسلم رأيت مطهرة فقلت ارفعوا ارفعوا وخاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم
داسم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد قال
هم أربعة ثبر وداسم وزلنبور والأعور ومسوط أحدها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى الآية وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم وهم
لكم عدو حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفتتخذونه وذريته
أولياء من دونى وهم لكم عدو وهو أبو الجن كما آدم أبو الانس وقال قال الله لابليس انى لا أذرأ
لآدم ذرية الا ذرأت لك مثلها فليس من ولد آدم أحد الا له شيطان قد قرن به وقوله بئس للظالمين
بدلا يقول عز ذكره بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ ابليس وذريته أولياء من دون الله وهم لكم
عدو من تركهم اتخاذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم
المتفضل عليهم من الفواضل مالا يحصى بدلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بئس للظالمين بدلا بئسما
استبدلوا بعبادة ربهم اذ أطاعوا ابليس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما أشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ يقول عز ذكره ما أشهدت
ابليس وذريته خلق السموات والأرض يقول ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها ولا
خلق أنفسهم يقول ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم فأستعين به على خلقه بل تفردت
بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير يقول فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دونى وهم خلق
من خلق أمثالهم وتركوا عبادتى وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم وخالقهم وخالق من يوالونه من
دونى منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير وقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا يقول وما
كنت متخذ من لا يهدى الى الحق ولكنه يضل من تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا
وهو من قولهم فلان يعضد فلانا اذا كان يقويه ويعينه * وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت
متخذ المضلين عضدا أى أعوانا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن قتادة مثله وانما يعنى بذلك أن ابليس وذريته يضلون بنى آدم عن الحق ولا يهدونهم
للرشد وقد يحتمل أن يكون عنى بالمضلين الذين هم أتباع على الضلالة وأصحاب على غير هدى

والمعاصى وخالف أمر الله فقال
(أفتتخذونه) كأنه قيل أعقيب
ما وجد منه من الاباء والفسق
تتخذونه (وذريته أولياء من دونى)
وتستبدلونهم بى وقصة آدم وابليس
سمعها قريش من أهل الكتاب
وعرفوا صحتها فلذلك صح الاحتجاج
بها عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد
صلى الله عليه وسلم نبيا (بئس
للظالمين بدلا) أى بئس البدل من
الله ابليس لمن استبدل به فأطاعه
بدل طاعته قال الجبائى فى الآية
دلالة على أنه لا يريد الكفر ولا يخلقه
فى العبد والا لم يصح هذا الذم
والتوبيخ وعورض بالعلم والداعى كما

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ يقول عز ذكره ويوم يقول الله عز ذكره للمشركين به الآلهة والانداد نادوا شركائى الذين زعمتم يقول لهم ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائى فى العبادة لينصروكم ويمنعوكم منى فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يقول فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم موبقا فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء فى الدنيا يومئذ عداوة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبدالله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله وجعلنا بينهم موبقا قال جعل بينهم عداوة يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان بن عمر عن عوف عن الحسن وجعلنا بينهم موبقا قال عداوة * وقال آخرون معناه وجعلنا فعلهم ذلك لهم مهلكا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلنا بينهم موبقا قال مهلكا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله موبقا قال هلاكا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا بينهم موبقا قال الموبق المهلك الذى أهلك بعضهم بعضا فيه أوبق بعضهم بعضا وقرأ وجعلنا لمهلكهم موعدا حدثت عن محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك موبقا قال هلاكا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عرفجة فى قوله وجعلنا بينهم موبقا قال مهلكا * وقال آخرون هو اسم واد فى جهنم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أبى أيوب عن عمرو البكالى وجعلنا بينهم موبقا قال واد عميق فصل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى وأهل الجنة وأهل النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا بينهم موبقا ذكر لنا أن عمرا البكالى حدث عن عبدالله بن عمرو قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة حدثنا أبو كريب قال ثنا عمر بن عبيد عن الحجاج بن أرطاة قال قال مجاهد وجعلنا بينهم موبقا قال واديا فى النار حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجعلنا بينهم موبقا قال واديا فى جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد ابن سنان القزاز قال ثنا عبد الصمد قال ثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول فى قول الله عز وجل وجعلنا بينهم موبقا قال واد فى جهنم من قيح ودم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ومن وافقه فى تأويل الموبق أنه المهلك وذلك أن العرب تقول فى كلامها قد أوبقت فلانا اذا أهلكته ومنه قول الله عز وجل أو يوبقهن بما كسبوا بمعنى يهلكهن ويقال للمهلك نفسه قد وبق فلان فهو يوبق وبقا ولغة بنى عامر يابق بغير همز وحكى عن تميم أنها تقول ييبق وقد حكى وبق يبق وبوقا حكاها الكسائى وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول الموبق الموعد ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

وحاد شرورى فالستار فلم يدع * تعارا له فى الواديين بموبق

ويتأوله بموعد وجائز أن يكون ذلك المهلك الذى جعل الله جل ثناؤه بين هؤلاء المشركين هو الوادى الذى ذكر عن عبدالله بن عمرو وجائز أن يكون العداوة التى قالها الحسن وقوله ورأى

المجرمون

مرمرارا قال أهل التحقيق ان الداعى لكفار قريش الى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو النخوة والعجب والترفع والتكبر وهذا شأن ابليس ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم أو العمل الفخر على الأقران والترفع على ابناء الزمان فانه مقتد بابليس وذريته وهذا مقام صعب نسأل الله الخلاص منه ثم دل على فساد عقيدة أهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله (ما أشهدتهم) فالأكثرون على أن الضمير للشركاء والمراد أنهم لو كانوا شركاء لى فى خلق السموات والارض وفى خلق

المجرمون النار يقول وعاين المشركون النار يومئذ فظنوا أنهم مواقعوها يقول فعلموا أنهم داخلوها كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فظنوا أنهم مواقعوها قال علموا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الكافر يرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة وقوله ولم يجدوا عنها مصرفا يقول ولم يجدوا عن النار التي رأوا معدلا يعدلون عنها اليه يقول لم يجدوا من مواقعتها بدا لأن الله قد حتم عليهم ذلك ومن المصرف بمعنى المعدل قول أبي كبير الهذلي

أزهير هل عن شيبة من مصرف * أم لا خلود لباذل متكلف

القول في تأويل قوله تعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا) يقول عز ذكره ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ووعظناهم فيه من كل عظة واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا ويعتبروا فيتعظوا وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان وكان الانسان أكثر شيء جدلا يقول وكان الانسان أكثر شيء مراء وخصومة لا ينيب لحق ولا ينزجر لموعظة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان الانسان أكثر شيء جدلا قال الجدل الخصومة خصومة القوم لأنبيائهم وردهم عليهم ما جاؤا به وقرأ ان هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون وقرأ يريد أن يتفضل عليكم وقرأ حتى توفي الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية وقرأ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال هم ليس أنت لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون القول في تأويل قوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا) يقول عز ذكره وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الايمان بالله اذ جاءهم الهدى بيان الله وعلموا صحة ما تدعوهم اليه وحقيقته والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم الا مجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم أو اتيانهم العذاب قبلا واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أو يأتيهم العذاب فجأة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أو يأتيهم العذاب قبلا قال فجأة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه أو يأتيهم العذاب عيانا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو يأتيهم العذاب قبلا قال قبلا معاينة ذلك القبل وقد اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة ذات عدد أو يأتيهم العذاب قبلا بضم القاف والباء بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب ووجهوا القبل الى جمع قبيل كما يجمع القتيل القتل والجديد الجدد وقرأته جماعة أخرى أو يأتيهم العذاب قبلا بكسر القاف وفتح الباء بمعنى أو يأتيهم العذاب عيانا من قولهم كلمته قبلا وقد بينت القول في ذلك في سورة الانعام بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع القول في تأويل قوله تعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) يقول عز ذكره وما نرسل رسلنا الا ليبشروا أهل الايمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه في الآخرة ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب عظيم عقابه وأليم عذابه فينتهوا عن

أنفسهم يعني لو كان بعضهم شاهدين خلق بعض مشاركين لي فيه كقوله ولا تقتلوا أنفسكم لأمكن أن يكونوا شركاء لي في العبادة لكن الملزوم المساوي منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله (وما كنت متخذ المضلين) أي متخذهم (عضدا) أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد أنهم ما كانوا شركائي في تدبير العالم بدليل أني ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة

الشرك بالله وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق، يقول ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل وذلك كقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها وعن الروح وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به يبتغون اسقاطه تعنيتا له صلى الله عليه وسلم فقال الله لهم انا لسنا نبعث اليكم رسلنا للجدال والخصومات وانما نبعثهم مبشرين أهل الايمان بالجنة ومنذرين أهل الكفر بالنار وأنتم تجادلونهم بالباطل طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي وعنى بقوله ليدحضوا به الحق ليبطلوا به الحق ويزيلوه ويذهبوا به يقال منه دحض الشيء اذا زال وذهب ويقال هذا مكان دحض أي مزل مزلق لا يثبت فيه خف ولا حافر ولا قدم ومنه قول الشاعر

رديت ونجى اليشكري حذاره * وحاد كما حاد البعير عن الدحض

وروى ونجى وأدحضته أنا اذا أذهبته وأبطلته وقوله واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا يقول واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتج بها عليهم وكتابه الذي أنزله اليهم والنذر التي أنذرهم بها سخريا يسخرون بها يقولون ان هذا الا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ولو شئنا لقلنا مثل هذا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا﴾ يقول عز ذكره وأي الناس أوضع للاعراض والصد في غير موضعهما ممن ذكره بآياته وحججه فدله بها على سبيل الرشاد وهداه بها الى طريق النجاة فأعرض عن آياته وأدلته التي في استدلاله بها الوصول الى الخلاص من الهلاك ونسي ما قدمت يداه يقول ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب منها ولم ينب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونسي ما قدمت يداه أي نسي ما سلف من الذنوب وقوله انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يقول تعالى ذكره انا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله اذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه لان المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به وقوله وفي آذانهم وقرا يقول في آذانهم ثقلا لئلا يسمعوه وان تدعهم الى الهدى يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تدع يا محمد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها الى الاستقامة على محجة الحق والايمان بالله وما جئتهم به من عند ربك فلن يهتدوا اذا أبدا يقول فلن يستقيموا اذا أبدا على الحق ولن يؤمنوا بما دعوتهم اليه لان الله قد طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفوه عنهم اذا تابوا منها ذو الرحمة بهم لو يؤاخذهم بما كسبوا هؤلاء المعرضين عن آياته اذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجل لهم العذاب ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم الى ميقاتهم وآجالهم بل لهم موعد يقول لكن لهم موعد وذلك ميقات محل عذابهم وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا يقول تعالى ذكره لن يجد هؤلاء المشركون وان لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم ملجأ يلجؤن اليه ومنجى ينجون منه يعني أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله يقال منه وألت من كذا الى كذا أئل وؤلا مثل وعولا ومنه قول الشاعر

لا وألت نفسك خليتها * للعامريين ولم تكلم

بل هم قوم كسائر الخلق نظيره أن من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى تقبل منك كل اقتراحاتك وقيل أراد أن هؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من أحوال السعادة وضدها لأنهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم أن يحكموا بحسن حالهم عند الله وبشرفهم ورفعتهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قرأ وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد

يقول لانجت * وقول الاعشى

وقد أخالس رب البيت غفلته * وقد يحاذر منى ثم مايئل

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله موئلا قال محرزا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لن يجدوا من دونه موئلا يقول ملجأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لن يجدوا من دونه موئلا أى لن يجدوا وليا ولا ملجأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لن يجدوا من دونه موئلا قال ليس من دونه ملجأ يئلون اليه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ يقول تعالى ذكره وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الايكة أهلكنا أهلها لما ظلموا فكفروا بالله وآياته وجعلنا لمهلكهم موعدا يعنى ميقاتا وأجلا حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به يقول فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبدا موعدا اذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم سنتنا فى الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لمهلكهم موعدا قال أجلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلفت القراء فى قراءة قوله لمهلكهم فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام على توجيه ذلك الى أنه مصدر من أهلكوا اهلاكا وقرأه عاصم لمهلكهم بفتح الميم واللام على توجيهه الى المصدر من هلكوا هلاكا ومهلكا * وأولى القراءتين بالصواب عندى فى ذلك قراءة من قرأه لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام لاجماع الحجة من القراء عليه واستدلالا بقوله وتلك القرى أهلكناهم فأن يكون المصدر من أهلكنا اذ كان قد تقدم قبله أولى وقيل أهلكناهم وقد قال قبل وتلك القرى لان الهلاك انما حل بأهل القرى فعاد الى المعنى وأجرى الكلام عليه دون اللفظ وقال بعض نحويى البصرة قال وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا يعنى أهلها كما قال واسئل القرية ولم يجئ بلفظ القرى ولكن أجرى اللفظ على القوم وأجرى اللفظ فى القرية عليها الى قوله التى كنا فيها وقال أهلكناهم ولم يقل أهلكناها حمله على القوم كما قال جاءت تميم وجعل الفعل لبنى تميم ولم يجعله لتميم ولو فعل ذلك لقال جاء تميم وهذا لا يحسن فى نحو هذا لانه قد أراد غير تميم فى نحو هذا الموضع فجعله اسما ولم يحتمل اذا اعتل أن يحذف ما قبله كله معنى التاء من جاءت مع بنى تميم وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيأ قبل تميم وقال بعضهم انما جاز أن يقال تلك القرى أهلكناهم لان القرية قامت مقام الاهل فجاز أن ترد على الاهل مرة وعليها مرة ولا يجوز ذلك فى تميم لان القبيلة تعرف به وليس تميم هو القبيلة وانما عرفت القبيلة به ولو كانت القبيلة قد سميت بالرجل لجرت عليه كما تقول وقعت فى هود تريد فى سورة هود وليس هود اسما للسورة وانما عرفت السورة به فلو سميت السورة بهود لم يجر فقلت وقعت فى هود يا هذا فلم يجر وكذلك لو سمى بنى تميم تميما لقيل هذه تميم قد أقبلت فتأويل الكلام وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لاهلاكهم موعدا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ قال موسى لفتاه

بهم وما ينبغى لك أن تغتر بهم ثم عاد الى تهويلهم بأحوال يوم القيامة وأضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وفحوى الكلام اذكر يا محمد أحوالهم وأحوال آلهتهم يوم القيامة اذ (يقول) الله لهم (نادوا) أى ادعوا من زعمتم أنهم (شركائى) فأهلتموهم للعبادة قال المفسرون أراد الجن (فدعوهم) لم يذكر فى هذه الآية أنهم كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد ما فى الآية الاخرى انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا (فلم يستجيبوا لهم) ولم يدفعوا عنهم ضررا (وجعلنا بينهم موبقا)

لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أوأمضى حقبا) يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر يامحمد اذقال موسى بن عمران لفتاه يوشع لاأبرح يقول لاأزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لاأبرح قال لاأنتهى وقيل عنى بقوله مجمع البحرين اجتماع بحر فارس والروم والمجمع مصدر من قولهم جمع يجمع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى أبلغ مجمع البحرين والبحران بحر فارس وبحر الروم وبحر الروم مما يلى المغرب وبحر فارس مما يلى المشرق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله مجمع البحرين قال بحر فارس وبحر الروم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مجمع البحرين قال بحر الروم وبحر فارس أحدهما قبل المشرق والآخر قبل المغرب حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال مجمع البحرين (١) حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن الضريس قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب فى قوله لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال طنجة وقوله أوأمضى حقبا يقول أوأسير زمانا ودهرا وهو واحد ويجمع كثيره وقليله أحقاب وقد تقول العرب كنت عنده حقبة من الدهر ويجمعونها حقبا وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله لاأبرح أى لاأزول ويستشهد لقوله ذلك ببيت الفرزدق

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم * ببطحاء ذى قار عياب اللطائم

يقول مازالوا وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب فى لغة قيس سنة فأما أهل التأويل فانهم يقولون فى ذلك ما أنا ذاكره وهو أنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم هو ثمانون سنة ذكر من قال ذلك حدثت عن هشيم قال ثنا أبو بلج عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو قال الحقب ثمانون سنة * وقال آخرون هو سبعون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أوأمضى حقبا قال سبعين خريفا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون فى ذلك بنحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أوأمضى حقبا قال دهرا حدثنا أحمد بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله حقبا قال الحقب زمان حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أوأمضى حقبا قال الحقب الزمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا) يعنى تعالى ذكره فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مجمع بينهما قال بين البحرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله نسيا حوتهما يعنى بقوله نسيا تركا كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نسيا حوتهما قال أضلاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

عن

عن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هى فى شدتها الهلاك كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة وفى الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالمورد أى جعلنا بينهم واديا من أودية جهنم مشتركا هو مكان الهلاك والعذاب الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز أن يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ أى وجعلنا بينهم أمدا بعيدا يهلك فيه السائرون لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان قوله (فظنوا) قيل

(١) بياض بالأصل وفى الدر عن ابن عباس تفسير مجمع البحرين ملتقى البحرين فتأمل كتبه مصححه

عن مجاهد قال أضلاه * قال بعض أهل العربية ان الحوت كان مع يوشع وهو الذى نسيه فأضيف النسيان اليهما كما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وانما جاز عندى أن يقال نسيا لأنهما كانا جميعا تزوّداه لسفرهما فكان حمل أحدهما ذلك مضافا الى أنه حمل منهما كما يقال خرج القوم من موضع كذا وحملوا معهم كذا من الزاد وانما حمله أحدهم ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك الى جميعهم فكذلك اذا نسيه حامله فى موضع قيل نسى القوم زادهم فأضيف ذلك الى الجميع بنسيان حامله ذلك فيجرى الكلام على الجميع والفعل من واحد فكذلك ذلك فى قوله نسيا حوتهما لأن الله عز ذكره خاطب العرب بلغتها وما يتعارفونه بينهم من الكلام وأما قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فان القول فى ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه وسنبينه ان شاء الله تعالى اذا انتهينا اليه وأما قوله فاتخذ سبيله فى البحر سربا فانه يعنى أن الحوت اتخذ طريقه الذى سلكه فى البحر سربا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاتخذ سبيله فى البحر سربا قال الحوت اتخذ ويعنى بالسرب المسلك والمذهب يسرب فيه يذهب فيه ويسلكه ثم اختلف أهل العلم فى صفة اتخاذه سبيله فى البحر سربا فقال بعضهم صار طريقه الذى يسلك فيه كالحجر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله سربا قال أثره كأنه حجر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبىّ بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس (١) غيره ثبت مكان الحوت الذى فيه فانجاب كالكوة حتى رجع اليه موسى فرأى مسلكه فقال ذلك ما كنا نبغى حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله فاتخذ سبيله فى البحر سربا قال جاء فرأى أثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء قال ابن عباس فاتخذ سبيله فى البحر سربا وحلق بيده * وقال آخرون بل صار طريقه فى البحر ماء جامدا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال سرب من الجرّ حتى أفضى الى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا الا صار ماء جامدا * وقال آخرون بل صار طريقه فى البحر حجرا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يكون صخرة * وقال آخرون بل انما اتخذ سبيله سربا فى البر الى الماء حتى وصل اليه لا فى البحر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاتخذ سبيله فى البحر سربا قال قال حشر الحوت فى البطحاء بعد موته حين أحياه الله قال ابن زيد وأخبرنى أبو شجاع انه رآه قال أتيت به فاذا هو شقة حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شئ * والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل واتخذ الحوت طريقه فى البحر سربا وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الارض وجائز أن يكون كان بجمود الماء وجائز أن يكون كان بتحوله حجرا وأصح الأقوال فيه ما روى الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرنا عن أبىّ عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين قال موسى لفتاه يوشع آتنا غداءنا يقول جئنا بغدائنا وأعطناه وقال آتنا غداءنا كما يقال أتى بالغداء وآتيته [illegible] أذهبته

علموا وأيقنوا والأقرب أن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم أنهم مخالطوها واقعون فيها فى تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها نظيره اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى معدلا الى غيرها لأن الملائكة يسوقونهم اليها آخر الامر ولما ذكر أن الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم ومتصرفاتهم وأجاب عن شبههم وأقوالهم الفاسدة وضرب الامثال النافعة وحكى أهوال الآخرة قال (ولقد صرفنا)

(١) كذا فى الأصل والذى فى الدر هكذا غير بيت ماء كان الحوت دخل منه الخ وفى تفسير ابن كثير غير مسير مكان الحوت الخ كتبه مصححه

لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا يقول لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا وقال ذلك موسى فيما ذكر بعد ما جاوز الصخرة حين ألقى عليه الجوع ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ يقول تعالى ذكره قال فتى موسى لموسى حين قال له آتنا غداءنا للطعم أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت هنالك وما أنسانيه الا الشيطان يقول وما أنسانى الحوت الا الشيطان أن أذكره فأن فى موضع نصب ردا على الحوت لان معنى الكلام وما أنسانى أن أذكر الحوت الا الشيطان سبق الحوت الى الفعل ورد عليه قوله أن أذكره وقد ذكر أن ذلك فى مصحف عبد الله وما أنسانيه أن أذكره الا الشيطان حدثنى بذلك بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حدثنى العباس بن الوليد قال سمعت محمد بن معقل يحدث عن أبيه أن الصخرة التى أوى اليها موسى هى الصخرة التى دون نهر الذئب على الطريق واتخذ سبيله فى البحر عجبا يعجب منه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى البحر عجبا قال موسى يعجب من أثر الحوت فى البحر ودوراته التى غاب فيها فوجد عندها خضرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا فكان موسى لما اتخذ سبيله فى البحر عجبا يعجب من سرب الحوت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال عجب والله حوت كان يؤكل منه دهرا أى شئ أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر فى البحر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يكون صخرة فجعل نبى الله صلى الله عليه وسلم يعجب من ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال يعنى كان سرب الحوت فى البحر لموسى عجبا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ يقول تعالى ذكره فقال موسى لفتاه ذلك يعنى بذلك نسيانك الحوت ما كنا نبغى يقول الذى كنا نلتمس ونطلب لأن موسى كان قيل له صاحبك الذى تريده حيث تنسى الحوت كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ذلك ما كنا نبغ قال موسى فذلك حين أخبرت أنى واجد خضرا حيث يفوتنى الحوت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال حيث يفارقنى الحوت وقوله فارتدا على آثارهما قصصا يقول فرجعا فى الطريق الذى كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التى كانا سلكاها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قصصا قال اتبع موسى وفتاه أثر الحوت فشقا البحر راجعين حدثنا القاسم قال ثنا

وقدمر تفسيره فى السورة المتقدمة وحين لم يترك الكفار جدالهم وكانوا أبدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الآية بقوله ﴿وكان الانسان أكثر شئ جدلا﴾ يعنى أن الاشياء التى يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد فان الانسان أكثرها خصومة فقوله أكثر شئ كقوله أول مرة وقد مر فى الانعام وكثرة جدل الانسان لسعة مضطربه فيما بين أوج الملكية الى حضيض البهيمية فليس له فى جانبى التصاعد والتسافل مقام معلوم قال أهل البرهان قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وما منع الناس أن يؤمنوا

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فارتدا على آثارهما قصصا قال اتباع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر وموسى وفتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الحوت فى البحر ودوراته التى غاب فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رجعا عودهما على بدئهما فارتدا على آثارهما قصصا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا أى يقصان آثارهما حتى انتهيا الى مدخل الحوت وقوله فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا يقول فوجد موسى وفتاه عند الصخرة حين رجعا اليها عبدا من عبادنا ذكر أنه الخضر آتيناه رحمة من عندنا يقول وهبناله رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما يقول وعلمناه من عندنا أيضا علما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من لدنا علما أى من عندنا علما وكان سبب سفر موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه ولقائه هذا العالم الذى ذكره الله فى هذا الموضع فيما ذكر أن موسى سئل هل فى الأرض أحد أعلم منك فقال لا أو حدثته نفسه بذلك فكره ذلك له فأراد الله تعريفه أن من عباده فى الارض من هو أعلم منه وأنه لم يكن له أن يحتم على مالا علم له به ولكن كان ينبغى له أن يكل ذلك الى عالمه * وقال آخرون بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدله على عالم يزداد من علمه الى علم نفسه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه وقال رب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال رب فهل فى الارض أحد (١) قال نعم قال رب فمن هو قال الخضر قال وأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ماذكر الله وانتهى اليه موسى عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى انى أريد أن تستصحبنى قال انك لن تطيق صحبتى قال بلى قال فان صحبتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا الى قوله لاتخذت عليه أجرا قال فكان قول موسى فى الجدار لنفسه ولطلب شئ من الدنيا وكان قوله فى السفينة وفى الغلام لله قال هذا فراق بينى و بينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فأخبره بما قال أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار قال فسار به فى البحر حتى انتهى الى مجمع البحور وليس فى الارض مكان أكثر ماء منه قال و بعث ربك الخطاف فجعل يستقى منه بمنقاره فقيل لموسى كم ترى هذا الخطاف رزأ من هذا الماء قال ما أقل ما رزأ قال ياموسى فان علمى وعلمك فى علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدثت نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر أن يأتى الخضر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى بنى اسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله و بأمره منى فأوحى الله اليه أن يأتى هذا الرجل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أنه قيل له ان آية لقيك اياه أن تنسى بعض متاعك فخرج هو وفتاه يوشع بن نون وتزودا حوتا مملوحا حتى اذا كانا حيث شاء الله رد الله الى الحوت روحه فسرب فى البحر فاتخذ الحوت طريقه سربا فى البحر

انجاءهم الهدى وقال فى هذه السورة زيادة ويستغفروا ربهم لان المعنى هنالك مامنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم أبعث الله بشرا رسولا هلا بعث ملكا وجهلوا أن التجانس يورث التوانس ومعناه فى هذا الموضع مامنعهم من الايمان والاستغفار الا الاتيان بسنة الاولين وانتظار ذلك وعن الزجاج الا طلب سنتهم وهو قولهم ان كان هذا هو الحق وزاد فى هذه السورة ويستغفروا ربهم لأن قوم نوح أمروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا وكذا قوم هود وياقوم

(١) أى أعلم فتنبه وحرر كتبه مصححه

فسرب فيه فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا حتى بلغ قوله واتخذ سبيله في البحر عجبا فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجبا فكان يعجب من سرب الحوت حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اقتص موسى أثر الحوت انتهى الى رجل راقد قد سجى عليه ثوبه فسلم عليه موسى فكشف الرجل عن وجهه الثوب ورد عليه السلام وقال من أنت قال موسى قال صاحب بني اسرائيل قال نعم قال أوما كان لك في بني اسرائيل شغل قال بلى ولكني أمرت أن آتيك وأصحبك قال انك لن تستطيع معي صبرا كما قص الله حتى بلغ فلما ركبا في السفينة خرقها صاحب موسى قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا يقول نكرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن آدم قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى فقال كذب عدو الله حدثنا أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان موسى قام في بني اسرائيل خطيبا فقيل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فقال بلى عبد لي عند مجمع البحرين فقال يارب كيف به فقيل تأخذ حوتا فتجعله في مكتل ثم قال لفتاه اذا فقدت هذا الحوت فأخبرني فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكتل فخرج فوقع في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصارت للحوت سربا وكان لهما عجبا ثم انطلقا فلما كان حين الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال فقال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فقال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما قال فأتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فقال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال ياموسى اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه قال فاني أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على الساحل فعرف الخضر فحمل بغير نول فجاء عصفور فوقع على حرفها فنقر أو فنقد في الماء فقال الخضر لموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مقدار ما نقر أو نقص هذا العصفور من البحر «أبو جعفر الطبري يشك وهو في كتابه نقر» قال فبينما هو اذ لم يفجأ موسى الا وهو يتد وتدا أو ينزع تختا منها فقال له موسى حملنا بغير نول وتخرقها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت قال وكانت الاولى من موسى نسيانا قال ثم خرجا فانطلقا يمشيان فأبصر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ برأسه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا قال فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فلم يجدا أحدا يطعمهم ولا يسقيهم فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه بيده قال مسحه بيده فقال له موسى لم يضيفونا ولم ينزلونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند

استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوم صالح واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فلما خوفهم سنة الاولين أجرى المخاطبين مجراهم والحاصل أنهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند نزول عذاب الاستئصال أو عند تواصل أصناف البلاء عيانا ومن قرأ بضمتين أراد أنواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الآية دلالة على أنه لا مانع من الايمان أصلا وقالت الاشاعرة العلم بأنه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر عنعانه

ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى النبي الذي طلب العالم انما هو موسى بن ميشا قال سعيد قال ابن عباس أنوف يقول هذا قال سعيد فقلت له نعم أنا سمعت نوفا يقول ذلك قال أنت سمعته يا سعيد قال قلت نعم قال كذب نوف ثم قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى هو نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال أي رب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فادللني عليه فقال له نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكانه وأذن له في لقيه فخرج موسى معه فتاه ومعه حوت مليح وقد قيل له اذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك فخرج موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فسار حتى جهده السير وانتهى الى الصخرة والى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقاربه شيء ميت الا حيي فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي فاتخذ سبيله في البحر سربا فانطلقا فلما جاوزا منقلبه قال موسى آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال الفتى وذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حين انتهيا اليها فاذا رجل متلفف في كسائه فسلم موسى فرد عليه العالم ثم قال له وما جاء بك ان كان لك في قومك لشغل قال له موسى جئتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي انما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا وان رأيت ما يخالفني قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء وان أنكرته حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسألا أهلها أن يحملوهما فحملوهما فلما اطمأنا فيها ولججت بهما مع أهلها أخرج منقارا له ومطرقة ثم عمد الى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها قال له موسى ورأى أمرا فظع به أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت أي ما تركت من عهدك ولا ترهقني من أمري عسرا ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية فاذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه ولا أثرى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجرا قال فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله قال فرأى موسى أمرا فظيعا لا صبر عليه صبي صغير لا ذنب له قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس أي صغيرة بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي قد أعذرت في شأني فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه فضجر موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر فقال لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي قد استطعمناهم فلم يطعمونا وضفناهم فلم يضيفونا ثم قعدت في غير صنيعة ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة أبي بن كعب كل سفينة صالحة وانما عبتها لأرده عنها فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان

فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين أنه انما أرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين أن مع هذه الاحوال (يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا) ويزيلوا ويبطلوا (به الحق) من ادحاض القدم وهو ازلاقها (واتخذوا آياتي وما أنذروا) أي الذي أنذروا من العقاب أو انذارهم (هزوا) موضع استهزاء قال جار الله جدالهم قولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك قال أهل العرفان قوله (ومن أظلم

لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى أى ما فعلته عن نفسى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس لم نسمع (١) لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلد فأخذه العالم فطابق به سفينة ثم أرسله فى البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله عليه أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم اذ أنجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله فى الارض وقال كلم الله نبيكم تكليما واصطفانى لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفها اياهم فقال له رجل من بنى اسرائيل هم كذلك يا نبى الله قد عرفنا الذى تقول فهل على الارض أحد أعلم منك يا نبى الله قال لا فبعث الله جبرئيل الى موسى عليهما السلام فقال ان الله يقول وما يدريك أين أضع علمى بلى ان على شط البحر رجلا أعلم منك فقال ابن عباس هو الخضر فسأل موسى ربه أن يريه اياه فأوحى الله اليه أن ائت البحر فانك تجد على شط البحر حوتا فخذه فادفعه الى فتاك ثم الزم شط البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح الذى تطلب فلما طال سفر موسى نبى الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت فقال له فتاه وهو غلامه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله فى البحر سربا فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت يضرب فى البحر ويتبعه موسى وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عن الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يكون صخرة فجعل نبى الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت الى جزيرة من جزائر البحر فلقى الخضر بها فسلم عليه فقال الخضر وعليك السلام وأنى يكون هذا السلام بهذه الارض ومن أنت قال أنا موسى فقال له الخضر أصاحب بنى اسرائيل قال نعم فرحب به وقال ما جاء بك قال جئتك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تطيق ذلك قال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فانطلق به وقال له لا تسألنى عن شئ أصنعه حتى أبين لك شأنه فذلك قوله حتى أحدث لك منه ذكرا فركبا فى السفينة يريدان البر فقام الخضر فخرق السفينة فقال له موسى أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ذكر أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون جمع بنى اسرائيل فخطبهم فقال أنتم خير أهل الارض وأعلمه قد أهلك الله عدوكم وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة قال فقيل له ان ههنا رجلا هو أعلم منك قال فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه وتزودا سمكة مملوحة فى مكتل لهما وقيل لهما اذا نسيتما ما معكما لقيتما رجلا عالما يقال له الخضر فلما أتيا ذلك المكان رد الله الى الحوت روحه فسرب له من الجسر حتى أفضى الى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا الا صار ماء جامدا قال ومضى

ممن ذكر بآيات ربه) أى بالقرآن بدليل قوله أن يفقهوه وبتذكير الضمير (فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى فلم يتفكروا فى عاقبتها ولم يتدبروا فى جزائها متمسك القدرية وانما قال فى السجدة ثم أعرض عنها لان ما فى هذه السورة فى الكفار الاحياء الذين ايمانهم متوقع بعد أى ذكروا فأعرضوا عقب ذلك وما فى السجدة فى الكفار الاموات بدليل قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم أى ذكروا مرة بعد أخرى وزمانا بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء

(١) الذى فى الدر بدل هذا لم نسمع يعنى موسى يذكر من حديث فتاه وقد كان الخ فتأمل وحرر كتبه مصححه

موسى وفتاه يقول الله عز وجل فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ثم تلا الى قوله وعلمناه من لدنا علما فلقيا رجلا عالما يقال له الخضر فذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال انما سمى الخضر خضرا لانه قعد على فروة بيضاء فاهتزت به خضرا **حدثنى** العباس بن الوليد قال ثنا أبى قال ثنا الاوزاعى قال ثنا الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبى ابن كعب فدعاه ابن عباس فقال انى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل الى لقيه فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا موسى فى ملا من بنى اسرائيل اذ جاءه رجل فقال تعلم مكان أحد أعلم منك قال موسى لا فأوحى الله الى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل الى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له اذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت فى البحر فقال فتى موسى لموسى أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت قال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدنا خضرا وكان من شأنهما ما قص الله فى كتابه **حدثنى** محمد بن مرزوق قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الله بن عمر النميرى عن يونس بن يزيد قال سمعت الزهرى يحدث قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى ثم ذكر نحو حديث العباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للعالم هل أتبعك على أن تعلمن من العلم الذى علمك الله ما هو رشاد الى الحق ودليل على هدى قال انك لن تستطيع معى صبرا يقول تعالى ذكره قال العالم انك لن تطيق الصبر معى وذلك أنى أعمل بباطن علم علمنيه الله ولا علم لك الا بالظاهر من الامور فلا تصبر على ما ترى من الافعال كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قبل من أنه كان رجلا يعمل على الغيب قد علم ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا﴾ يقول عز ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى وكيف تصبر يا موسى على ما ترى منى من الأفعال التى لا علم لك بوجوه صوابها وتقيم معى عليها وأنت انما تحكم على صواب المصيب وخطا المخطئ بالظاهر الذى عندك وبمبلغ علمك وأفعالى تقع بغير دليل ظاهر لرأى عينك على صوابها لانها تبتدأ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة لا علم لك بالحادث عنها لانها غيب ولا تحيط بعلم الغيب خبرا يقول علما قال ستجدنى ان شاء الله صابرا على ما أرى منك وان كان خلافا لما هو عندى صواب ولا أعصى لك أمرا يقول وأنتهى الى ما تأمرنى وان لم يكن موافقا هواى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ يقول تبارك وتعالى قال العالم لموسى فان اتبعتنى الآن فلا تسألنى عن شئ أعمله مما تستنكره فانى قد أعلمتك أنى أعمل العمل على الغيب الذى لا تحيط به علما حتى أحدث لك منه ذكرا يقول حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التى أفعلها التى تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها وأبتدئك الخبر عنها كما **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا يعنى عن شئ أصنعه حتى أبين لك شأنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها

ايمانهم وقوله (انا جعلنا) وقد مر تفسيره فى الانعام الى قوله (فلن يهتدوا اذا أبدا) متمسك الجبرية وقلما تجد فى القرآن دليلا لأحد الفريقين الا ومعه دليل للفريق الآخر فهذا شبه ابتلاء من الله ولعله أراد بذلك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال (وربك الغفور ذو الرحمة) قال المفسرون الضمير فى قوله (لو يؤاخذهم) لأهل مكة الذين أفرطوا فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والموعد يوم بدر وأقول لا يبعد أن يكون الضمير الناس فى قوله ولقد صرفنا الناس والموعد القيامة والموئل الملجأ يقال

لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا ﴾ يقول تعالى ذكره فانطلق موسى والعالم يسيران يطلبان سفينة يركبانها حتى اذا أصاباها ركبا فى السفينة فلما ركباها خرق العالم السفينة قال له موسى أخرقتها بعد ما لججنا فى البحر لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا يقول لقد جئت شيأ عظيما وفعلت فعلا منكرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جئت شيأ امرا أى عجبا ان قوما لججوا سفينتهم خرقتها كأحوج ما نكون اليها ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبى الله موسى ذلك من علم الله الذى آتاه وقد قال لنبى الله موسى عليه السلام فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لقد جئت شيأ امرا يقول نكرا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لقد جئت شيأ امرا قال منكرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والامر فى كلام العرب الداهية ومنه قول الراجز

قد لقى الأقران منى نكرا * داهية دهياء إدّا إمرا

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول أصله كل شئ شديد كثير ويقول منه قيل للقوم قد أمروا اذا كثروا واشتد أمرهم قال والمصدر منه الامر والاسم الامر واختلف القراء فى قراءة قوله لتغرق أهلها فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لتغرق أهلها بالتاء فى لتغرق ونصب الأهل بمعنى لتغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق الذى خرقت فيها وقرأه عامة قراء الكوفة ليغرق بالياء أهلها بالرفع على أن الأهل هم الذين يغرقون والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار متفقتا المعنى وان اختلفت ألفاظهما فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب وانما قلنا هما متفقتا المعنى لأنه معلوم أن انكار موسى على العالم خرق السفينة انما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها اذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرئ بالتاء ونصب الاهل أو بالياء ورفع الاهل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ﴾ يقول عز ذكره قال العالم لموسى اذ قال له ما قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا على ما ترى من أفعالى لأنك ترى ما لم تحط به خبرا قال له موسى لا تؤاخذنى بما نسيت فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم معارضة لأنه كان نسى عهده وما كان تقدم فيه حين استصحبه بقوله فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن زياد قال ثنى يحيى بن المهلب عن رجل عن سعيد بن جبير عن أبىّ بن كعب الانصارى فى قوله لا تؤاخذنى بما نسيت قال لم ينس ولكنها من معاريض الكلام * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تؤاخذنى بتركى عهدك ووجه أن معنى النسيان الترك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لا تؤاخذنى بما نسيت أى بما تركت من عهدك والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسى فيه عهده من سؤاله اياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك معناه من الخبر وذلك

وأل اذا نجا وأل اليه اذا لجأ اليه قال الامام فخر الدين الرازى انما ذكر لفظ المبالغة فى المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ايصال النفع وقدرة الله تعالى تتعلق بالاول لان ترك أضرار لا نهاية لها ممكن ولا تتعلق بالثانى لان فعل ما لا نهاية له محال أقول هذا فرق دقيق لو ساعده النقل على أن قوله ذو الرحمة أيضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد فى القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة فى الجانبين وفى تعلق القدرة بترك غير المتناهى أيضا نظر لان مقدورات الله متناهية لا فرق فى ذلك بين المبقى

ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا يحيى بن آدم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤاخذني بما نسيت قال كانت الاولى من موسى نسيانا وقوله لا ترهقني من أمري عسرا يقول لا تغشني من أمري عسرا يقول لا تضيق عليّ أمري معك وصحبتي اياك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا﴾ يقول تعالى ذكره فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله العالم فقال له موسى أقتلت نفسا زكية واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة أقتلت نفسا زاكية وقالوا معنى ذلك المطهرة التي لا ذنب لها ولم تذنب قط لصغرها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة نفسا زكية بمعنى التائبة المغفور لها ذنوبها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمى قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أقتلت نفسا زكية والزكية التائبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أقتلت نفسا زكية قال الزكية التائبة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر أقتلت نفسا زاكية قال قال الحسن تائبة هكذا في حديث الحسن بشهر زاكية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله نفسا زكية قال تائبة ذكر من قال معناها المسلمة التي لا ذنب لها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير يقول وجد خضر غلمانا يلعبون فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال وأخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي قال اسم الغلام الذي قتله الخضر جيسور قال أقتلت نفسا زاكية قال مسلمة قال وقرأها ابن عباس زكية كقولك زكيا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول معنى الزكية والزاكية واحد كالقاسية والقسية ويقول هي التي لم تجن شيأ وذلك هو الصواب عندي لاني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب فاذا كان ذلك كذلك فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار بمعنى واحد وقوله بغير نفس يقول بغير قصاص بنفس قتلت فلزمها القتل قودا بها وقوله لقد جئت شيأ نكرا يقول لقد جئت بشيء منكر وفعلت فعلا غير معروف ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لقد جئت شيأ نكرا والنكر أشد من الامر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾ يقول تعالى ذكره قال العالم لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا على ما ترى من أفعالي التي لم تحط بها خبرا قال موسى له ان سألتك عن شيء بعدها يقول بعد هذه المرة فلا تصاحبني يقول ففارقني فلا تكن لي مصاحبا قد بلغت من لدني عذرا يقول قد بلغت العذر في شأني واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة من لدني عذرا بفتح اللام وضم الدال وتخفيف النون وقرأه عامة قراء الكوفة والبصرة بفتح اللام وضم الدال وتشديد النون وقرأه بعض قراء الكوفة باشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون وكأن الذين شددوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة اذ كانت في الاصل ساكنة ولو لم تشدد لتحركت فشددوها كراهة منهم تحريكها كما فعلوا في من وعن اذا أضافوهما الى مكنى المخبر عن نفسه فشددوهما فقالوا منّي وعنّي وأما الذين خففوها فانهم وجدوا مكنى المخبر عن نفسه في حال الخفض

والمتروك ثم أشار الى قرى الاولين اعتبار الغيرهم فقال (وتلك القرى) فاسم الاشارة مبتدأ وفيه تعظيم لشأنهم أو تبعيد لزمانهم ومكانهم والقرى صفة وما بعده خبر ولا يخفى حذف المضاف أي وتلك أصحاب القرى (أهلكناهم) ويجوز أن يكون تلك القرى منصوبا باضمار أهلكنا على شريطة التفسير (وجعلنا) لزمان اهلاكهم أو لاهلاكهم أو وقت هلاكهم (موعدا) وعدا أو وقت وعد لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمراد أنا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع أن نضرب له وقتا

ياء وحدها الا نون معها فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم من ذلك مع سائر الاشياء غيرها والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان فصيحتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بالقرآن فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراءتين الي في ذلك قراءة من فتح اللام وضم الدال وشدد النون لعلتين احداهما أنها أشهر اللغتين والاخرى أن محمد بن نافع البصري حدثنا قال ثنا أمية بن خالد قال ثنا أبو الجارية العبدي عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قد بلغت من لدني عذرا مثقلة حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال استحيا في الله موسى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر قال ثنا عباد بن راشد قال ثنا داود في قول الله عز وجل ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيا في الله موسى عندها حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا مثقلة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ يقول تعالى فانطلق موسى والعالم حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها من الطعام فلم يطعموهما واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض يقول وجدا في القرية حائطا يريد أن يسقط ويقع يقال منه انقضت الدار اذا انهدمت وسقطت ومنه انقضاض الكوكب وذلك سقوطه وزواله عن مكانه ومنه قول ذي الرمة * فانقض كالكوكب الدري منصلتا * وقد روي عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك يريد أن ينقاض وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب اذا قرئ ذلك كذلك في معناه فقال بعض أهل البصرة منهم مجاز ينقاض أي ينقلع من أصله ويتصدع بمنزلة قولهم قد انقاضت السن أي انصدعت وتصدعت من أصلها يقال فراق كقيض السن أي لا يجتمع أهله وقال بعض أهل الكوفة منهم الانقياض الشق في طول الحائط في طي البئر وفي سن الرجل يقال قد انقاضت سنه اذا انشقت طولا وقيل ان القرية التي استطعم أهلها موسى وصاحبه فأبوا أن يضيفوهما الأيلة ذكر من قال ذلك حدثني الحسين ابن محمد الذارع قال ثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرابيسي قال ثنا حماد أبو صالح عن محمد بن سيرين قال انتابوا الأيلة فانه قل من يأتيها فيرجع منها خائبا وهي الارض التي أبوا أن يضيفوهما وهي أبعد أرض الله من السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية وتلا الى قوله لاتخذت عليه أجرا شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عز وجل يريد أن ينقض فقال بعض أهل البصرة ليس للحائط ارادة ولا للموات ولكنه اذا كان في هذه الحال من ربه فهو ارادته وهذا كقول العرب في غيره

يريد الرمح صدر أبي براء * ويرغب عن دماء بني عقيل

وقال آخر منهم انما كلم القوم بما يعقلون قال وذلك لما دنا من الانقضاض جاز أن يقول يريد

ان

عكنهم التوبة قبل ذلك ۞ التأويل ويوم نسير الجبال وهي الأبدان الجامدة عن السلوك وترى أرض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر رتبة تليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس وقواها ولقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء في صف والاولياء في صف والمؤمنون في صف والكافرون والمنافقون في الصف الاخير لا يغادر صغيرة هي كل تصرف في شيء بالشهوة

أن ينقض قال ومثله تكاد السموات يتفطرن وقولهم انى لأكاد أطير من الفرح وأنت لم تقرب من ذلك ولم تهم به ولكن لعظيم الامر عندك وقال بعض الكوفيين منهم من كلام العرب أن يقولوا الجدار يريد أن يسقط قال ومثله من قول العرب وقول الشاعر

ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وقول الآخر

يشكو الى جملى طول السرى * صبرا جميلا فكلانا مبتلى

قال والجمل لم يشك انما تكلم به على أنه لو تكلم لقال ذلك قال وكذلك قول عنترة

وازور من وقع القنا بلبانه * وشكا الى بعبرة وتحمحم

قال ومنه قول الله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب والغضب لا يسكت وانما يسكت صاحبه وانما معناه سكن وقوله فاذا عزم الامر انما يعزم أهله وقال آخر منهم هذا من أفصح كلام العرب وقال انما ارادة الجدار ميله كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا ترا أى ناراهما وانما هو أن تكون ناران كل واحدة من صاحبتها بموضع لو قام فيه انسان رأى الاخرى فى القرب قال وهو كقول الله عز وجل فى الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال والعرب تقول دارى تنظر الى دار فلان تعنى قرب ما بينهما واستشهد بقول ذى الرمة فى وصفه حوضا أو منزلا دارسا

* قد كاد أوقدهم بالبيود * قال فجعله يهم وانما معناه أنه قد تغير للبلى والذى نقول به فى ذلك أن الله عز ذكره بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم ليبين بعضهم لبعض عما فى ضمائرهم مما لا تحسه أبصارهم وقد عقلت العرب معنى القائل

فى مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤس اذا أردن نصولا

وفهمت أن الفؤس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها اياها بأنها تريد وعلمت ما يريد القائل بقوله

كمثل هيل النقا طاف المشاة به * ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

وانما لم يرد أن الثرى نطق ولكنه أراد به أنه تلبد بالندى فمنعه من الانهيال فكان منعه اياه من ذلك كالنهى من ذوى المنطق فلا ينهال وكذلك قوله جدارا يريد أن ينقض قد علمت أن معناه قد قارب من أن يقع أو يسقط وانما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحى بلسانه وقد عقلوا ما عنى به وان استعجم عن فهمه ذو البلادة والعمى وضل فيه ذو و الجهالة والغبا وقوله فأقامه ذكر عن ابن عباس أنه قال هدمه ثم قعد يبنيه حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض قال رفع الجدار بيده فاستقام * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله عز ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى بمعنى عدل ميله حتى عاد مستويا وجائز أن يكون كان ذلك باصلاح بعد هدم وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده فاستوى بقدرة الله وزال عنه ميله بلطفه ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأى ذلك كان من أى وقوله قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا يقول قال موسى لصاحبه لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك على اقامتك أجرا فقال بعضهم انما عنى موسى بالاجر الذى قال له لو شئت لاتخذت عليه أجرا القرى

النفسانية وان كان من الطاعات ولا كبيرة هى التصرف فى الدنيا على حبها فحب الدنيا رأس كل خطيئة ما أشهدتهم لانى لا أشهد الا أوليائى كما قلت سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ورأى المجرمون النار رأوا فى الدنيا أسباب النار من الشهوات والآثام فوقعوا فيها ولم يجدوا ما يصرفهم عنها من الديانة والايمان الحقيقى فاذا رأوا النار فى الآخرة أيقنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان أكثر شئ جدلا فتارة يجادل فى التوحيد وأخرى فى النبوة ومرة فى الاصول

أى حتى يقر وناقانهم قد أبوا أن يضيفونا * وقال آخرون بل عنى بذلك العوض والجزاء على اقامته الحائط المائل واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة لو شئت لاتخذت عليه أجرا على التوجيه منهم له الى أنه لافتعلت من الاخذ وقرأ ذلك بعض أهل البصرة لو شئت لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وأصله لافتعلت غير أنهم جعلوا التاء كأنها من أصل الكلمة ولأن الكلام عندهم فى فعل و يفعل من ذلك تخذ فلان كذا يتخذه تخذا وهى لغة فيما ذكر لهذيل وقال بعض الشعراء

وقد تخذت رجلى لدى جنب غرزها * نسيفا كأفحوص القطاة المطرق

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أنى أختار قراءته بتشديد التاء على لافتعلت لانها أفصح اللغتين وأشهرهما وأكثرهما على ألسن العرب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قال هذا فراق بينى و بينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ يقول تعالى ذكره قال صاحب موسى لموسى هذا الذى قلته وهو قوله لو شئت لاتخذت عليه أجرا فراق بينى و بينك يقول فرقة ما بينى و بينك أى مفرق بينى و بينك سأنبئك يقول سأخبرك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا يقول بما يؤول اليه عاقبة أفعالى التى فعلتها فلم تستطع على ترك المسئلة عنها وعن النكير على فيها صابرا والله أعلم

﴿ تم الجزء الخامس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء السادس عشر أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى * أما السفينة ﴾

وتشتى الفروع ولهذا كثرت المذاهب والاديان والملل والنحل ونسأل الصواب من ملهمه وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم أسباب الهداية و يستغفروا ربهم ان كانوا مذنبين الا أن تأتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهى جذبات العناية لأهل الهداية كقوله فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم والله لولا الله ما اهتدينا أو يأتيهم العذاب قبلا كقوله أتانى السيف أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله والله أعلم (م)

﴿ فهرست الجزء الخامس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ﴾

صحيفة

٢ ﴿ تفسير سورة بني اسرائيل ﴾ – بيان معنى التسبيح
٣ ذكر بعض أحاديث وردت في الاسراء
١٣ بيان أن الاسراء كان بالجسد لا بالروح
١٥ تأويل قوله تعالى ذرية من حملنا الآية وبيان ان المراد منه جميع بني آدم
١٧ بيان المراد بالفسادين اللذين قضى على بني اسرائيل بهما وذكر بعض أخبار تدل على تاريخهم
٢٤ تأويل قوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم
„ وذكر الفساد الثاني لبني اسرائيل وتخريب بختنصر لبيت المقدس
٣٤ تأويل قوله تعالى عسى ربكم الآية وبيان ما حصل لبني اسرائيل من تسلط العرب عليهم وذكر الشواهد على ما فيها
٣٧ تأويل قوله تعالى وكان الانسان عجولا وبيان أن العجلة في الانسان طبيعة وكيف استعجل آدم عليه السلام
٣٨ تأويل قوله تعالى فمحونا آية الليل وبيان ما قيل في السواد الذي في القمر
٣٩ تأويل قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره الخ وبيان أن لا عدوى ولا طيرة وأن السعد والشقاء قد قضيا
٤٢ تأويل قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية وبيان معنى الدمار وذكر الشاهد على ذلك
٤٤ بيان ما قيل في مقدار القرن من السنين
٤٦ تأويل قوله تعالى وقضى ربك الآية وبيان معنى التأفيف
٤٧ بيان ما ورد في صلة الابوين
٥٢ تأويل قوله تعالى وآت ذا القربى حقه وبيان المراد من القرابة

صحيفة

٥٧ بيان ما كانت العرب عليه من قتل أولادهم خشية الفاقة فنهاهم الله عنه
٥٨ بيان معنى السلطنة التي جعلت لولي الدم على الجاني
٦١ تأويل قوله تعالى ولا تقف الآية وبيان ما اشتملت عليه من النهي عن شهادة الزور وغيرها
٦٥ بيان ما ورد في تسبيح الاشياء وفضل لا اله الا الله
٧٢ بيان أن بعض العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن وأسلم المعبودون واستمر العابدون على عبادتهم
٧٥ تأويل قوله تعالى واذ قلنا لك ان ربك الآية وبيان الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم فصارت فتنة
٨١ بيان معنى استفزاز الشيطان للعباد
٨٦ تأويل قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى الآية وبيان أن من جهل نعم الله عليه في الدنيا فهو في الآخرة أشد جهلا عن معرفة هذه النعم
٩١ بيان الصلاة التي أمر الله بها عند الدلوك ما هي وبيان الساعات التي يتجلى فيها على عباده
٩٦ بيان أن التهجد كان في حقه عليه السلام فرضا وذكر المقام المحمود وما ورد فيه
١٠٢ تأويل قوله تعالى وقل جاء الحق الآية وبيان ما في القرآن من الشفاء من الجهل
١٠٥ بيان ما قيل في الروح
١٠٦ تأويل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس الآية وذكر سبب النزول
١٠٧ بيان ما اقترحته قريش من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١٤ ذكر الآيات التسع التي أوتيها موسى

صحيفة

١١٨ تأويل قوله تعالى وبالحق أنزلناه الآية وبيان المدة التى نزل فيها القرآن

١٢١ تأويل قل ادعوا الله الآية وذكر أسباب النزول

١٢٦ ﴿تفسير سورة الكهف﴾

١٢٠ ذكر أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه

١٣٨ ذكر مقر الكهف من الشمس

١٤٣ ذكر بعث أهل الكهف من نومتهم

صحيفة

١٥٢ بيان المدة التى لبثوها فى الكهف

١٥٥ بيان ما كانت تقوله عظماء العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن فقراء المؤمنين

١٥٦ تأويل قوله تعالى وقل الحق من ربكم وذكر الشواهد على السرادق

١٦٥ بيان معنى الباقيات الصالحات

١٦٩ بيان أمر ابليس وما كان عليه ابتداء

١٧٦ ذكر مسير موسى عليه السلام الى الخضر

﴿تمت﴾

﴿فهرست الجزء الخامس عشر من تفسير الامام النيسابورى الموضوع بالهامش﴾

صحيفة

٠٣ ﴿تفسير سورة الاسراء﴾

٥ بيان ما استدل به بعضهم على أن الاسراء بالروح وما استدل به الأكثرون على أنه بالجسم يقظة

١٤ بيان ما قالته الحكماء فى سبب حصول الكلف فى وجه القمر

١٦ بيان ما قالته الحكماء فى تأثير المعاصى فى الروح وبيان أن وجوب شكر المنعم بالسمع لا بالعقل

٢٠ بيان حقيقة الشكر

٢٢ تأويل تلك الآيات

٢٤ تفسير قوله تعالى لا تجعل مع الله الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٣٥ بيان ما يبيح دم الانسان من الخصال

٣٨ بيان ما احتج به نفاة القياس والجواب عنه

٤١ تأويل تلك الآيات

٤٣ تفسير قوله ولقد صرفنا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٤٦ ذكر ما كانت قريش تقوله فى رسول الله

صحيفة

٥٣ ذكر دعاء جرب فى دفع الملمات

٥٦ تأويل تلك الآيات

٥٩ تفسير قوله واذ قلنا للملائكة الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٦٣ ذكر الاوجه التى بها أكرم الانسان

٦٧ تأويل تلك الآيات

٦٩ تفسير قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٧٤ ذكر مسائل تتعلق بقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا

٧٨ ذكر ما كان لقريش من الاصنام حول الكعبة وما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بها

٨٠ بيان ان المباحث المتعلقة بالروح كثيرة وذكر طرف من مباحثها

٨٣ بيان أن للعقلاء فى حقيقة الانسان اختلافات كثيرة وذكر الحق منها

٨٥ ذكر الدليل على أن الروح جوهر مجرد

٨٨ تأويل تلك الآيات

صحيفة	
٩٠	تفسير قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٩٨	بيان الآيات التسع التى كانت لموسى
١٠٠	بيان ما اشتمل عليه القرآن الكريم
١٠٤	تأويل تلك الآيات
١٠٧	((تفسير سورة الكهف)) وبيان القراآت والوقوف فيها
١١٦	ذكر مجمل قصة أصحاب الكهف
١٢٠	ذكر أسماء أهل الكهف وفوائد تتعلق بها
١٢٢	مسألة جواز الكرامات وما تتوقف عليه وذكر كرامات ثبتت لبعض الأولياء

صحيفة	
١٣٦	ذكر اختلاف الناس فى زمان لبث أصحاب الكهف فى مكانهم
١٣٧	تأويل تلك الآيات
١٤١	تفسير قوله تعالى واتل ما أوحى اليك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٤٩	ذكر قصة الاخوين المشار اليهما فى آية واضرب لهم مثلا رجلين الخ
١٥٧	تأويل تلك الآيات
١٦١	تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٨٦	تأويل تلك الآيات

((تمت))